تاريخ البلاد العربية السعودية

الدولة السعودية الثانية

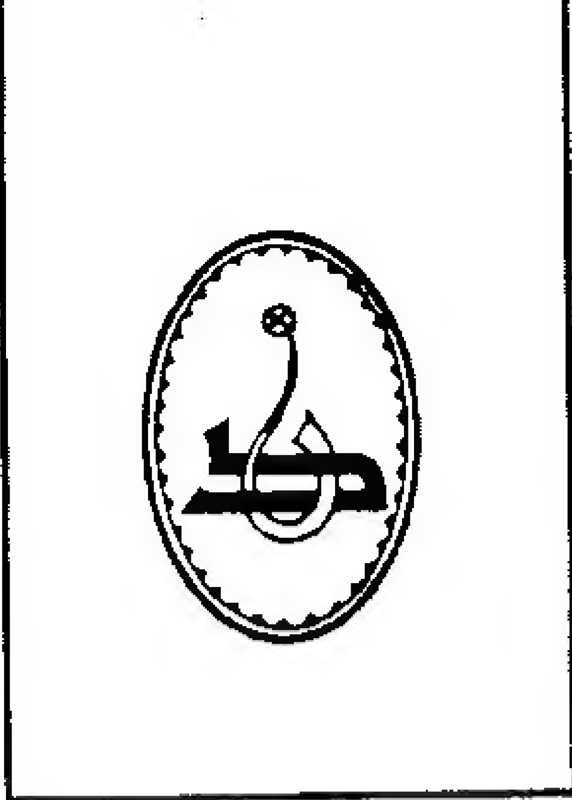
عهد الإمام فيصل بن تركي



الدكتور منير العجلاني



دار النفائس



٦٠٤

تاريخ البلاد العربية السعودية

الدولة السعودية الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الدكتور مُنير العجلاني

تاريخ البلاد العربيّة السُّعوديّة

الدّولة السُّعوديّة الثّانية

دار النفائس



دار النفائس
للطباعة والنشر والتوزيع
شارع فردان - بناية الصباح
وصفي الدين - ص.ب ١٤/٥١٥٢
برقياً: دانفايسكو - ت ٨١٠١٩٤
أو ٨٦١٣٦٧ بيروت - لبنان

الطبعة الأولى: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

المقدمة

إعجاب الملك عبد العزيز بجده الإمام فيصل بن تركي

كان الملك عبد العزيز شديد الإعجاب والاعتزاز بجده الإمام فيصل بن تركي، وكان ينتخي في المعارك بهذا الهتاف المدوِّي:

ـ أنا ابن فيصل ـ

فمتى بدأ هذا الإعجاب؟

كان ذلك خلال إقامة الفتى عبد العزيز في الكويت، التي عاش فيها مدة من الزمان، لاجئاً مع أبيه الإمام عبد الرحمن بن فيصل . . .

كان أهل الكويت يتتبعون بشغف وشوق وإعجاب شديد مواقف الإمام فيصل البطولية الخارقة، وكانت سيرته عندهم المادة المفضَّلة في أحاديث المجالس والسمر، بل حلَّت محل سيرة عنترة، وصار لها (قاصٌ) ينشدها لهم نشيداً أخَّاذاً، مصحوباً بنغمات الناي الملهمة، فتمتلىء نفوس السامعين بالحماسة والزهو، ويطيرون على أجنحة الخيال إلى قمم السعادة والعزة والعظمة!.

هكذا كانت سيرة الإمام فيصل تفعل بنفوس الجماهير.

أما أثرها في نفس الفتى العبقري عبد العزيز، فكان أعظم كثيراً، لأنه كان يتلهف لاستعادة ملك آبائه المفقود، وكان فيصل هو القدوة والحافز والمثل الأعلى.

الأعداء قاتلوا الفيصل مراراً، ونفوه وحبسوه تكراراً، ولكنه لم يقنط . . ولم يتخاذل، واستطاع أن يحرر بلاده من القوى الأجنبية الهائلة التي كانت جاثمة على صدرها.

كانت لدى المستعمرين الأجانب جيوش كثيرة جرَّارة، وكانت كلما تناقص عددها جاءها مدد سريع، وكان عندها مال وفير يبذل بسخاء مريب في شراء الضمائر واستمالة بعض العشائر . .

لم يرهب الإمام فيصل كل ذلك، ولم يقنط من رحمة الله، وأقدم.. وقاتل وانتصر!.

كانت سيرة فيصل حافزاً ودعوة ملحّة للفتى عبد العزيز أن يجمع حوله عصبة من الشجعان الأوفياء، من الأقرباء والأعوان، ويفجأ بها الرياض أولاً، ويحررها بمغامرة جريئة، كما فعل جده، ثم يمضي في تحرير سائر البلدان.

فعل عبد العزيز ذلك، ولكنه لم يقف عند تحرير بلدان نجد..

واستطاع، بتوفيق الله، أن يجمع تحت راية التوحيد ثمانية أعشار الجزيرة العربية أو أكثر، وهو ما لم يستطع تحقيقه أحد قبله، من أئمة آل سعود.

وبعد...

فإن سير الإمام فيصل، التي أُعجب بها الملك عبد العزيز وألهمته ونوَّرته في فتوحاته الخارقة وسياساته العبقرية جديرة بأن تُروى للناس في كتاب على مستواها..

وقد انتدب المؤلفُ نفسه لهذا الأمر الجليل والعبء الثقيل، فطالع الكثير الكثير من الكتب والوثائق والمجلات والصحف والبحوث، في مكتبات عامة وخاصة، في الشرق والغرب، وضَمَّن كتابه شيئاً غير قليل مما استجاده من الوثائق والكتب النادرة والمخطوطة والأخبار المنشورة في ثنايا الصحف والمجلات والنشرات.

ومن أعجب الأمور أن الغربيين عنوا بالكتابة عن الإمام فيصل عناية كبيرة، ولم يكتفوا بروايات ابن بشر وعقد الدرر وغيرهما من المصادر النجدية المعروفة، مع أنها المنهل الذي ارتوى منه كل الذين كتبوا عن الإمام فيصل، ونحمد الله أن مؤلفين سعوديين ألَّفوا في هذه السنوات كتباً جيدة في التاريخ السعودي فاقت ما كتبه الأجانب بلغاتهم.

ولكن أحداً منهم، فيما أعلم، لم يفرد كتاباً للإمام فيصل.

وإني لأرجو أن يكون كتابي عن الإمام، بما جمعته له خلال سنوات طويلة، أفضل كتاب ظهر حتى اليوم، في الشرق والغرب، عن سيرة الإمام فيصل، وخصوصاً ما يتصل بسياساته الخارجية واتصالاته بممثلي الدول الأجنبية وزياراتهم له في قصره، وهو ما تغفله المراجع النجدية والعربية أو تجهله، مع أنه ضرورة ملحة لفهم شخصية الإمام فيصل فهماً شاملاً.

أسأل الله سبحانه أن يكون كتابي هذا عملاً خالصاً لوجهه، وحلقة مضيئة في سلسلتنا التاريخية.

والحق إنني أعتز وأفخر بهذا الكتاب، لما تفرَّد به من أخبار فيصل.

بيـن يـديّ الكتـاب

طبع كتابنا: (الإمام تركي بن عبد الله)، قبل أعوام، وجاء منقوصاً.. لم تكمل فيه سيرة الإمام تركي. وهذا ما أوجب علينا أن **نبدأ كتابنا بمحاضرة ألقيناها في جامعة الملك عبد العزيز في جدة،** عن الإمام تركي، لأنه لا يجوز لنا أن نتحدث عن الإمام فيصل بن تركي، من غير التحدث عن والده الإمام تركي بن عبد الله، فبفضل الله ثم بجهد (تركي) وإقدامه وشجاعته وسياسته، تحررت نجد من سيطرة رجال (محمد علي) وأبنائه، الذين أذلوها وأفقروها وأمعنوا تقتيلاً وتعذيباً بأعيانها وعلمائها، ونهبوا الأموال وهدموا الدور والأسوار، واستباحوا المحرمات بوحشية لم يعرف التاريخ لها شبيهاً إلا في عهدي (هولاكو) و (جنكيز خان).

أعاد (تركي) للبلاد حريتها ووحدتها وكرامتها وعزتها ورخاءها، وبذلك أسس:

(الدولة السعودية الثانية)

.. وانتقل الملك من سلالة (عبد العزيز بن محمد بن سعود) إلى سلالة أخيه (عبد الله بن محمد بن سعود).

.. وانتقلت عاصمة البلاد من (الدرعية) إلى (الرياض).

محاضرة المؤلف في جامعة الملك عبد العزيز

سيرة بطلين عظيمين

الإمام تركي بن عبد الله والملك عبد العزيز

ألقى المؤلف محاضرةً عامة في جامعة الملك عبد العزيز في جدة، وكان أستاذاً فيها، عن البطلين الإمام تركي بن عبد الله والملك عبد العزيز، وقدمه إلى المستمعين مدير الجامعة يومئذٍ معالي الدكتور عبد الله عمر ناصيف، قائلاً:

«معالي الدكتور منير العجلاني غني عن التعريف، فهو من رجالات سورية المشهورين، تولى فيها مناصب رفيعة جداً، ثم جاء المملكة، وقد تشرفت جامعتنا باختياره أستاذاً فيها، وسعدت وزارة التعليم العالي بما قدمه إليها من الخدمات.

وسيلقي علينا الآن محاضرة عن البطلين الإمام تركي بن عبد الله والملك عبد العزيز، الذي تفخر جامعتنا بحمل اسمه، وستكون محاضرة ممتعة إن شاء الله.

فليتفضل معالي الدكتور بإلقاء محاضرته».

* * *

سادتي..

سأقدم إليكم من سيرة البطلين الإمام تركي بن عبد الله والملك عبد العزيز آل سعود قبسة عجلان، ولن أرش على حديثي عنهما غبار أجنحة الفراش، ولا ألوان قوس قزح، لتكون روايتي زاهيةً مغرية، فكلا البطلين من الزعماء العباقرة، العمالقة، منحهما الله بسطةً في العقل وبسطةً في الجسم، وأمدهما بنعمة التوفيق، وسيرتهما لا تحتاج إلى من يزيدها ألقاً، فيلوِّنها ويشكِّلها بريشة فنان وأخيلة شاعر!

إنها واقع... ولكنه فوق الخيال!

سأبتدىء بالكلام عن الملك عبد العزيز وبإيجاز، لأنه معروف جداً، وأما تركي، فمجهول جداً.. ولذلك سأطيل الحديث عنه.

كثيرون يشبِّهون الملك عبد العزيز بجده الإمام فيصل بن تركي، والواقع أن

عبد العزيز يشبه (تركيًا) أكثر مما يشبه فيصلاً.

يقول خالد الفرج:

«لم يذكر التاريخ إلاّ جده «تركي» من شبه له ومثيل»

سادتي..

الحديث عن الملك عبد العزيز حديث عن أعظم بطل في تاريخ الجزيرة العربية الحديث. ولن نستطيع الإحاطة ببطولته في خطاب.. فحسبنا كلمات نشير فيها إلى جوانب من شخصيته.

عبد العزيز هو الذي حرَّر البلاد ووحَّدها باسم: (المملكة العربية السعودية).

وهو الذي وضع فيها أسس التحضير والتحديث والنهضة، وسار بها قدماً في طريق القوة والعزة والمجد.

كان زعيماً عبقريًا ملهماً، ورجل دولة من الطراز الأول، يحسن القيادة، ويتقن الريادة.

كان شجاعاً في غير تهور، وسياسيًا في غير خنوع.

كان وطنيًا، ولكنه لم يكن «إقليميًا»، وإنما كان عربيًا متفتحاً، يرحب بكل عربي يقدم على بلاده للعمل أو الإقامة، هرباً بدينه أو كرامته من الظلم، وكان يعتبره واحداً من عشيرته.

كان ملكاً تهابه الملوك، ولكنه كان متواضعاً، يستطيع كل إنسان أن يجالسه ويكلمه في حاجته، وكان للعلماء والمفكرين والمناضلين العرب منزلة خاصة في نفسه، يقدِّرهم ويكرِّمهم ويبرُّهم ويقرِّبهم من مجلسه ويتفقَّد أحوالهم ويزورهم في دورهم، متجاوزاً حدود المراسم الملكية (البروتوكول).

وبالجملة، كان حقاً زعيم العرب وملكهم وأباهم الروحي، يدافع عن قضاياهم وينصرهم في الشدة والضيق.

كان كريماً، وكرمه شيء لم ترِو لنا حتى الأساطير مثيلاً له، وفيه يصح قول الشاعر:

«تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله»

كان الملك عبد العزيز يجمع القوة إلى التقوى، والحكمة إلى المضاء،

والشجاعة إلى الدهاء، وكن لا يُخيَّر بين أمرين: بين الله وبين غيره، إلاّ اختر الأمر الذي فيه مرضاة الله . .

أرضى الله، فأرضاه الله.

وقد قال يوماً، وهو يتأمل حسن صنيع الله معه:

«إذا عمل أبنائي كما عملت، فسوف يضمون تحت لواء التوحيد مئة مليون مسلم».

قال هذا قبل ظهور النفط وتدفق الأموال . .

ولكنه الإيمان والصبر والشجاعة والعبقرية: كل أولئك كان يصنع له، بتوفيق الله: النصر والمجد ويجمع القلوب حوله.

وحّدَ وحرَّر.

وطَوَّرَ وحَضَّر.

وكان في الحرب بطلاً عظيماً.

وفي السلم معاهداً كريماً،

وفي قيادته لشعبه على دروب النهضة رائداً حكيماً.

كان مسلماً، نيِّر الفكرة، خيِّر العاطفة، شديد التمسك بدينه، شديد الاعتزاز بعروبته، ولذلك أدرك أن عزة قومه تتحقق في قبول ما صنعته الحضارة الحديثة من أسباب القوة والتقدم، لا في رفضه، لأن الإسلام، وهو أحدث الديانات وأكثرها تكريماً للعقل، هو دين الأقوياء لا دين الضعفاء المتخاذلين، دعاة التخلف والتحجر!.

. . وكما حارب أبو بكر مانعي الزكاة، هكذا حارب عبد العزيز مانعي التقدم، الذين أرادوا باسم الدين - والدين براء مما يزعمون - أن تعيش الأمة على هامش العصر، فلا تستعمل الطائرات ولا السيارات ولا الهاتف، ولا شيئاً مما أحدثه العقل البشري من مظاهر الرقي والقوة والحضارة.

كانوا يريدون أن يشدُّوا الإنسان العربي المسلم إلى العصر الحجري . . فأطلقه عبد العزيز في رحاب القرن العشرين: مسلماً قويًا، غير متزمت ولا متحجر!.

والمملكة تمضي على السياسة الدينية الواعية، التي عمل بها مؤسسها العظيم، لا تفرِّط في شيء من مبادىء الإسلام القويمة، ولكنها ترفض تحريم ما أباحه الشرع وأحلَّه، وتعلم أن مكتسبات الحضارة، في جانبها الصناعي «التكنولوجي» هي من أسباب القوة، والإسلام قوي، ولذلك قبلتها بل أقبلت عليها.

تركي وعبد العزيز

تركي وعبد العزيز يتشابهان:

أولاً: في البطولة الخارقة، فقد كانت حياتهما سلسلة من المعارك والملاحم. وكانا يخوضانها بشجاعة نادرة ويحققان فيها انتصارات باهرة.

ثانياً: بظهورهما في فترة انهيار وضياع، فتركي وجد الترك مسيطرين على البلاد، يذلُّون أبناءها وينهبون أموالها ويدمرون بنيانها، فطردهم وطهَّر البلاد منهم وأسس:

(الدولة السعودية الثانية)

... وعبد العزيز كان يعيش لاجئاً في الكويت، مع أبيه الإمام عبد الرحمن. بعد استيلاء ابن الرشيد على الرياض، وانهيار الدولة السعودية الثانية، فقام بفتح الرياض وتقويتها وإحكام أسوارها. ثم حارب وناضل حتى تمَّ له ما لم يتم لأحد قبله. فأنشأ:

(المملكة العربية السعودية)

التي تمتدُّ حدودها من الخليج إلى البحر الأحمر، في رقعة تمثل ثمانية أعشار الجزيرة العربية، بل أكثر.

ثالثاً: يتشابه تركي وعبد العزيز في الطباع والأخلاق، فكلاهما متواضع، محب لرعاياه، مبالغ في السهر على راحتهم وأمنهم ومعيشتهم، وكلاهما مفرط في الكرم، وكلاهما عبقري توسعت ثقافته بمجالسة العلماء والأدباء والشعراء.

رابعاً: كانت ولاية تركي إيذاناً بانتقال الملك من أولاد عبد العزيز بن محمد ابن سعود إلى أولاد أخيه عبد الله بن محمد بن سعود.

وبقي الملك في سلالة تركي: في ابنه فيصل وأولاده من بعده.

وقد أراد عبد العزيز أن يبقى الملك لأبيه عبد الرحمن، ولكن الإمام عبد الرحمن أبى إلا أن يكون الملك لابنه عبد العزيز.

وبذلك بقي الملك في أبناء عبد العزيز.

النفط.. ونهضة المملكة

يظن بعض الناس أن نهضة المملكة وليدة النفط . . الذي يتدفق من ينبوع لا ينفد، ويباع بأسعار عالية، وبأموال النفط عُبّدت الطرق وأنشئت المطارات وشيدت المباني وأقيمت الجامعات، واستقدم الخبراء والعلماء والأساتذة من بلاد الدنيا كلها ليخدموا في المملكة، وأُرسلت البعوث إلى الغرب والشرق لطلب العلم والخبرة . إلى أشياء كثيرة تنسب إلى النفط . .

كانوا قديماً يقولون عن النفط إنه مستعمر الشعوب، ولكنهم اليوم يصفونه بأنه محرر الشعوب وسر نهضتها وعمرانها!

ويزعم بعض الغربيين أن المملكة العربية السعودية لولا النفط لكانت في حال لا توصف من الفقر والتخلف . .

هذه الدعوى باطلة جملة وتفصيلاً! . .

فعبد العزيز لم يكن مديناً بشهرته العريضة في العالم إلى الثراء والنفط . . وقد بلغ القمة وفعل أفعال الأبطال العمالقة وملأ الدنيا وشغل الناس قبل ظهور النفط .

ولكن الله سبحانه أمدَّ في حيته ليكون هو الرائد في مشروع استنباط البترول كما كان رائداً في كثير من مناحي الحياة . .

. . وهذا النفط، الذي أعطى نهضة المملكة زخماً قويًا: أين وُجِد؟ ومَن رعاه، وحماه للمملكة؟

. . . إنه الملك عبد العزيز .

مصرع الإمام تركي

أسد الغاب، أين منه الغابُ؟ فلقد ضرَّجَ العرينَ الذئابُ!
جاءه في (القطيف) نعي الذي عَزَّ، فعزّت في ظله الأقطابُ
ومشى (فيصل) إلى القصر فاستعصت بروج وعُوِّذت أبوابُ
حسب الغاصب الدخيل (مشاري) أن ستجدي مجنَّة وعقابُ[1]

بولس سلامة

(ملحمة عيد الرياض)

(١) المجنة كل ما وقاك من السلاح، كالترس وقميص الزرد، والعقاب جمع عَقَبة .

مشـاري بـن سعـود

استقدمه الإمام تركي من مصر وكَرَّمَه وأَمَّرَه! . .
ولكن «مشاري» وأعوانه ائتمروا بتركي وقتلوه!

كان الأمير مشاري بن سعود، بين الأشخاص الذين نقلهم إبراهيم باشا إلى مصر؛ وطابت له الإقامة هناك . .

ولكن الإمام تركي كتب إليه يحضُّه على العودة إلى نجد، ولعلَّ القصيدة الرائية التي بعث بها تركي إلى ابن أخته (مشاري) تعبر أجمل تعبير عن محبة تركي لمشاري، وكراهيته أن يبقى في مصر كأنه مملوك للترك، شبعان من الذل وعار من العز، وما فائدة لبس الحرير وتاج الذهب مع الذلِّ؟

عاد مشاري إلى نجد، فاستقبله الإمام تركي استقبالاً حاراً، وبالغ في تكريمه.

ويقول ابن بشر إن الإمام أنعم عليه أحسن الإنعام، فأعطاه خيلاً وركاباً وزوَّده بسلاح وأمتعة من الأكسية والفرش وغيرها، واستعمله أميراً في بلد منفوحة.

مشاري يأتمر بتركي:

ولكن مشاري لم يرضِه كل هذا التكريم، وانطلق مع جماعة العاملين والمستخدمين في إمارته يأتمرون بتركي ليقتلوه، وليتولى مشاري مكانه.

وبلغ ذلك الإمام تركي، فلم يشأ أن يبطش به وبالمتآمرين معه، واكتفى بإقصائه عن إمارة منفوحة، واستمر في تكريمه. ولما خرج تركي إلى (الشمال) غازياً انتهز مشاري الفرصة لتحقيق مؤامرته.

مصرع الإمام تركي في رواية ابن بشر:

قال ابن بشر:

«عزم مشاري على إظهار ما أبطن، وجرد سيفه لإثارة الفتن، وذلك بمساعدة

رجال أسافل، من الخدم الأراذل. وقد تواعدوا عيه بعد صلاة الجمعة إذا خرج من المسجد، فلما صلى الجمعة وصلى سنتها التي بعدها، خرج على عادته من الباب الذي جنوب المحراب . . . فوقف له البغة عند الدككين، بين القصر والمسجد، وبيده مكتوب يقرأه، وفي جنبه رجل على يساره، فعترضه منهم عبدٌ خادم لهم يقال له إبراهيم بن حمزة بن منصور، فأدخل «الطبنجة» مع كمه وهو غافل، فثورها فيه فخرَّ صريعاً!.

مشاري يستولي على القصر:

خرج مشاري من المسجد، فشهر سيفه وتهدَّد الناس وتوعَّدهم، وشهر ناس سيوفهم معه، فبُهتَ الناس، وعلموا أن الأمر قد تشاوروا فيه وقُضي بليل . .

ورأى (زويِّد)، مملوك تركي المخلص له، هذا المشهد الفجع، فاستغاث بالحاضرين فلم ينجده أحد، فهرب إلى القصر، فأخذوه وحبسوه.

ثم نقلوا جثمان الإمام تركي إلى بيت زويد وجهزوه وصلى عليه المسلمون، بعد صلاة العصر، ودفن في مقبرة الرياض، في آخر ساعة من يوم الجمعة، آخر ذي الحجة سنة ١٢٤٩ هـ.

ثم أمر مشاري بإخراج نساء تركي وعياله ونساء فيصل وعياله من القصر «واستولى على جميع خزائن الذهب والفضة والسلاح والخيل والعمانيات وغير ذلك، وفرق السلاح على الرحال وبثَّ شيئاً كثيراً من الدراهم والكسوة وبايعه أهل البلدان وهم في بلدانهم».

الثأر واستعادة الملك:

فيصل تلقى نبأ اغتيال أبيه وهو في القطيف . . فخطب الناس وذكَّرهم بجهاد تركي وسهره على راحتهم وسعادتهم حتى بكوا وعاهدوه على الطاعة وساروا معه لقتال مشاري.

استطاع زويد الهرب من الرياض إلى القطيف، حيث وافى الأمير فيصل وأبلغه مقتل أبيه . . فأخفى الأمير هذا النبأ عن الناس، ورحل إلى الأحساء مع جماعة من مقاتلته وأنصاره من كبار القوم ورئيس الجبر عبد الله بن علي بن رشيد، ورؤساء بريدة والحريق وسدير وغيرهم . .

فأرسل فيصل وأحضرهم عنده . . ومعهم عمر بن عفيصان، فأخبرهم بالأمر وأبدى لهم أنه لا بدَّ من أخذ الثأر، وأن يضرم عليهم نار الحرب، لا يقر له عن ذلك قرار، وذاكرهم وذَكَّرهم وأكثر من تعظيم هذا الأمر عندهم.

فلما سمعوا كلامه، بكى كل واحد من أولئك الجماعة وغضبوا له وقاموا كلهم وبايعوه على السمع والطاعة، فكانت بإذن الله كلمة مجتمعة على السير والحرب معه.

ثم رحل من الأحساء بجنوده، ورفع راياته وبنوده، وأعمى الله أخباره على الباغين . .

فلما كان ليلة الثلاثاء ١٩ محرم نزل قريباً من بلد الرياض، وثوَّروا من البرود حتى كان له رعد عظيم وانقضاض، ومع ذلك فالباغي لا يسمعه ولا يشعر به . .

ثم أمر على من كان معه من أهل الرياض أن يدخلوا البلد في الليل، ويمسكوا البروج والبيوت المقابلة للقصر، فلما رآهم أهل البروج وعرفوهم سكتوا عنهم وأدخلوهم فرحين . .

ولمّا كان بعد صلاة الصبح، ركب فيصل من مكانه بالمسلمين ودخل الرياض ونزل بيت زويد، وفرق المسلمين في البيوت وفي بروج البلد، وشبَّ الحرب على من في القصر، وكان الذي فيه مع مشاري ١٤٠ رجلاً، وتابع الحرب عليهم بالليل والنهار ورماهم بالمدافع الكبار من كل الجهات . .

وفي ليلة ٩ صفر نزل من القصر رجال من سبيع، وأخبروا أنهم تخاذلوا والرعب والهلع حلاً في قلوبهم، وأتى رجل من أعيانهم إلى (سويد) وطلبوا أن يأخذ لهم أماناً من فيصل . . وفي ١١ صفر أرسل سويد إلى فيصل وطلب منه الأمان على نفسه وماله ومن كان عنده في القصر من الرجال، سوى من باشر قتل الإمام أو ساعد على قتله.

فشاور الإمام فيصل رؤساء المسلمين، فأشاروا عليه أن يعطيهم الأمان، لأجل ما في القصر من المال والخزانات، فأعطاهم الأمان، فصعدوا القصر ورموا لهم الحبال، فصعدوا في القصر وهم أربعون من الرجال مع عبد الله بن علي بن رشيد، رئيس جبل شمر وغيره، فنزلوا في وسط القصر وقصدوا مشاري وأعوانه في مكانهم فقتلوهم، وهم ستة رجال، وأخرجوا جسد مشاري ورأسه خارج القصر ليُعرف ويُنظر إليه . .

رواية ابن سيف لمقتل مشاري:

يصف الشيخ محمد بن إبراهيم بن سيف، في رسالته إلى ابن بشر مصرع (مشاري)، الذي كان متحصناً مع جماعته في القصر على النحو الآتي:

«يوم الثلاثاء ٩ صفر نزل متخفيًا، من القصر اثنان أو ثلاثة.

ويوم الأربعاء نزل أحد عشر شخصاً، فلما رأوا الحال ـ يعني قوة المحصورين للقصر ـ زاد ما بهم من الرعب حتى ظن كلٌّ منهم أنه هالك، فلما جُنَّ الليل حدث من ليلة الخميس، أخذ (سويد) الأمان على من في القصر، سوى من قتل أو أمر أو مالأ على قتل الإمام..».

وهكذا استسلم الجند الذين كانوا مع مشاري وانقلبوا عليه.. وأصعدوا عدداً من جنود الإمام فيصل، فقتلوا نفراً من أصحاب مشاري كانوا معه، ثم توجهوا إليه. فلما أثخنوه بالجراح تخبأ في بيت درجة، وطلب مواجهة ابن عمه (فيصل) فأبوا عليه، ثم طلب شربة ماء، فلم يجيبوا إليه، فخرج عليهم مصروعاً بالبغي. فحجوا فيه الملح والرصاص، وأخذوا الثأر واستوفوا بالبيض القصاص.. وجملة من قتل معه وبعده ستة رجال.

.. ونزل فيصل القصر، واجتمع المسلمون عليه».

ندرة مطران يصف معركة القصر وما بعدها..:

قال ندرة مطران، في كتابه «سورية الغد» الموضوع باللغة الفرنسية «La Syrie de demain» يصف معركة القصر، بين رجال الإمام فيصل وأعوان مشاري، ما ترجمته:

«كان بين حاشية فيصل: شمري نبيل، هو عبد الله بن الرشيد، الذي أخفق في استعادة «حايل» من «آل علي»، فعرض خدماته على فيصل.

استشار فيصل صاحبه ابن الرشيد عمَّا يجب أن يفعله، بعد مصرع أبيه: أيتابع حربه في الأحساء، أم يعود إلى الرياض لمعاقبة مشاري؟

فأشار عليه ابن الرشيد بالعودة فوراً، حتى لا يتسع الوقت أمام مشاري لجمع جنود كثيرة.

اتبع فيصل هذا الرأي، ووصل الرياض، ودخلها بسهولة، ولكنه وجد مشاري متحصناً في القصر، ذي الجدران الكثيفة، والأبواب الحديدية، وكانت فيه خزينة

الدولة وإضباراتها وأوراقها، كما كانت فيه أسلحة وذخائر كثيرة ومؤن وفيرة. وقد حاول فيصل اقتحامه بضربه بالمدافع، ولكنه عجز عن ذلك، فقرَّر الاستمرار في الحصار، وعندئذٍ تقدم ابن الرشيد، مستعداً للمغامرة بحياته. من القصر. واصطحب معه رجلين، واستطاع اجتذاب الحارس وإغراءه، ففتح له الباب. وسار بهدوء في جنح الظلام نحو حجرة مشاري، ولما استعصى عليه فتح بابها. ضرب قفلها ضربة قوية فسقط وانفتح الباب.

كان مشاري نائماً، وعلى مخدته مسدسان، فلما أيقظته الضجة، وثب من فراشه وأخذ سلاحه وأطلق نيرانه على الأشباح الثلاثة التي دخلت غرفته، فقتل واحداً من صاحبي ابن الرشيد، وجرح الثاني، أما ابن الرشيد فشهر سيفه وبدأ بين الرجلين صراع عنيف، وكان مشاري يقبض بشدة على ذراع ابن الرشيد ويحاول انتزاع سيفه من يده، وخلال ذلك استطاع رفيق ابن الرشيد الجريح أن يستجمع قوته ويمسك بذراع مشاري، فأفلت منه ابن الرشيد وطعن مشاري في صدره عدة طعنات، سقط على أثرها قتيلاً، ثم قطع رأسه، وحمله إلى فيصل الذي كان ينتظر بقلق. . .

. . . استولى فيصل على القصر، وتمت البيعة له. .

وقد كافأ ابن الرشيد على هذه الخدمة بأن جعله نائباً عنه، أي سيداً على عشائر شمر، وكذلك أولاده من بعده».

قال أمين الريحاني، في كتابه «نجد وملحقاته» يصف معركة القصر:

يوم قتل الإمام تركي، كان ابنه فيصل في القطيف ومعه جنوده من قبائل شتى، فلما جاء يثأر لأبيه ودنا من الرياض خرج إليه وفد من المدينة يطلب منه ألاَّ يأذن بالدخول إليها غير أهلها من الجنود، لأنه إذا هجم عليها النجديون من غير الرياض قد يقاومهم الأهالي ليمنعوهم من احتلالها، فيحدث قتال في المدينة، فتولد المحنة محنة ثانية أشد من الأولى.

وكان مع فيصل رجل يدعى عبد الله بن الرشيد طرده من حائل أمراؤها يومذاك آل علي، فلاذ بآل سعود، فلما همَّ الجنود أبناء الرياض بالدخول إلى المدينة استفزت الحمية عبد الله فاستأذن فيصلاً بأن يكون معهم فأذن له فدخلوا الرياض بدون قتال، لأن أهلها كانوا من حزب تركي، وهجموا على القصر الذي تحصن فيه مشاري (وكان قصر دهام بن دواس سابقاً)، أما عبد الله ابن الرشيد فقد سبق

المهاجمين إلى «مفتول» (برج) من مفاتيل القصر، فرأى فيه رجلاً اسمه سويِّد، كان أميراً في جلاجل بسدير، وكان قد جاء يسلم على لإمام تركي دون أن يعلم بما حلَّ به، فرحب به مشاري وأنزله ذلك البرج في القصر.

قال عبد الله يخاطب سويِّداً: ما دخلك أنت بآل سعود؟

- وما دخلك أنت بآل سعود؟

فأجابه سويد: إني مغصوب!

فقال عبد الله: إذا جئتك بالأمان من فيصل، أترمي لنا حبلاً لنصعد إلى القصر؟

فقال سويد: إني من رجال تركي، وسأساعدكم بشرط أن يعطيني فيصل الأمان ويهبني نخل الداهنة.

فتواثق الرجلان، ورمى سويد بحبل فصعد ابن الرشيد إلى القصر وصعد وراءه عشرون من جنود فيصل، فتصادموا ورجال مشاري وتجالدوا، فجرح عبد الله في يده جرحاً بليغاً شوَّهها، ولكنه ورجال فيصل استولوا على القصر وحاقوا بمشاري ومن معه فقتلوهم.

عهد الإمام
فيصل بن تركي الأول
١٢٥٠ ـ ١٢٥٤ هـ

مراحل حياة الإمام فيصل بن تركي

عام ولادته: ١٢١٥ هـ/ ١٧٩٤ م تخميناً.

عام نفيه الأول إلى مصر: ١٢٣٤ هـ. (وبقي في المنفى تسع سنوات).

عام هربه من مصر: ١٢٤٣ هـ. (هرب فيصل من مصر وقدم على أبيه يوازره ويقوده كثيراً من حملاته).

عام ولايته الأولى: (١٢٥٠ ـ ١٢٥٤ هـ). (تولى فيصل الإمامة بعد وفاة أبيه، وبقي فيها حتى سنة ١٢٥٤ هـ).

عام نفيه مرة ثانية إلى مصر: (١٢٥٤ هـ). (نفي إلى مصر وبقي فيها أسيراً سجيناً حتى سنة ١٢٥٩ هـ. أي خمس سنوات).

عام هربه من مصر وعودته وتوليه نهائيًا: (١٢٥٩ هـ). (توفى فيصل الإمامة للمرة الثانية وبقي فيها حتى وفاته سنة ١٢٨٢ هـ. وكان عمره (٨٠) عاماً.

ويقول بيلي ويندر: تُوفي الأمير فيصل بداء الكوليرا في ١٣ رجب ١٢٨٢ هـ.

وفي صحيفة الخليج الفارسي: أصيب الأمير فيصل بالشلل ومات في ٢ ديسمبر بالرياض.

وفي كتاب عقد الدرر: في سنة ١٢٨٢ هـ لتسع بقين من رجب توفي الإمام فيصل.. في الرياض.

وفي كتاب خلاصة الكلام لزيني دحلان: «أصابت الإمام فيصل في آخر عمره غشاوة في عينيه فصار لا يبصر، فكان يوقف عنده بعض خدمه، يعرفون الناس ويخبرونه بكل من أقبل للدخول عليه قبل أن يصل إليه».

ولاية الإمام فيصل الأولى

(من عام ١٢٥٠ إلى عام ١٢٥٤ هـ)

يمكننا القول إن ولاية الإمام فيصل بدأت في النصف الأول من شهر صفر سنة ١٢٥٠ هـ، بعد مصرع مشاري واستسلام جماعته، ثم اجتماع المسلمين عى فيصل.

توطئة:

سنتتبع في حديثنا عن الإمام فيصل بن تركي، خلال ولايته الأولى، أسلوب الحوليات الذي اتبعه ابن بشر، ونورد روايته بنصها أو خلاصة عنها، ثم نظهر ما وقع فيها من أغلاط - إن وجدت - ونصحّحها، ونوضح كذلك ما ورد فيها من أخار مبهمة أو منقوصة مبتورة، جلاءً للوقائع التاريخية وأسبابها الحقيقية.

وأمر آخر بالغ الأهمية، لم ينبه عليه، فيما نظن، مؤرخو الإمام فيصل، وهو أن الوقائع التي وردت في طائفة من حوليات ابن بشر وعقد الدرر وغيرهما تظهر للقارىء أن الإمام فيصل كان رجلاً فتاكاً، يقتل رجال العشائر وينهب أموالهم ويسلب ممتلكاتهم ويدمرها..

كان ابن بشر في أوائل كتاباته عن فيصل يفسر لنا الأسباب التي حملت الإمام فيصل على إنزال العقوبات الشديدة بالبدو وقطاع الطرق، ولكنه أهمل ذلك فيما بعد.

ومن هنا وجب علينا أن نقوم بتبيان الظروف التي حملت الإمام فيصل، المعروف بحنانه ولينه وحبه لشعبه، أن يستعمل الشدة أحياناً، حفاظاً على أرواح الناس وسلامة ممتلكاتهم.

وكانت له، فوق ذلك، غاية مثالية، وسياسة حضارية أو تحضيرية، وهي: إلزام البدو باتباع أوامر الشرع، كالحضر تماماً، وحملهم على التخلي عن أعرافهم العشائرية المخالفة للشرع.

كيف استهل الإمام فيصل عهده؟

رسالته إلى أبناء شعبه

الإمام فيصل أول من حصر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بعددٍ محدد من العلماء الأتقياء، تتوافر فيهم شروط العلم والحلم والرفق ومنع الجهلة والمتزمتين من العدوان على الآخرين بحجة إلزامهم باتباع الدين..

يقول فيلبي في «تاريخ نجد»:

«... افتتح فيصل عهده بمؤتمر الرياض، الذي استمر شهراً كاملاً، حضره جميع فقهاء الدولة البارزين، ومنهم علي وعبد الرحمن، حفيدا الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وولدا حسين، اللذان كانا قاضيين في الحوطة والخرج.

ثم تبع هذا المؤتمر قيام زعماء مختلف المناطق والمقاطعات بزيارات التهنئة المعتادة، لتأدية فروض الطاعة، نيابة عن الأهلين في مناطقهم».

ويقول ابن بشر إن الإمام فيصل كان يحب العلماء ومجالستهم «وكان على طريقة آبائه في تعاهد الرعية بالنصيحة وإرسالها إليهم» وكانت رسائله إليهم تقرأ عليهم ويتداولونها في الجوامع والمجالس، لكل أهل ناحية ورقة، لا يغفل عن ذلك في كل سنة.

وكان بين الذين حضروا المؤتمر عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين، قاضي الوشم، ومحمد بن مقرن، قاضي **اللهزوم**، فأعزَّهما وأكرمهما، ولم يكتفِ بعلماء آل الشيخ، مع تقديره لهم.

رسالة الإمام فيصل إلى الشعب:

بسم الله الرحمن الرحيم

من فيصل بن تركي إلى من يراه من المسلمين، سلَّمهم الله تعالى..

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأما بعد..

فموجب الخط إبلاغهم السلام، لا زلتم في خير وعافية، والذي أوصيكم به: تقوى الله تعالى في الغيب والشهادة، والعمل بما يرضيه وتجنب معاصيه، والمعاداة والموالاة فيه.

قال الله تعالى: ﴿تعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله، إن الله شديد العقاب﴾.

وأهم الأمور تعلُّم ما فرض الله سبحانه من معرفة أصل دين الإسلام وأركانه وواجباته وجميع شرائعه، ومعرفة ذلك بالكتاب والسنة، وقوام ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا بد في كل ناحية طائفة متصدون لهذا الأمر، كما قال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾.

وقال تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون﴾.

وأنا ملزم كل من يخاف الله تعالى ويرغب في الفلاح أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وأن يكون الآمر مراعياً للشروط في ذلك بأن يكون عليماً فيما يأمر به، عليماً فيما ينهى عنه، حليماً فيما يأمر به، حليماً فيما ينهى عنه، رفيقاً فيما يأمر به، رفيقاً فيما ينهى عنه.

وألزم كل أمير يكون عوناً لهم، وهم خاصته في الحقيقة، عوناً له على ما حمله الله تعالى من الأمانة.

ويكون لديكم معلوماً أني واضع (الجوائز) عن المسلمين، الحاضر منهم والظاهر، إذا كانوا معروفين بأداء الزكاة من أموالهم الظاهرة والباطنة، وهي راجعة إليهم على الوجه المشروع، إن شاء الله تعالى.

والمطلوب منكم الاستقامة على هذا الدين والاجتماع عليه، وقد رأيتم ما في الجماعة من المصالح العامة والخاصة وما في التفرق من الشر في أمر الدين والدنيا.

أسأل الله تعالى «أن يمنّ علينا وعليكم بالقبول والعفو والعافية في الدنيا والآخرة والسلام».

الإمام فيصل يكرّم الأمراء والعلماء ويقرُّ قضاة أبيه في مناصبهم

يقول ابن بشر إن أمراء البلدان ورؤساء العربان وفدوا على الإمام من كل جهة «فهنّؤوه وبايعوه فأقرهم وأعطاهم وحباهم وكساهم، وأقر القضاة على أعمالهم في بلدانهم: الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب على بلدان الخرج، وأخوه عبد الملك في حوطة بني تميم وابن أخيهم حسين بن حمد في الحريق، والشيخ محمد بن مقرن على بلدان المحمل، والشيخ عثمان بن منصور على سدير، والشيخ عبد العزيز بن عثمان بن عبد الجبار على منيخ . . . وكذلك الباقون».

الشروع في جباية الزكاة:

وبعد الانتهاء من المؤتمر ومن زيارات الوفود . . شرع الإمام فيصل بإرسال جباته إلى جميع الجهات لتحصيل الزكاة المتوجبة على الأفراد لبيت المال.

ويقول فيلبي في كتابه: «تاريخ نجد» أن الإمام فيصل بلغه قيام فتنة في الأفلاج والدواسر «مما دعا الإمام فيصل إلى إرسال حملة عسكرية لإعادة النظام بين السكان.

ثم سار بجيشه لإقامة طويلة في (الشعرا) من مرتفعات نجد، وهناك أولى اهتمامه الأول نحو حاجات الناس الدينية، فجعل فقهاءه يفرضون على الأهلين حضور الدروس كل يوم بعد صلاة العصر، غير أنه لم يهمل حاجات الدولة الدنيوية وخصوصاً خزينتها، فقد ظلَّ الجباة يعملون بلا هوادة، وحين نمي إليه أن جماعة من قحطان هربوا فراراً من دفع الضرائب المستحقة عليهم، بحث الجند عنهم حتى وجدوهم، وقام فيصل، هو نفسه، يعاقبهم على فعلتهم عقاباً صارماً، فقتل زهاء الستين رجلاً أثناء هذه الإجراءات التأديبية، ومثل هذه

الحوادث شيء عادي كثير الوقوع في حياة الصحراء. ولا يعني السخط على الحكومة».

تحصيل الزكاة وغزو العربان في رواية ابن بشر:

أمر الإمام فيصل العمال أن يخرجوا مع الرؤساء «لقبض زكاة عربانهم. فركب مع رئيس كل قبيلة عامله».

ووقع اختلاف بين أهل وادي الدواسر، «فأمر الإمام جميع بلدان نجد بالمغزى، فاجتمعوا عنده في الرياض، واستعمل فيهم أميراً حمد بن عبد الله بن عياف، فسار بهم إلى الوادي، وقصدوا بلد اللدام المعروفة، فحصل بينهم مناوشة قتال، وسار بعض الغزو إلى بلاد الوداعين، وقاتلوهم. وأقام حمد والمسلمون في الوادي أكثر من شهر، ثم قفل راجعاً بمن معه من المسلمين، وبعده أقبل رؤساء الوادي وافدين على فيصل وبايعوه..

وفيها سار الإمام فيصل، بجميع رعيته من أهل الخرج والفرع والعارض والوشم والمحمل وسدير والقصيم وجبل شمر وغيرهم. فركب من الرياض في آخر شوال، ومعه الشيخ إبراهيم بن سيف. ونزل قرب بلد تمير المعروفة. وأغار على فريق من الدواسر، وهم في أرض العرمة فأخذهم. وقتل منهم عدة رجال. ثم رجع وأقام في منزله أياماً، واجتمع عليه باقي غزوانه، ثم رحل وقصد أرض نجد. ونزل الشعرا المعروفة، وأقام فيها نحواً من أربعين يوماً. وأمر المسلمين أن يجتمعوا عنده بعد صلاة العصر للدرس والمذاكرة.

ثم بعث عماله إلى العربان ليقبضوا منهم الزكاة، وهو في منزله ذلك، فبلغه أن ابن الدجما وعربانه من قحطان هربوا من العمال وامتنعوا عن الزكاة، فحشد بالمسلمين عليهم ودهموهم في مكانهم، وقتل منهم نحواً من ستين رجلاً وغنم المسلمون كثيراً من أموالهم من الإبل والغنم والأثاث وغير ذلك، ثم رجع إلى منزله في بلد الشعرا، ووفد عليه رؤساء العربان محمد بن فيصل الدويش رئيس مطير، ومحمد بن قرملة رئيس قحطان وغيرهم، وفي أثناء هذه الغزوة أقبل وفد أهل وادي الدواسر وألفوا عليه وهو في منزله في الشعرا، وطلبوا منه العفو والصفح عن ما جرى منهم. فعفا عنهم وبايعوه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة. وأرسل معهم أميراً.

عزل أمير الجبل:

في هذه الغزوة، عزل الإمام فيصل عن إمارة الجبل: صالح بن عبد المحسن ابن علي، واستعمل فيه أميراً عبد الله بن علي بن رشيد[(١)].

ويرى فيلبي أن هذا العمل لم يكن موفقاً، في نتائجه على الأقل. وأن الإمام فيصل «جلب على نفسه المتاعب في إقليم قصي، عندما قرر أن يكافىء عبد الله بن رشيد صديقه الحميم ونصيره الجبار في القضاء على فتنة مشاري، بتعيينه حاكماً لجبل شمر بدلاً من صالح بن عبد المحسن، حاكمه آنذاك، وكان هذا يمثل مشيخة العائلة الحاكمة في حايل.

وقد أرسل فيصل مع الأمير الجديد أحد الفقهاء البارزين ليلقن الأهلين مبادىء الدين الصحيحة، غير أنه حدث اضطراب في حايل من أثر هذا التعيين الجديد، بدأ بنزاع حدث في الجامع بعد صلاة الجمعة، وانتهى بفرار الحاكم المخلوع مع جميع أفراد عائلته إلى القصيم، بعد اشتباك شديد مع رجال الزعيم الجديد، فلما علم فيصل بالأمر أصدر تعليماته إلى أمير القصيم أن يلقي القبض على الفارين ويقتلهم، فنفذ الأمير ذلك وقتل صالحاً وبعض أفراد أسرته. بينما هرب الآخرون إلى المدينة المنورة.

وهكذا ظلَّ عبد الله سيد شمر المطلق تابعاً للدولة السعودية، ثم خلفه في الإمارة ولدان من أولاده. أما ابنه الثالث (محمد) فلم يكتفِ بأن يعمل على استقلال دولته استقلالاً تاماً عن الرياض. بل استطاع ضم الدولة السعودية إلى دولته حتى نهاية القرن».

---

(١) وفي ابن بشر أنه لما وصل «عبد الله بن رشيد إلى جبل شمر أميراً، وأقام فيه نحو الشهر، كثر القال والقيل بينه وبين صالح بن علي وأعوانه. فحصل بينهم مجادلة في المسجد يوم الجمعة، وشُهرت السيوف وأراد الفتك بهم، وتصادموا بينهم، فقام الناس فحجزوهم وهم في المسجد فخرج صالح وأتباعه، وقصدوا قصرهم ودخلوه. فحشد عليهم عبد الله بأعوانه وأهل بلدانه فحصرهم فيه، ثم أخرجهم بالأمان عن القصر وأخرجهم من بلدان الجبل، وقصدوا بلد بريدة، وكتب عبد الله إلى الإمام فيصل يخبره بالأمر. وذكر له أنهم الذين بدأوا بالشر وأرادوا القتل فينا والخيانة، فصدَّقه الإمام، ثم بعد ذلك أدركهم في بلدان القصيم وقتلهم».

انتصار على عساكر محمد علي
وهرب قائد العسكر أحمد باشا ومعه الشريف ابن عون

في هذه السنة (١٢٥٠ هـ)، التي استهل بها الإمام فيصل عهده، حدث في عسير حدث تاريخي يستحق التنويه به، فقد أرسل محمد علي، باشا مصر، مع أحمد باشا عساكر كثيرة وأمره أن يزحف بها، مصطحباً معه شريف مكة ابن عون، إلى اليمن لمحاربة عسير وإخضاعها، وقد وصلت العساكر إلى عسير، وأعلن قائدهم أنهم ما أتوا إلا لصلاح أهل هذه المنطقة وضمان طاعتها للسلطان العثماني، خليفة المسلمين، فرضي السكان بذلك، ولكن العساكر ما لبثوا أن طلبوا منهم أموالاً.. وحاولوا غير مرة اغتصاب النساء، فتذاكر رؤساء عسير الأمر ووجدوا حلاً بارعاً وهو أن يجمعوا جموعهم ويسيروا بنسائهم وأطفالهم، وهم يلعبون ويرقصون ويغنون، نحو العساكر، فوقفت العساكر «تتفرج» عليهم وتتضاحك، ولكن العسيريين كانوا يحملون أسلحة وسهاماً وسيوفاً فهجموا على العساكر وقتلوا كثيراً منهم، واضطر أحمد باشا وشريف مكة إلى الهرب نحو مكة، ولاذ الناجون القلائل من العسكر إلى الفرار أيضاً، نحو المرفأ ليستقلوا باخرة تحملهم إلى مصر.

«وقام أهل كل بلد من عسير على من عندهم من العسكر في بلدهم وقتلوهم، وأرسل أهل عسير إلى الإمام فيصل شيئاً من سلاح العسكر وخيلهم» - ابن بشر -.

كان لهذه الهزيمة أثر هائل في نفس محمد علي باشا، والي مصر، فكتب إلى شريف مكة، «محمد بن عون، وأحمد باشا رئيس مكة، وأمرهما بالقدوم إليه، فقدما عليه في مصر، فأمسك الشريف عنده، وأذن لأحمد باشا يرجع إلى مكة، وإنما أرسل إليهما جميعاً لئلا يرتاب الشريف، ويأبى القدوم إليه» - ابن بشر -.

ويقول فيلبي، في كتابه «تاريخ نجد»:

«... في هذه الفترة، كان الأتراك في الحجاز يحاولون جاهدين أن يسيطروا

على إقليم عسير بمساعدة شريف مكة محمد بن عون. غير أن الضرائب والغرامات الفاحشة التي فرضها الجيش الكبير، الذي وفد من أجل هذه الغاية، أدّت إلى رد فعل بين القبائل، فاحتشدت للهجوم على جيش العدو وأوقعت به شر هزيمة، ولم ينج من أفراده إلا القلائل الذين فروا إلى مكة مع أحمد باشا الشريف.

وعلى أثر ذلك استدعى محمد علي باشا، الشريف وأحمد باشا إلى مصر في صيف سنة ١٨٣٥ م واعتقل الشريف، أما لارتيابه في أنه لم يلعب دور التابع المخلص الأمين أو انتقاماً منه جزاء الفشل الذي منيت به الحملة».

ملاحظة هامة حول تاجر القهوة:

وهنا، لا بدّ لنا من لفت النظر إلى حقيقة الغاية التي كان يتوخاها محمد علي، باشا مصر، من إخضاع عسير، فلم يكن غرضه مجرد الاستيلاء على السلطة في عسير، فقد كان محمد علي تاجر دخان وقهوة في بلاده، ثم أصبح والياً في مصر، ولكنه بقي في أعماقه تاجر بن ودخان، واليمن كانت مشهورة ببنها، ولا سيما بلدة (مخا)، التي يدعى البن الممتاز حتى اليوم في الغرب باسمها (موكا). وهكذا عاد محمد علي، بعد هزيمة عسكره في عسير (اليمن) إلى جمع الجيوش وإرسالها إلى عسير مرة ثانية، ليضمن لنفسه السيطرة على تجارة القهوة، لا ليحكم اليمن سياسيًا!.

هذه الناحية أغفلها ابن بشر وكثير غيره من المؤرخين، مع أن نابليون بونابرت، حين احتلّ مصر اتفق مع شريف مكة على تسهيل إرسال البن إلى مصر بكميات كبيرة، كما كان الشأن سابقاً.

وثائق روسية بالغة الأهمية

عن معارك عسير.. وغضب محمد علي

تحدثت الأوساط الدبلوماسية الأجنبية في مصر وإستانبول عن هزيمة العسكر المصرية في عسير أحاديث يغلب عليها الصدق، وقد وجدنا في مجموعة الوثائق التي اكتشفت في القنصلية العامة الروسية في مصر، التي عرفت بشدة اهتمامها بسياسة مصر، عدداً من الرسائل بعث بها قنصل روسيا (دوهميل) إلى وزير الخارجية الروسية عن حروب عسير ومواقف محمد علي وشريف مكة وغيرهما، فحرصنا على ترجمتها وإثباتها في كتابنا.

ومما يلفت فيها النظر أن محمد علي قال لقائده (أحمد باشا) بعد هربه وعودته إلى مصر هذه الكلمة الغاضبة القاسية:

(لقد ذهبت كالأسد. . . وعدت كالهر)

الوثيقـة الروسيـة

«١»

من دوهاميل إلى كانازاكي - ٢٠ تموز ١٨٣٥ م:

«ليس لدينا سوى معلومات غامضة ومتناقضة عن قضايا الجزيرة العربية، وعلى كل حال أسهل على الباشا أن يحتل هذه البلاد من أن يحتفظ بها، وهو لم يحصل حتى الآن على أية نتيجة تعادل ما أنفقه من مال ومن ضحايا في اليمن.

إن هذه الحملة نُظِّمت ونُفِّذت من غير تفكير وروية، ولم يحسب الباشا ما تفرضه عليها من تضحيات وما يعود عليه منها».

«٢»

من دوهاميل إلى نسرود ـ أغسطس ١٨٣٥ م:

«استناداً إلى رسالة من الوكيل البريطاني في جدة، يبدو أن رجال (ألمع)، الذين صالحوا كجك إبراهيم باشا، قد تعهدوا بتسليم جمال إلى الجيوش المصرية والمحاربة معه ضد قبائل عسير.. ولقد تقهقرت قبائل عسير، فاستدرجوا بذلك العساكر المصرية إلى الداخل، ثم فاجأوها بالهجوم، وانقلب رجال ألمع هم أنفسهم على الغزاة وحاربوهم من خلف، وهكذا مزّقوا الجيوش المصرية تمزيقاً.

لم يخسر المصريون كثيراً عند احتلالهم للموانيء، ولكنهم أخطأوا بتعمقهم في الداخل وقد هرب شريف مكة وإبراهيم باشا إلى القنفذة.

وسيرسل محمد علي فرقاً أخرى، وربما قادها خورشيد باشا، وزير الحربية بنفسه».

«٣»

من دوهاميل إلى نسلرود ـ ٢٧ سبتمبر ١٨٣٥ م:

«.. بعد هزائم المصريين في اليمن، ستذهب الفرقتان ١٢ و ١٥ إلى جدة. وستعود الفرق الثلاث الموجودة في الحجاز التي تناقصت أعدادها، إلى مصر لتبدل بغيرها، وسيؤخذ لها رجال من الشام، وتؤلف فرقتان من الزنوج، وهكذا يصبح في الحجاز ٩ فرق من ٢٥ ألفاً. وعندي أن طبيعة الجزيرة العربية لن تسهل عمل هذه الفرق، وسيعاني أفرادها كثيراً من الأمراض وسوء الطقس وعناء الجبال والوديان والصحارى.

إن خورشيد باشا ضرب عسير في المكان الملائم، وهو يريد أن يكون مع جيشه المقاتل في عسير مؤن تكفيه لمدة خمسين يوماً، ويرى أن الجمال عنصر أساسي في نجاحه بالحرب».

«٤»

من دوهاميل إلى نسلرود ـ ٢٤ شباط ١٨٣٦ م:

«وصل إلى القاهرة أحمد باشا، القائد السابق لجيش الحجاز، ومعه شريف مكة، الذي تعتقد الحكومة المصرية أنه معادٍ لمصالحها، وعلى علاقة سريّة مع

رجال اليمن، وأنه من أسباب إخفاق العمليات الحربية ضد عسير. لقد ستقبلوهم بمظاهر الحفاوة والتكريم، ولكن محمد علي لم يستطع أن يمنع نفسه من أن يقول لقائده أحمد باشا:

«لقد ذهبت كالأسد، وعدت كالهر»

إن أسرة الشرفاء في مكة كانت تحكم مكة دائماً بواحد من أفرادها، والسلطان العثماني لم تكن له سلطة حقيقية في مكة، وكانت تقوم منافسة ومنازعة بين شريف مكة وحاكم جدة التركي.

والشريف غالب كان أحد الشرفاء الذين يتمتعون بسلطة رهيبة، وكان السعوديون والترك يحترمونه.

في زمان غالب، جاء محمد علي لمحاربة السعودية، وكانت معه تعليمات سرية من إستانبول بأن يتخلص من الشريف غالب، ويرسله سجيناً إلى مصر ثم ينفيه إلى (سالونيك).

نفّذ محمد علي هذه التعليمات، وعيَّن شريفاً بدلاً منه وهو الشريف (يحيى)، وسلبه من كل سلطاته، وجعله موظفاً عند الحكومة المصرية.

إن (يحيى) هذا هو الذي وصل إلى القاهرة، ومع أنه مدين بمنصبه إلى محمد علي، ولكنه أنف من تفاهة السلطة المتروكة له، واتصل سراً بعرب اليمن.

هذا ما يقال في القاهرة، ويقال أيضاً إن بعض رسائل الشريف صودرت منه، وهي تثبت تآمره، وعلى كل حال، فقد استعملوا الحيلة، حتى أحضروا الشريف إلى مصر في نفس الباخرة التي أقلّت أحمد باشا».

قـدوم دوسـري من مصـر

يقول ابن بشر، في أخبار سنة ١٢٥١ هـ:

«فيها قدم دوسري بن عبد الوهاب أبو نقطة من عند محمد علي، باشا مصر. وكان دوسري في مصر من حين نقلهم إبراهيم باشا ومحمد علي وقت حرب الدرعية، فأرسله محمد علي إلى فيصل، يطلب منه مطالب وخراجاً، وذلك حين أراد أن يجهز العساكر مع خالد بن سعود، فأراد ذلك جرأة على ما أراد، فأرسل فيصل أخاه جلوي بهدية لرئيس مكة أحمد باشا، فوصل إلى مكة وأقام بها إلى وقت الحج ثم رجع».

وفي اعتقادنا أن رواية ابن بشر ناقصة وغامضة. فماذا كان رد الإمام فيصل على مطالب دوسري؟ ولماذا أرسل فيصل أخاه جلوي إلى مكة بعد وصول دوسري؟

إن (ويندر) يوضح لنا ما فات ابن بشر توضيحه، فيقول:

«بدأ فيصل يشعر بضغط المصريين منذ عام ١٨٣٦ م، وأول ما عرف من ذلك هو مجيء (دوسري) الخائن، الذي طلب من (فيصل) مطالب وخراجاً ـ كما يقول ابن بشر ـ وهو، بالفعل، أراد إشراك (فيصل) في حملة ضد عسير، وطلب منه الإسهام في هذه الحملة بعدد كبير من الجمال.. ولكن الإمام فيصل رفض تقديم الجمال لأنهم طلبوا منه عدداً كبيراً فوق طاقته، كما أنه اعتذر.. عن الاشتراك في هذه الحملة بسبب مرضه، وأرسل أخاه (جلوي) إلى مكة ليقابل أحمد باشا، وحمَّله إليه هدية من الجياد العربية ورسالة لطيفة».

محمد علي قرَّر التخلص من فيصل وأمر بقتاله وأسره..:

يقول ويندر:

«المظنون أن فيصلاً بعث سراً مساعدات إلى حلفائه في عسير.

وقد أراد محمد علي التخلص من فيصل، فأمر الجنرال إسمعيل بك، قائد

بوليس القاهرة، أن يذهب إلى الجزيرة العربية، على رأس فرقة مختلطة من الأرناؤوط والترك والمغاربة والمصريين والبدو، وتجهيزها بمدفعية كافية، لمساعدة خورشيد وأحمد باشا، في القضاء على الدولة السعودية!

بدأ إسماعيل بك رحلته إلى الجزيرة في شهر تموز، من عام ١٨٣٦ م.

عرف فيصل بأمر إسماعيل بك منذ وصوله إلى ينبع... وأدرك أنه ذهب بعيداً.. فشرع يرسل مندوبيه لوقف الهجوم، وعرض أن يقدم إلى خورشيد خمسة آلاف جمل.. ولكن خورشيد طلب خمسة عشر ألف جمل، لأنها ضرورية لحملة عسير. وقد رفض فيصل ذلك، فكان الهجوم على نجد»[(١)].

الاتفاق مع أمير البحرين ورفع الحصار عن القطيف والعقير:

قال ابن بشر، في أخبار سنة ١٢٥١ هـ:

«وفيها، في ربيع الآخر، بعث الإمام فيصل زويداً ومعه مائة مطية إلى ناحية القطيف، فأمر فيه ونهى وعزل رجالاً وأثبت رجالاً.

ووفد ولدا أمير القطيف ابن غانم، وابن عبد الرحيم أمير سيهات على الإمام فبايعوه على السمع والطاعة».

ويقول ابن بشر، في أخبار سنة ١٢٥١ هـ أيضاً:

«وفيها أقبل أولاد عبد الله بن خليفة، وافدين على فيصل فأكرمهم، ثم أذن لهم بالرجوع إلى بلادهم».

ويندر يكمل رواية ابن بشر:

هنا يبدو لنا كلام ابن بشر مختصراً جداً.. وغير كامل.. ومغفلاً لكثير من الأحداث الهامة التي ترتبت على مجيء الوفد البحريني إلى الرياض.

ويمكننا الرجوع إلى ويندر لسد هذه الثغرة، فهو يقول لنا إن أمير البحرين كان محاصراً للقطيف والعقير، وإن زويد قام بمهاجمة جزيرة تاروت ـ التي كانت لا تزال في يدي أمير البحرين ـ تحدِّياً له، وليضطره إلى رفع الحصار عن القطيف والعقير.

وكان السعوديون قد بدأوا بمساعدة بعض العناصر الثائرة في البحرين.

---

(١) انظر كتاب ويندر، الموضوع باللغة الإنكليزية «العربية السعودية» في القرن التسع عشر.

ثم حدثت ظروف خارجية دعت إلى تقارب أمير البحرين والإمام فيصل . وذلك أن الفرس بدأوا في صيف عام ١٨٣٦ م بتهديد البحرين . كما بدأت نيات المصريين نحو نجد تتضح من جهة ثانية . وهكذا اتفق الإمام فيصل وأمير البحرين على ما يأتي :

١ ـ يدفع أمير البحرين إلى فيصل كل سنة (٢٠٠٠) دينار «تالر ماري تيريزا» .

٢ ـ يحمي فيصل البحرين من العدوان الخارجي .

٣ ـ يرفع أمير البحرين الحصار عن القطيف والعقير .

٣ ـ أمير البحرين غير ملزم بتدبير السفن لفيصل . فيما إذا أراد غزو عمان .

وقد أرسل أمير البحرين (عبد الله بن أحمد) عدداً من أولاده إلى الرياض للتصديق على هذه الاتفاقية .

فهذا هو سبب حضور أولاد خليفة إلى الرياض . وهو ما أغفله ابن بشر .

وقالت صحيفة «الخليج الفارسي» :

في عام ١٨٣٦ م حاول ممثل السعوديين في البحرين . بأمر من الإمام فيصل . دفع حاكم مسقط وبعض عشائر الشاطىء العربي إلى مهاجمة البحرين من البحر . لمصلحة السعوديين . ولكن حاكم عمان أجاب أنه لا يستطيع القيام بمثل هذا العمل إلا بمعرفة الحكومة البريطانية ومشورتها . وهكذا أخفقت المحاولة .

وبعد مدة قصيرة جداً ، جرت مصالح بين الأمير السعودي وشيخ البحرين ، اللذين أصبحا ، جميعاً ، في خطر . فالإمام فيصل تتهدده مطامع المصريين . وشيخ البحرين تتهدده «مطامع الحكومة الإيرانية» ، وكانت النتيجة معاهدة يلتزم فيها شيخ الكويت بدفع (٢٠٠٠) دينار سنويًا إلى الإمام ، ويلتزم الإمام بحماية الشيخ من كل عدو خارجي ، ويتخلى فيصل عن مطالبة البحرين بإمداده بالمساعدة في حالة مهاجمة فيصل لسلطان عمان .

تجربة مشبوهة

عبد الله بن مشاري

لا يذكر «ابن بشر» شيئاً عن (عبد الله بن مشري) ، التاجر البحراني ، الذي أرسله (محمد علي) إلى ميناء (العقير) لتحصيل الرسوم الجمركية . .

وهذا النقص أتمه لنا (بيلي ويندر)، قال: إن (أحمد باشا)، ممثل محمد علي في مكة، هو الذي أرسل هذا التاجر وأعطاه رسائل إلى الإمام فيصل وأمير البحرين وسلطان مسقط، يقول فيها إن (عبد الله) المذكور التزم زكاة (القطيف) لقاء مبلغ عشرين ألف دينار «مريا تيريزا» ويطلب منهم أن يسهلوا مهمته . . .

صحيفة الخليج الفارسي:

وتزيد صحيفة الخليج الفارسي هذه المكيدة وضوحاً، فتقول لنا:

إن محمد علي لم يكن راضياً عما آلت إليه الأحوال في نجد، لأنه فقد كل سلطة، ولذلك اتخذ التدابير التي عتقد أنها تعيد سلطانه على البلاد النجدية، وكانت المرحلة الأولى في هذا الطريق اختياره تاجراً بحرانيًّ هو (عبد الله بن مشاري)، ليتولى تحصيل الرسوم الجمركية في ميناء العقير، وكان هذا التدبير غير مقصود لذاته، وإنما كان اختباراً يراد منه معرفة حقيقة السلطة المصرية في القطيف، وهل هي التي تتولى الأمور السياسية والمالية، أم أن أمير نجد الإمام فيصل، هو الذي يسيطر ويحكم هناك.

وكانت نتيجة الاختبار غير مرضية إطلاقاً لمحمد علي . .

ذلك أن الإمام فيصل طرد مشاري هذا من القطيف.

الإمام فيصل يستغني عن مطاردة مانعي

الزكاة بمجرد تلويحه بالقوة . .

يقول ابن بشر أن الإمام فيصل سار «بجند المسلمين من العارض والخرج والفرع والأفلاج ووادي الدواسر والقصيم والجبل والوشم وسدير وغيرهم وجميع غزو العربان، فنزل: (روضة التنهات) المعروفة عند الدهنا، وأقام فيها أكثر من شهرين، وذلك لأنه بلغه أن بعض العربان فيهم امتناع عن الزكاة، فإذا سمعوا بخروجه سمعوا وأطاعوا، فوفد عليه رؤساء العربان وأرسل إليهم عمالاً، لكل فريق عامله، فقبضوا منهم الزكاة.

وألفى عليه أخوه (جلوي) في أثناء تلك المدة، فقفل راجعاً إلى وطنه، وأذن لأهل النواحي يرجعون إلى أوطانهم».

عهد خالد سعود وخورشيد المستبد

١٢٥٢ ـ ١٢٥٤ هـ

مكيدة محمد علي للسيطرة على نجد

خالـد سعـود:

تقول (صحيفة الخليج الفارسي):

«في عام ١٨٣٦ م احتشدت قوة مصرية كبيرة في المدينة، وأصر (محمد علي) على أن ينضم (فيصل) مع رجاله إلى حملة أراد شنها ضد عسير، ولكن فيصلاً اعتذر عن ذلك بمرضه، وأوفد أخاه بدلاً منه، حاملاً معه عدداً من الجيد هدية . . . .

وكان يُعتقد يومئذ أن (فيصل) كان يرسل إلى الثائرين على المصريين في الجنوب بعض المساعدات سراً . . لذلك قرَّر محمد علي أن يخلع فيصلاً ويولي مكانه أميراً طيِّعاً في خدمته، ووقع اختياره على (خالد بن سعود)، فرفع عنه الرقابة المفروضة عليه في القاهرة، وأرسل إسماعيل بك على رأس قوة مصرية إلى نجد، وأمره أن يساعده (خالد) على تولي الحكم في نجد، حيث له، فيما يظهر، بعض الأنصار . .

ولمَّا عرف فيصل بهذا الأمر، أرسل الموفدين والرسائل إلى محمد علي باشا . . . ولكن مساعيه جاءت بعد فوات الأوان».

من هو خالد بن سعود؟

هو ابن سعود الكبير (سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود)، وكان لونه يضرب إلى السواد، لأن أمه جارية حبشية، ربَّاه (محمد علي) في مصر تربية أوروبية، وأراد استخدامه في تجزئة نجد وإخضاعها، وكان عمره حين وصل إلى نجد حوالي ٢٣ سنة، وقد عرف بالاسترسال باللهو والملذات.

قال عنه زيني دحلان:

«كان خالد من الأسرى الذين قبض عليهم إبراهيم باشا سنة ١٢٣٣ هـ وأرسلهم إلى مصر فكبر وتربى بمصر، فاستحسن محمد علي أن يجعله أميراً في بلاد آبائه، فأرسله صحبة خورشيد ورتب له المرتبت الجزيلة.. فأقام خالد في الرياض ومهد له الأمور إلى أن استقر»[1].

وقال عنه سليمان الدخيل:

«قبض على زمام الأمور - بعد الإمام فيصل - الأمير خالد بن سعود، وقد ساعدته الحكومة المصرية على نيل هذه الرتبة بما بذلت له من المال والرجال، إلا أنه لم يسلك سُنَّة آبائه في السياسة، بل سار على نهج المصريين، فأنكر عليه أهل نجد أعماله وسلوكه ونفرت منه القلوب ولم يبق شيئاً مذكوراً في نظرهم.

كانت أمه جارية حبشية ذكية فطنة جداً.

وما زال مكبًا على لهوه حتى أجمع أهل نجد على خلعه سنة ١٢٥٧ هـ ١٨٤١ م»[2].

حركة بارعة من محمد علي؟

إرسال خالد إلى نجد

قال فيلبي في كتابه (تاريخ نجد):

«إنها لحركة بارعة من محمد علي أن يشرك معه في مشروع الإغارة على نجد شخصاً قد يعتبره النجديون الوارث الشرعي لأمجاد البيت الحاكم.

وفي أواخر سنة ١٨٣٦ م أو في بداية السنة التالية، وصل خالد هذا إلى ينبع، وكان يصحبه إسماعيل آغا، القائد التركي للحملة التي قدر عددها بألفي مقاتل أما فيصل فأرسل جاسوساً مع بعض الهدايا إلى إسماعيل، وكلفه أن ينقل إليه ما ينوي القائد عمله، وبناءً على المعلومات التي نقلها الجاسوس عن تقدمه ماراً إلى الحناكية، فالقصيم، وتمشيًا مع نصيحة عبد الله بن رشيد والزعماء الآخرين الذين

(١) زيني دحلان: خلاصة الكلام في أمراء البيت الحرام.

(٢) مقال الدخيل في مجلة «لغة العرب» البغدادية لصاحبها أنستاس الكرملي، قبل الحرب العامة.

كانوا موجودين في الرياض آنذاك، قرر فيصل احتلال القصيم، استباقاً للعدو ولئلا يؤدي وصول إسماعيل إلى خضوع أهلها، وبعد أن أصدر أوامره إلى قواته بوجوب الاحتشاد في مكان معين يقع في الشمال، غادر الرياض في شهر آذار عن طريق (خفيسة) إلى (صريف)، وهناك علم بأن إسماعيل وخالداً قد وصل إلى الرس فانتقل إلى عنيزة، حيث انضم إليه جنودها وجيش بريدة، تحت قيادة أمرائهم في زحفهم على موقع رياض الخبرة، القريب من الرس.

وبعد مناوشات غير منتظمة ورفض سكان شنانة، الذين ذهب أمراؤهم إلى الرس للمفاوضة على شروط الاستسلام، أن يسمحوا لقوة من جيش فيصل بدخول المدينة، انسحب فيصل إلى عنيزة، وكان هذا بدء انهيار القوات السعودية».

خالد بن سعود المزيف

خالد بن سعود المزيف جاء إلى نجد قبل خالد الحقيقي:

قال ابن بشر في أخبار سنة ١٢٤٨ هـ:

«وفيها جاء رجل من مصر وادَّعى أنه خالد بن سعود، وقدم بريدة، وتزوج فيها.

وأمر الإمام (تركي) أهل البلدان بإكرامه والقيام بما ينوبه من بيت المال، فلما أقبل على الرياض، تلقاه وأكرمه.

فلما قدم الرياض عرفه أناس، يعرفون خالداً في مصر، أنه غيره، وأنه تسمَّى عليه، فهرب من الرياض إلى مصر.

وقيل: إن محمد علي، باشا مصر، قتله».

رواية ابن بشر المفصَّلة عن قدوم خالد بن سعود

قال ابن بشر في أخبار سنة ١٢٥٢ هـ:

«في هذه السنة ظهر العسكر المصري مع إسماعيل آغا، أمير لواء، وخالد بن سعود، وكان خالد انتقل من الدرعية مع آل سعود حين نقلهم إبراهيم باشا إلى مصر، فظن محمد علي، باشا مصر، أن أهل نجد يطيعون إذا رأوا (خالد)، أو أنهم يطيعون له ويصيرون تحت أمره، وأظهره مع تلك العساكر تقيةً ليتوصل به إلى مراده ومقصوده.

فسارت العساكر من مصر، وهم نحو ألفين ما بين راجل وفرس، فلما وصلوا إلى ينبع، البندر المعروف بين مصر والمدينة، بلغ خبرهم الإمام فيصل فأرسل إليهم محمد بن ناهض الحربي، رئيس قصر بسام بهدية لهم، ويستفحص خبرهم، فقدم إليهم ورجع إلى فيصل وأخبره بيقين خبرهم، ثم أنهم رحلوا من ينبع وقدموا (المدينة)، ثم رحلوا منها ونزلوا الحناكية المعروفة. فلما بلغ الإمام فيصل مسيرهم، استشار رؤساء رعيته لذين معه في المسير إليه أو عدمه، وكان الأمير عبد الله بن علي بن رشيد، رئيس جبل شمر عنده، وافق قدومه وافداً على الإمام ومعه الشيخ عبد العزيز بن عثمان بن عبد الجبار، أرسله الإمام إليهم لما أقبل الموسم قاضياً في الجبل، فأشار على فيصل بالنفير والمسير، وأنه يقصد القصيم ويقيم فيه وينزل قبل أن يقدم إليهم العساكر، فيجيبون ويتابعونهم، فيكون نزوله عندهم فيه ثبات لهم، وردة عن عدوه، فاستنفر الإمام أهل النواحي من رعيته من الأحساء والجنوب إلى ما يليه من البلدان إلى جبل شمر وما حوله من العربان، وركب من الرياض في آخر شوال، ونزل الخفيسية، الماء المعروف عند الدهناء، وأقام فيها أياماً واجتمع باقي غزواته، ثم رحل منها ونزل الصريف، الماء المعروف، قرب بلد التنومة من أرض القصيم، فأقام عليه أكثر من شهر حتى بلغه أن خالداً وإسماعيل وعساكر الترك نزلوا بلد الرس، فرحل فيصل بجنوده وقصد بلد (عنيزة) فنزلها واستنفر أهلها، فركب معه أميرها يحيى بن سليمان، ثم رحل من عنيزة واستنفر رئيس بريدة فركب معه عبد العزيز بغزوه، وسار بتلك الجنود ونزل في رياض بلد الخبرا، المعروفة بين الرس والخبرا، وذلك في أيام التشريق، فأقام في مكانه ذلك أكثر من عشرين يوماً، وهو ملازم عساكر الترك في الرس ومحارب لهم، ولم يحصل بينه وبينهم قتال ولا طلع عليه أحد منهم.

وكان فيصل كاتَبَ أهل بلد شنانة المعروفة عند الرس فطلبوا منه أن يرسل إليهم سرية تكون عندهم فأرسل إليهم مائة مطية مع زويد العبد، خادم الإمام، فرحلوا إليها بعد صلاة العشاء فلما وصلوها وجدوا أميرهم في الرس، وقال لهم أهلها: لا نقدر ندخلكم إلا بحضور الأمير! فوقع الفشل في تلك السرية. وانصرفوا إلى فيصل، فلما قدموا إليه استلحق رؤساء قومه واستشارهم في الرحيل أو المقام، فأشاروا عليه أن يأمر راحلته وزهابه وعليق خيله وجميع ثقله يرحلون ويقصدون بلد عنيزة، ثم يشن الغارة بمن معه من جنود المسلمين على بعض فرقان البدوان الذين تابعوا العسكر، ثم يرجع قافلاً إلى عنيزة أو بريدة، فأمر الإمام أهل الراحلة

بالرحيل، فلما شدت رحائلهم وشيل عليها، ظن أناس من أطراف الغزو أن القوم راحلون ومنهزمون فشالوا على رواحلهم، ووقع في المسلمين فشل. فأمر فيصل رجاله وخدامه بتسكينهم، وضرب من رحل منهم وانهزم، فقدم الرجال عليهم ودبو فيها فسكنوا عند ذلك وبتوا مكانهم. فلما كان بعد صلاة الصبح وطلعت الشمس ركب فيصل بجنوده من ذلك الموضع، ووقع بالمسلمين فشل وخفة. فثقل فيصل وفرسان قومه في ساقة جنودهم. وقصد عنيزة ونزلها، وذلك يوم الجمعة لخمس بقين من شهر ذي الحجة. فلما نزل عنيزة شاور رؤساء قومه في المقام فيها أو الرحيل، فاقتضى رأيه أن يرحل بعزيزته ويقصد بلده. . فرحل الإمام من بلد عنيزة وأذن لأهل النواحي يقصدون بلدانهم، وقصد الرياض ومعه أهل الخرج وأهل الفرع ومحمد بن قرملة رئيس قحطان وأرخص له في أرض ثادق، فلما وصل فيصل بلد الرياض نزل بخيامه وثقله وركابه خارج البلد ومعه غزو أهل الجنوب من أهل الخرج والفرع وغيره ودخل البلد على خيله برجاله، فلما دخل البلد رأى منهم ما يريبه، وجاهر منهم رجال بالعداوة. فأخذ فيصل يهيىء ما في القصر من سلاح وأمتاع وفرش ودراهم وغيرها، فدخل عليه رجال من أهل الرياض وحدث عليه منهم ما أوقع في قلبه الخوف منهم، ثم سار عليه أناس وحصلت مجاولات.

فلما رأى الإمام فيصل ذلك اقتضى رأيه السديد وعمله الرشيد أن يفت في أعضادهم بالعطاء، فبذل الدراهم لكل من حاذر منه وخاف شره، لأنه خاف منهم أن يمنعوه لا يخرج بشيء من القصر يريدونه لخالد. ومنهم من جاهره بهذا الكلام. فلما بذل لهم ذلك سكتوا عنه وتركوه، فأخرج جميع ما كان في القصر من كل غال ورخيص وحال، وجعله عند رحائله وخيامه مع غزواته أهل الجنوب، وأكثر ذلك أخرجه بخفية، فلما استكمل ما أخذه من القصر وأراد الخروج منه إلى خيامه، خاف من رجال منهم على خيله وما معه، فأرسل إلى من عند الخيام من الرجال يرحلون بجميع ما معهم، ثم خرج من القصر على خيله دفعة واحدة، ووقف رجال من أعوانه حتى خرج من البلد، فلحق بما له وأحماله مسروراً سالماً من الشرور، ومعه من الخيل نحو أربعمائة عتيق، ومن العمانيات والنجايب عدد كثير، فأنجاه الله وما له من البغاة وسلمه خالقه من الآفات، فلما وصل الخرج أقام فيه عشرة أيام. واستلحق بعض أهله وشيئاً من باقي أمتاعه، ووصلوا إليه بالسلامة ولحقه عدد رجال من خدمه وغيرهم.

ثم رحل من الخرج وقصد الأحساء، فلما وصل إليه نزل في الرقيقة المعروفة، وظهر إليه عمر بن عفيصان ورؤساء أهل الأحساء، وبايعوه على نصرته والقيام معه، وظهر ابن عفيصان من قصر الكوت المعروف ونزل فيه فيصل بعياله وأثقاله، وأقام في الأحساء آخر عاشوراء، وصفر وربيع الأول من سنة ثلاثة وخمسين، ووفد عليه رؤساء العربان من مطير والعجمان والسهول وسبيع وغيرهم. رجعنا إلى تمام قصة إسماعيل وخالد وعساكرهم ولما بلغهم رحيل فيصل من أرض الخبرا رحلوا من الرس ونزلوا الخبرا ثم رحلوا منها وقصدوا بلد عنيزة فأغلق أهلها عنه الأبواب وحاربوه، ثم وقع بينهم الصلح وخرج إليهم يحيى ورؤساء بلده، ثم ركب إليهم رئيس بريدة عبد العزيز وتابعهم، ثم تابعهم بقية بلدان القصيم».

بعد ظهور خالد وإسماعيل

نصيحة الشيخ عبد الرحمن للإمام فيصل

تحدث الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن عبد الوهاب في رسالة نشرت في كتاب (الدرر السنية في الأجوبة النجدية) عن نصيحة أسداها للإمام فيصل، الذي استشاره في الغزو أو الإقامة في الرياض بعد ظهور خالد وإسمعيل، وما أعقب ذلك، وهذا ما جاء فيها:

استشارنا (فيصل) رحمه الله في الغزو والإقامة، فأشرت أن اخرج بالمسلمين، ويكون في (البطينيات) من (الدجاني) إلى ما دونه، وينزل قريباً من العربان لأن أكثر رعيهم من الدهناء ويؤلف كبارهم بالزاد، وينقل البر من سدير والوشم، وزاد الأحساء والقطيف من تمر وعيش، ويقرب كبار العربان منه بالزاد، وكذلك من معه من المسلمين، ويصير له رجال في القصيم عند من ثبت وينتظر، فلو ساعد القدر وتم هذا الرأي لم يقدر العسكر أن يتعدى القصيم للوشم والعارض وخافوا من قطع سابلتهم ولا لهم قدرة على حرب فيصل وهو في ذلك المكان، فلو قدرنا أن بعض عساكرهم يريد أن يقصده هلكوا من الدهناء والصمان إذا ماج عن وجوههم يوماً أو يومين، فلو قدر أن يفعل هذا الرأي لما ظفروا به ولا وصلوا إلى بلده لأسباب معروفة.

لكن لما أراد الله سبحانه صيانة أهل الرياض في الإمام فيصل، وهم معه في

الصريف، قدم الرياض وتركها لهم[1] خوفاً منهم، فسروا على الفرع هم والذين معه من البادية والحضرة، وصار هلاكهم أن هجموا على الحلوة على غفلة، وأخلى أهل الحلوة البلد لهم، وأراد الله أن تركي الهزاني وبعض أهل الحوطة يغيرون عليهم وكسر الله تلك العساكر العظيمة في ما بين قتل وهلاك، وصاروا يتتبعونهم موتى تحت الشجر، يأخذون السلاح والمال، والذي أغار عليهم ما يجيء عشير معشارهم فصارت آية عظيمة، ورجع أقلهم إلى الرياض وساعدهم من سعدهم، والله حسيبهم، وتصلبوا إلى أن جاءهم (خورشيد) مدداً، ونزل (فيصل) الدلم، وأشير عليه أنه ما يقعد به ويتحصن بمن معه من المسلمين في بعض الشعب التي بين الحوطة ونعام ويجعل ثقله وراءه، فإن حصل منهم عسير جهدهم بأهل تلك القرى، ولا أراد الله أن يفعل ذلك، فلما تمكنوا من (فيصل) وأخذوه أرسلوه إلى مصر، صار عسكرهم في ذهاب وعذاب وفساد فأوقع الله الحرب بين السلطان ومحمد علي، ورد الله الكرة لأهل نجد فرجعوا كما كانوا أولاً على ما كانوا عليه قبل حرب هذه الدولة، كما قال تعالى في بني إسرائيل: ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾، فنسأل الله أن يمنّ علينا بالإحسان وينفي عن أسباب التغيرات إنه ولينا وهو على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

والمقصود بما ذكرنا هو الاعتبار بأن الله حفظ هذا الدين ومن تمسك به وأيَّدهم بالنصر على ضعفهم وقلتهم، وأوقع بأسه بهذه الدول على قوتهم وكثرتهم وأسباب كيدهم، ثم إن الله تعالى أهلك تلك الدول بما جرى عليهم من حرب النصارى في بلد الروم، فكل دولة سارت إلى نجد والحجاز لم يبق منهم اليوم غير عين تطرف، وكان عددهم لا يحصيه إلا الله تعالى فهلكوا في حرب النصارى فصارت العاقبة والظهور لمن جاهدهم في الله من الموحدين الخ . . .

(١) مما يلفت النظر أن ابن بشر يقول أن الشيخ عبد العزيز بن عثمان بن عبد الجبار هو الذي أشار على الإمام فيصل بمغادرة الرياض إلى القصيم، وليس ما يمنع أن تأتي المشورة من اثنين.

حاكم بغداد العثماني يعرض على فيصل مساعدته ماليًّا وعسكريًّا.. لارتباط فيصل بالخليفة العثماني!

في ١ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٣٧ م أرسل علي باشا، حاكم بغداد العثماني، الرسالة الآتية إلى فيصل:

«لم أتلق أخباراً منكم، منذ وقت طويل، لكن عرفت بعزلكم، وأن خالد سعود قد هاجمكم، وأنه اجتاح المقاطعات التي تحكمونها.

إنني أرجو الله أن ينصركم على أعدائكم، وبما أنني أعلم أنكم مرتبطون بالباب العالي بحكم الواجب، وأنكم مهتمون بحمايته، ولذلك فأنا لا أفتأ أعرب عن التمنيات لسعادتكم والسؤال عن أخباركم، وأنا أتمنى أن تقدّموا خدمة إلى الباب العالي بدفاعكم ضد العدو عن البلاد الخاضعة لكم، ومع أنني واثق من قوتكم وجدارتكم فأنا أرغب أن تطلعوني على ما يجري عندكم، وعند الحاجة أقدم لكم المعونة في الوقت المناسب لأجل نجاح مشاريعكم الكامل، وبذلك تقومون بواجبكم نحو الباب العالي»[١].

عجز حاكم بغداد ورجاله عن مساعدة فيصل

تناول الأستاذ عبد العزيز سليمان نوار، في كتابه: «تاريخ العراق الحديث» طبع القاهرة سنة ١٩٦٨ م، موضوع مجيء الأمير خالد بن سعود إلى نجد

---

(١) هذه الرسالة تدل على أن الأتراك لا يريدون احتلال نجد، وأن (محمد علي) حاكم مصر هو الذي أراد احتلالها لحسابه الخاص. وقد وصلت هذه الرسالة إلى أيدي المصريين، وفهموا منه تماماً أن الأتراك يتدخلون في الجزيرة العربية ضد محمد علي.

وتصميم حاكم بغداد «الكلامي» على مساعدة الإمام فيصل، وعجزه عن ذلك عسكريًّا، وموقف «تركجه بيلمز» قبطان البصرة العاجز عن المساعدة أيضاً، ومما قاله:

كان من مصلحة الباب العالي أن يخضد شوكة القوات المصرية في أية جبهة من الجبهات. ولذلك عندما شنَّ خورشيد هجومه على نجد لم يصادف في هذه المرة مقاومة عسكرية من جانب آل سعود فقط وإنما دخل (علي رضا) الميدان بصورة غير مباشرة أيضاً.

فقد بعث علي رضا برسالة إلى فيصل بن تركي يقول له فيها:

«إنك لمن المنتمين إلى جنب الدولة العلية... وإننا نكره المزاحمة لك على الديار.. وإن... لم تطق لرد العدو ومنعه... أفدنا عما يناسب حالك وفيه تقويتك ونجاح أمورك ومصلحتك وتجزم بحقك ألطاف الدولة العلية وزيادة مودتنا لك».

واستغل علي رضا ما بين عرب العراق وعرب الجزيرة العربية من أواصر القربى والعصبية النجدية بأن أوعز إلى سليمان الغنام ـ شيخ عشيرة العقيل ـ أن يحثَّ فيصلاً على مكاتبة حكومة بغداد وعلى إعلان الطاعة للسلطان، كما أوحى إلى عبد الله الفداغ ـ أحد شيوخ العرب ـ بأن يبعث برسالة لفيصل جاء فيها:

«إن أفندينا (علي رضا باشا) يود النصر وأرسل لك طارشاً على طريق الكويت، ووعده عبد الله الفداغ بفرمانات تقرأ بين الحضر والبدو ومكة.. والمدينة.. بأنكم طوارف الدولة حتى ترتفع عنكم مواد محمد علي باشا».

علم خورشيد بأمر تلك المكاتبات التي بعث بها علي رضا ورجاله إلى فيصل وطلب منه أن يبعث بها إليه فأرسلها مشفوعة برسالة برَّر فيها علاقته بحكومة بغداد بأن علي رضا كفَّ عنه أذى عشائر المنتفق والضفير، وقال إنه «بهذا السبب يا أفندينا حصلت الصداقة بيننا وبينه» ونفى دخوله تحت طاعة والي العراق نفياً باتاً، وبدا من رسالته أنه كان يرجو أن يمنحه خورشيد فرصة للتفرغ لضرب عشائر الضفير والمنتفق.

ويتحدث المؤلف عن تراجع فيصل إلى آخر معقل لديه، وهو مدينة (الدلم)

التي شحنها «بالرجال والعتاد وصمم على أن يخوض من وراء أسوارها المعركة الأخيرة».

طلب النجدة من بيلمز:

وطلب فيصل النجدة من «تركجه بيلمز» الذي كان استولى على شطر من اليمن، ثم انتقل إلى البصرة وأعلن ولاءه لفيصل، ولكنه لم يصنع شيئاً من أجله، مكتفياً بحلو الكلام..

وفي ذلك يقول الأستاذ نوار: «بعث فيصل كتاباً إلى (تركي بيلمز)، قبطان البصرة وعدو خورشيد اللدود، طالباً النجدة، وحذَّر القبطان من مغبة التقاعس عن نجدته في هذه الأزمة، وأن سقوط الدلم سيفتح الطريق أمام القوات المصرية لاحتلال الأحساء والبصرة.

ولم يكن هناك تحت يد تركجه بيلمز ما يمكن أن يرسله إلى فيصل، فاعتمد على الأساليب المنمقة وكلمات التشجيع، وترك فيصلاً لمصيره أمام خورشيد»..

ماذا يستطيع فيصل عمله أمام تكاثر القوى المتآلبة عليه؟

وتساءل مؤلف تاريخ العراق الحديث عما يمكن لفيصل أن يفعله، بعد تعاظم القوى التي احتشدت ضده مع خورشيد وخالد، فقال إن الظروف وضعت فيصل بين أمرين:

١ ـ أن يخضع للقوة المصرية، فيتخلى بالتالي عن الإمامة والوهابية فيفقد مكانته بين عرب نجد ويمنح الفرصة لأي منافس آخر ليتغلب عليه، خاصة وأنه في هذه الحالة يصبح في مكانة أقل من مكانة خالد بن سعود، المتعاون كل التعاون مع حملة خورشيد والمرشح لتولي الحكم مكان فيصل.

٢ ـ أن يقوم بالحملة دون معاونة بغداد، حيث كان الخضوع لأية قوة عثمانية معناه أن الحركة الوهابية فقدت عنصراً جوهرياً من العناصر التي تعتمد عليها، وهو الطابع العربي النجدي.

ولقد حاول فيصل أن يتبع طريقاً وسطاً، فاعتمد على نفسه في مقاومة حملة خورشيد. وعندما شعر خورشيد أن (فيصل) قرر الاستمرار في حكم نجد، أنذره بأن ينسحب من الرياض والعودة إلى الأحساء، وشرع خورشيد في الزحف نحو الخليج العربي.

وكان طبيعيًّا أن يتعاون خورشيد مع القوى العربية الراغبة في التخلص من الحكم العثماني مثل (بنو خالد) فغادر العراق محمد بن عريعر وثبت أقدامه في الأحساء وأعلن تبعيته للحكم المصري.

حوادث سنة ١٢٥٣ هـ

قال ابن بشر:

«دخلت السنة الثالثة والخمسون بعد المائتين والألف، وخالد وعساكر الترك في بلد عنيزة، فأمر إسماعيل وخالد على يحيى بن سليمان ورجاله معه يركبون إلى بلد شمر مع عيسى بن علي رئيس الجبل القديم، وركب معه من الترك إبراهيم المعاون بأربعمائة فارس والغزوان الذي مع يحيى مائة مطية يريدون أن يبتغوا عبد الله بن رشيد في بلده ويمسكوه فسبقهم النذير إليه. وهرب من حائل قبل قدومهم، فدخل ابن علي الجبل ونزل قصر أهله ومعه الغزو والعسكر، وهرب أناس من الجبل، وأخذ منهم (المعاون) دراهم..

ولما استقر عيسى بن علي في الجبل أقبل المعاون ويحيى سليمان ومن كان معهم وأبقوا عند عيسى مائة رجل من عسكر الترك.

ثم قدم على إسماعيل وخالد رؤساء أهل الرياض في عنيزة وأطاعت لهم نجد كلها، سوى أهل الخرج والفرع ومن والاهم من أهل الجنوب. وبعث إسماعيل وخالد عمالاً من عسكرهم يخرصون ثمار أهل القصيم، وأما غير أهل القصيم فخرص ثمارهم رجال من بلادهم.

الاستيلاء على الرياض:

فلما كان في آخر عاشوراء من هذه السنة رحل إسماعيل وخالد وعساكر الترك من عنيزة، وقصدوا الرياض ودخلوها يوم السبت سابع صفر، ودخل خالد وإسماعيل القصر واستوطنوه، ووُجِد فيه كثير من التمر والبر، ونزل باقي العسكر خارج الرياض، وقدم عليهم رؤساء البلدان وتابعوهم.

وأرسلوا إلى الهزاني ورؤساء أهل الحوطة يطلبون منهم المتابعة والقدوم

إليهم فأبوا عليهم، وكتبوا لخالد: إن كان الأمر لك ولا يأتينا في ناحيتنا عسكر من الترك فنحن رعية لكم، وإن كان الأمر للترك فنحن لهم محاربون.

فغضب إسماعيل وأتباعه، وقالوا لا نرضى إلا بقتل أهل هذه الناحية ونهب أموالهم.

ثم أمر إسماعيل على الحدّادين يعملون الفؤوس والفواريع، وأمر بالتجهز بالمسير إليهم.

وكتب خالد إلى النواحي من سدير والوشم والمحمل وبلدان العارض. وأمرهم بالنفير والمسير لقتال أهل هذه الناحية، واستعمل في سدير أميراً أحمد بن محمد السديري، وكان أحمد رجلاً عاقلاً سمحاً جواداً محبوباً عند الرؤساء وغيرهم، فسار غزو أهل الوشم مع أميرهم محمد بن عبد الكريم البواردي، كذلك غزو أهل المحمل مع حمد بن مبارك، وركب إليه غزو بلدان العارض، ولم يتخلف عنهم إلا أحمد السديري لأن بلدان سدير فيها قحط، وعاملهم بالرفق فلم يلحقهم إلا بعدما انقضى الأمر وهلك العسكر.

ثم إن خالد استنفر أهل الرياض وحاشيته من الخدام نحو أربعمائة رجل. فركب من الرياض هو وإسماعيل ومن تبعهم من الترك والعرب، وذلك في أول ربيع الآخر، فلما وصلوا إلى بلدان الخرج استنفروهم للغزو. فركب معهم فهد بن عفيصان بغزو بلدانه، فلما وصلوا الماء المعروف بالخفس اجتمعوا للمشورة. وكان بينهم وبين الماء نحو يومين، فقال لهم إبراهيم المعاون التركي: اجمعوا الغراير واملأوها تبناً وعشباً وتراباً واقصدوا بلد الحوطة، وادفنوا حفرهم، وكروا عليهم كرة واحدة، حتى تنزلوا نخيلهم وتشربوا من مائهم، وكان مضف المريخي رئيس عربان بريدة معهم، فقال لهم: اقصدوا بلد الحلوة وأدهموا أهلها وأخرجوهم منها، ثم انزلوها واشربوا من الماء وكلوا من التمر وأطعموا الخيل، فإذا ملكتموها كاتبكم من كان سراً لكم في الحوطة والحريق وأتى إليكم، فأجمعوا رأيهم على ذلك، فرحلت تلك الجنود من الخفس قيل إنهم نحو من سبعة آلاف مقاتل من الترك والعرب، فقصدوا بلدة الحلوة، وكان أهل الحلوة قد أخرجوا نساءهم وأبناءهم وأدخلوهم بلد الحوطة، فسارت تلك الجنود وأعماهم الله سبحانه عن الطريق السمح لهم، وفيه مشقة على عدوهم، وساروا مع طريق آخر، ونزلوا في حرة، قرب البلد».

هزيمة عظيمة للعسكر لم يعرف لها نظير:

وتحدث ابن بشر عن معركة هائلة حدثت بين أهل الحريق بقيادة زعيمهم تركي الهزاني، وأهل الحوطة بزعامة الفارس الشجاع إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم، رئيس آل سعود، وفواز بن محمد رئيس آل مرشد، وأهل نعام مع رئيسهم زيد بن هلال ورئيس الحلوة عمر بن خريف، من جهة، وبين عسكر الترك من جهة ثانية، وكان المقاتلون النجديون يأتمرون بأمر آل الشيخ الذين هربوا من الرياض ونزلوا عندهم.

ويقول ابن بشر: إن أهل الحلوة كانوا أول من قاتل، فقد صعدوا الجبل وقاتلوا العسكر قتالاً عنيفاً قتل فيه عدد من أهل الحلوة، ثم أقبل «تركي الهزاني بجمع عظيم، وقصد ميمنة العسكر وفيها الخيالة والفرسان. وأقبل الفارس الشجاع إبراهيم بن عبد الله بجموع معه من أهل الحوطة وقصد مسيرتهم، وهم في رأس الجبل وفيه المدافع والعساكر، وسار أهل الحلوة ومن معهم على من في البلد الذين دخلوها لما حصلت الهزيمة، فلم تقف تلك الجنود إلا وسط عدوهم، فحصل بينهم قتال شديد يشيب من هوله الوليد، واستولى إبراهيم وأتباعه على المدافع وجروها ورموها من رأس الجبل، فنزل النصر من السماء، وأول من انهزم الأعراب الذين مع العسكر. ثم وقعت الهزيمة العظيمة التي ما وقع لها نظير في القرون السالفة ولا في الخلوف الخالفة، على عساكر الترك وأعوانهم، وهلكت تلك الجنود ما بين قتل وظمأ.

وذكر لي أن الرجل من القرابة الذين ليس لهم خيل ولا ينهزم أكثر من رمية بندق، ولم ينج واحد منهم، وتفرقت الخيالة في الشعاب، فهلكوا فيها ليس لهم دليل، ولا يهتدون إلى السبيل، ونجا خالد بنفسه ومن معه من أهل نجد، لما رأوا الهزيمة انهزموا وحدهم، وتركوا عساكرهم وجندهم، وتزبن إسماعيل والمعاون وشرذمة معهم من الخيالة هزيمة خالد، فاجتمعوا به وساروا معه، وهربت الأعراب على رحايل العساكر وتركوا جميع محلتهم وأمتعتهم، فغنم أهل الحوطة والحريق وأتباعهم جميع ما معهم من الأموال والسلاح والخيام، وفيها من الذهب والفضة ما ليس له نظير».

خالد وإسماعيل يهربان ويرجعان إلى الرياض:

«ثم إن خالد وإسماعيل وأتباعهم وصلوا من الدلم وقصدوا الرياض ودخلوها.

قيل: إن الذين نجوا من الخيلة الذين كانوا مع إسماعيل قريب من مئتين. دخلوا معه الرياض، وكان قد أبقى في الرياض، لمّا خرج إلى الحوطة، أكثر من مائتين من المغاربة والترك في القصر».

الإمام فيصل يتجهز لاستعادة الرياض:

«فلما وصل فيصل خبر هزيمة العسكر وقتلهم، وهو في الأحساء، عزم على الظهور إلى الرياض ومحاربة عدوه. فقام يجهز الناس للخروج، وأمر أهل الأحساء بالتحمل معه للغزو. فخرج من الأحساء بعدده وعدته ورجاله وأعوانه، وكان معه من رجال عشيرته وخدّامه، هربوا معه من الرياض لما ظهر منه.

فلما وصل بلدان الخرج أمر أهلها بالنفير معه، واستلحق أهل الحريق والحوطة والفرع ونفروا معه، وأقبل معهم الشيخ القاضي عبد الرحمن بن حسن. ثم رحل من الخرج وقصد الرياض، فلما أقبل على المصانع المعروفة عند الرياض ظهر عليه خالد وأهل الرياض وعساكر الترك فحصل قتال شديد بين الفئتين، وكان فيصل قد جعل أهل النجدة من قومه كميناً، فلما نشبت الحرب بين الفئتين ظهر عليهم الكمين، فولوا منهزمين وجنود فيصل في ساقتهم، وقتل منهم قتلى كثيرة من العسكر وأهل الرياض. وانهزم من أهل الرياض في تلك الهزيمة نحو من مائتي رجل ومعهم عدد من عسكر الترك أعجلهم المسلمون عن دخول الرياض. فدخلو منفوحة فحصرهم فيصل فيها، وطلبوا منه الأمان عليهم وعلى أهل بلد منفوحة ومن عندهم من الترك، فأعطاهم الأمان وخرجوا إليه، وأصلح أهل البلد وبايعوه، ونزل فيصل وجنوده عند الرياض، ولازم سورها واستدارت عليها جنوده، وبنوا محاجيهم قبالة المرابيع والسور، ونزلوا دور النخيل وأخذوا ما على الركايا من الأخشاب، وذلك أول يوم من جمادى الآخرة.

ثم إن الإمام فيصل استلحق غزوان أهل سدير والمحمل، فحشدوا عليه مع رؤسائهم وقضاتهم. ثم إن خالد وأعوانه احتصروا في حلة البلد وسدوا بيبانها بالطين، ورتبوا أهل الرياض ومقاتلتهم في وسط البلد، فجعلوا في كل مربعة خمسة وثلاثين رجلاً، وبين كل مربعتين موقفاً فيه خمسة رجال بالبنادق، وعند كل باب من بيبان الرياض آغا من الترك جالساً عنده، وهو رئيس أهل المرابيع الذين حوله. وجعلوا لكل آغا من هؤلاء له وقت من الليل معلوم يدور فيه على أهل المرابيع، يوقظهم ويحضهم على حفظ مكانهم إلى الصبح، وصار المعاون ورجال من أهل

الرياض ومن الترك يدورون معه في الليل على أهل المواقف والمرابيع إلى الصبح، وكل يومين أو ثلاثة يبدلون أهل كل ناحية من المرابيع في ناحية أخرى، وينقل أهل الناحية الأخرى إلى مكانهم، وينقلون الأغوات من البيبان على هذه الحال، وذلك خوفاً من وقوع خيانة لفيصل من أهل المرابيع الترك والعرب، واستمرو على ذلك يجعلون هؤلاء وهؤلاء في مكان هؤلاء، ولا يجعلون لأحد من أهل المرابيع وقتاً معلوماً يصيرون فيه، بل إذا خرج أناس من موضوع يقصدونه، لا يدرون أن يقصدون، حتى يقال لهم اقصدوا الموقع الفلاني، فثبت أهل الرياض هذه المدة الطويلة، وعلى كثرة ما مع فيصل من الجنود وعلى كثرة محبتهم له وحسن سيرته وعفافه وكفه وعطائه لهم، وما عندهم من الترك والمغاربة وأهل العداوة والبغضاء لهم، ولكن كل شيء له أسباب ولكل أجل كتاب.

حصار الرياض:

.. وقطع فيصل السبل عنهم، فلا يدخل عليهم في الرياض كثير ولا قليل، وغلت القهوة عندهم، حتى قيل إن الصاع منها بيع بثمانية عشر ريالاً، وغلا اللحم إلى حد الغاية، وأكلوا ما في البلد من الأغنام والإبل والبقر وأكلوا كثيراً من حصن العسكر، وأما التمر والبر فموجود على خمسة أصواع بالريال، وحصل وقائع عديدة قبل سدهم البيبان، ولكن خالداً ورؤساء الترك أمروا بهدم بيوت الذين ظهروا مع فيصل فهدمت بيوتهم وأوقدوا بخشبها.

فلما كان في أثناء هذا الحرب ضاقت صدور أهل الرياض من كثرة ما عندهم من الناس الذين ليس لهم بهم نفع في حربهم من أهل بلدهم، ففتحوا لهم باب البلد وأخرجوهم منها، واستمرت ذلك الحرب على هذه الحال كل من الفريقين في شدة وحرب وصبر إلى سابع شعبان، فرأى الإمام أن صدور المسلمين قد ضاقت من ملازمة البلد ومصابرة أهلها، فجمعهم الإمام، متع الله به، فاجتمعوا عنده كل أهل المشورة، فشاورهم فأجمع رأيهم أنهم يعلقون السلالم على البلد، وينزلون فيها والسالم سالم والعاطب عاطب، فلما أمر فيصل، متع الله به، على من معه من الجنود من أهل العارض والأفلاج والفرع والخرج والمحمل وسدير أن يحملوا على السور بالسلالم، فحملوا عليه وقت صلاة الفجر، وكل أهل ناحية علقوا سلمهم على ما يليهم من جهتهم، وصعدوا إلى أعلى السور وصاروا يهدمون فيه، وحصل عليهم رمي من أهل المرابيع، ثم تراجع أهل الرياض وحصل فيه ضجة عظيمة،

وفزعوا من كل جانب وحصل صريخ وتنادب، وحصل في رأس السور ضرب بالبنادق والسيوف، فنزلت تلك الجنود عن السور ورجعوا إلى مكانهم، وقتل منهم عدة رجال، فلما صارت هذه الوقعة أقبل فهيد الصيفي رئيس سبيع ومعه عربان سبيع ورؤساؤهم فزعاً لخالد وأتباعه ومحارباً لفيصل، فنزل على بنبان المعروف واستلحق باقي عربانه وحشد معه قاسي بن عضيب وعربانه من قحطان، ثم أقبلوا وشنوا الغارة على فيصل وجنوده يريدون أن يخف عن الرياض ويرحل عنه، فراسلهم فيصل فلم ينجح ذلك فيه، فلما كان آخر لليل ثاني عشر شعبان رحل فيصل من عند الرياض، ونزل عند منفوحة».

محاولـة فاشلـة

اجتماع فيصل وخالد للصلح

ثم حصل بين خالد وفيصل مراسلة ومحاولة صلح.

فلما كان سابع عشر من هذا الشهر خرج خالد من الرياض وظهر إليه فيصل، وتوافيا بين البلدين، وجلسا من صلاة الظهر إلى بعد العصر، فلم ينعقد بينهما صلح لأن أهل نجد لا يرضون بولاية الترك، ولا أتباعهم.

و «في أواخر رمضان أقبل ابن عمران السبيعي من القصيم ومعه خمسة عشرة مطية عليها رجال من قومه وقوم خالد درَّبهم، ودخلوا الرياض واستمروا فيها قريب ستة أيام، فتشاور خالد وإسماعيل وأعوانهم في الأمر الذي يأتي إليهم بالعسكر من القصيم ويكون مدداً لهم، وكان هذا العسكر أقبل لهم مدد، فتحيَّر في القصيم خوفاً من فيصل وجنوده، فقطعوا رأيهم على ظهور إبراهيم المعاون مع أولئك الجنود، ويرحل معه الصيفي بعربانه، ويشيل العسكر ويقبل بهم، فظهروا من الرياض وقصدوا عربانهم، ورحل معهم الصيفي حتى وصل أرض القصيم.

قدوم الشريف عبد الله مع خورشيد باشا

طلب من فيصل الرحيل عن الرياض
ووعده بتقريره في ملكه دون منازع

ويقول ابن بشر إن الأخبار جاءت بقدوم خورشيد باشا مع الشريف عبد الله، صاحب ينبع ومعه هدايا ومراسلات وخدايع . . .

وقد أقبل «الشريف من القصيم منتصف شوال، فقدم على فيصل في منفوحة بالهدية، وقام الشريف يتودد إليه ويعده ويمنيه..

وطلب من فيصل أن يمتنع عن محاربة المصريين، ويخلي لهم مدينة الرياض والقصيم، ولقاء ذلك يقرونه في ملكه في سائر بلاد نجد».

ويقول ابن سند إن والده وفد على الإمام فيصل سفيراً من طرف أمير مكة الشريف عبد الله «لينصحه في إرسال الخراج، فلما وصل والدي إلى فيصل أكرم نزله ولاقاه بغاية التكريم والتبجيل، فحذره والدي سطوة الدولة العلية إذا التفت إلى أحد، وأنه لا يغتر من سكوتها ومن حلمها، فلعله تنوَّر بتلك المواعظ، فإنه أرسل الخراج المترتب عليه».

ويقول ابن بشر:

«يبدو أن فيصلاً اقتنع بأقوال الشريف، فرحل من منفوحة في أول ذي القعدة واستظهر جميع ما له في الرياض من خزائن وغيرها، وأذن لأهل النواحي من أهل سدير والمحمل والوشم يقصدون بلادهم.

وقصد فيصل الخرج ونزل بلد الدلم ومعه أهل الفرع وعمر بن عفيصان وأتباعه ومحمد بن عبد الله بن جلاجل ورجال من رؤساء المسلمين».

نقض العهود:

ويردف ابن بشير قائلاً: إن فيصلاً نزل الدلم، وأرسل أخاه جلوي إلى خورشيد باشا، وهو في المدينة، حاملاً هدية من العمانيات والخيل، وأقبل جلوي مع خورشيد إلى القصيم.

«ولما استقر الإمام فيصل في بلد الدلم، أمر عمر بن عفيصان يقصد الأحساء، وأرسل معه رجالاً من جنوده».

كما أرسل أميراً إلى الأفلاج وآخر إلى وادي الدواسر.

حوادث سنة ١٢٥٤ هـ

قال ابن بشر:

«فيها قدم الرياض عسكر من القصيم أقبل من عند خورشيد، رئيسهم كردي يقال له سليمان، وحسن معاون، فلما قدموا الرياض أمروا على إسماعيل يظهر منه بعساكره إلى مصر، فرحل إسماعيل بجميع ما معه من العسكر وذرية العسكر المقتولين في الحوطة وأمتاعهم ونسائهم وغير ذلك، وسار معه حسن معاون المذكور، وقدموا القصيم، ثم رحلوا إلى مصر.

وفي آخر صفر أقبل خورشيد باشا من الحناكية بعساكره ومعه جلوي بن تركي، ونزل بلد عنيزة فتابعوه، ووفد عليه أمراء بلدان القصيم وكثير من رؤساء العربان، فلما كان في أول ربيع الأول ثارت الحرب بين أهل عنيزة وعسكر خورشيد وسبب ذلك أنه سرق لخورشيد عمانيتان من الركايب، فقيل له إن أناساً من الحرامية عند العسكر في النهار يسألون، وفي الليل يسرقون، فجعل خورشيد حرساً يدورون بالليل خارج العسكر فأمسكوا رجلاً من أهل عنيزة خارجاً من البلد إلى نخله في الليل، فقال لهم: أنا من أهل هذا البلد وأنا ظاهر إلى نخلي، فمشوا معه إلى نخله، فلما أقبل على نخله طلب الكلام مع أبيه فجاء أبوه، فأمسكهما العسكر وعدوا بهما إلى ناحية العسكر وذبحوهما، ونقلوهما إلى النفوذ المقابل للبلد ودفنوهما فيه، فلما أصبح أهل النخل ولم يأتِ إليهم أبوهم ولا أخوهم، تبعوا أثرهم فوجدوهم مدفونين فأخرجوهم، فقال يحيى أمير عنيزة: إرموهم عند خيمة خورشيد!

وظهر يحيى من البلد وقصد خورشيد في خيمته فلما أراد الدخول عليه أخذ قواويس الباشا سيفه، على العادة أنه لا يدخل عليه أحد بسلاح، فهرب خادم يحيى الذي معه إلى البلدة، وقال: أميركم قُتل!

وكان جملة العسكر في وسط البلد يبيعون ويشترون، فنهض عليهم أهل البلد

وقتلوا كل من وجدوا منهم، إلا رجل دخل بيتاً أو دكاناً فأخفاه صاحبه. فسمع الباشا الصيحة في البلد، فقال ليحيى: إن بلدكم حدث فيه (شمطة)!

وغمض رجل ليحيى فرمى عباءته وهرب إلى البلد. فعارضه في طريقه رجال من العسكر هاربين منها، وهو في شدة الركض فرموه بالبنادق. فسلمه الله تعالى منهم ودخل البلد، فإذا قد قُتِل فيها تسعون رجلاً، ثم نهضت العساكر على الحشاشين والحطابين والحطاطيب في من كان خارج البلد فقتلوهم وحصروا أهل (قصر الضبط)، المعروف خارج عنيزة، وقتلوا أهله كلهم، وهم نحو خمسين رجلاً، ونهبوا ما في قصرهم.

ثم ثارت الحرب بين أهل البلد والعسكر نحو ثلاثة أيام، ثم وقع الصلح بينهم، فلبث خورشيد في عنيزة خمسة أشهر، وفي مدة مقامه وفد عليه عبد الله بن علي بن رشيد، رئيس جبل شمر من جهة الإمام فيصل، فأعطاه الباشا وكساه وأكرمه (. . . وأصبح من رجال خورشيد. .).

وأما (جلوي) أخو الإمام فيصل فقد استطاع الهرب، لمّا تحقق من قيام خورشيد بمحاربة أخيه، ووصل سالماً إلى الدلم».

المعارك بين فيصل والعساكر المصرية
كما يرويها خورشيد

ترجمة تقرير خورشيد باشا المكتوب باللغة التركية والمؤرخ في ٤ ربيع الأول عام ١٢٥٤ هـ - مدينة عنيزة - ومرسل إلى حسين باشا، الضابط المرافق لمحمد علي، خديوي مصر.

ترجمة التقرير

. . . بعد أن أرسلت إلى المدينة عدداً من شيوخ القبائل الذين جاؤوا إليّ في (الحناكية) لتقديم خضوعهم في ٣ صفر، سرت إلى القصيم ومعي كتيبتان من فرقة المشاة ١٥ وكوكبة من الفرسان يقودها حسين ناجي، وعدد من رجال المدفعية بمدافعهم.

وفي ١٦ صفر عسكرنا في (الرس)، في مكان لطيف، وطلبنا من الفرقة غير النظامية الموجودة هناك تحت قيادة بكر آغا، أن تنضم إلينا، ثم استأنفنا السير في ١٨ من الشهر.

جاء إلينا أمير القصيم الكبير، عبد العزيز، ومعه أمراء البلاد ووجهاؤها، وقاموا في معسكرنا بإعلان خضوعهم، ولكن (يحيى) - شيخ عنيزة -، الذي كان رفض الخضوع من قبل، لم يجرؤ على الظهور وأرسل ولده، فجاء هذا إلى معسكرنا في (غدير) على بعد ميلين من عنيزة، فرفضت استقباله، وخشي والده عواقب هذا الرفض فجاء بنفسه ومعه أعيان البلدة إلى معسكرنا، وعاهدنا على الطاعة لكل أوامرنا التي نصدرها إليه.

في ٢٠ صفر أقمنا معسكرنا تحت أسوار عنيزة، ولكن حدث في اليوم الثالث حادث مؤسف اضطرنا إلى حمل السلاح، فقد تشاجر عسكري تركي مع بدوي وقتله، فانتقم له الأهالي بتقطيع العسكري التركي قطعاً بسيوفهم، فنشب على أثر

ذلك قتال بين الأهلين والجنود القلائل الموجودين في البلدة، وسقط من الفريقين عشرة قتلى وطرد الأهالي عسكرنا من البلدة وأغلقوا أبوابها وتظاهروا بأسلحتهم خلف التماريس . . .

لم أنتظر . . طوقت البلدة وضربتها بالمدافع نهارين وليلتين، فسقط السور وتداعت الحصون، ثم أعددت الجنود للهجوم، فلما رأى الأهلون استحالة المقاومة أرسلوا إليَّ كتاباً يطلبون فيه العفو ويعتذرون . . .

في هذه العملية فقدنا ١٢ قتيلاً وأصيب ١٨ جندياً بجراح خفيفة. وأما الأهلون فقد فقدوا في خرجاتهم من السور ٢٠٠ قتيل وجرح مثل هذا العدد داخل أسوار المدينة .

عنيزة بلدة تجارية يأتيها تجار من الشام وبغداد، وستكون مفيدة جداً للجيش. لذلك تمسكت بها، وتقبلت خضوع أهلها قبولاً حسناً .

وصلت إلى هنا منذ قليل، فلا أستطيع وصف البلاد بدقة، وأكتفي بالقول إنه في كل يوم يحضر شيوخ القرى والبلدان والعشائر لتقديم خضوعهم وعرض خدماتهم .

وعندما تصل جمال الشيخ محمد الدويش والعشائر الأخرى، سأرسلها إلى المدينة المنورة لتجلب إلينا جنوداً ومؤناً . . .

تقرير خورشيد باشا، قائد الجيوش المصرية في نجد المكتوب باللغة الفرنسية

كتب لتقرير في مدينة الدلم، بتاريخ ١٤ شوال/ ٣١ كانون الأول.

ترجمة التقرير(١)

«غادرت عنيزة في ١٩ رجب/٨ تشرين الأول، وفي آخر الشهر وصلت إلى الرياض، وهناك عرفت أن فيصل بن تركي موجود في إقليم الخرج.

وفي ٤ شعبان/٢٣ أكتوبر، ذهبت إلى الحائر، على رأس كتيبتين من المشاة النظاميتين ومعهم ستمائة وعشرون مقاتلاً غير نظامي وثلاثمائة وثمانون فارساً من الترك والعرب.

كان فيصل آل سعود قد انسحب إلى الدلم، مكان إقامته المعتادة وعززها بمدفعي هاون وقطعتين من مدفعية الميدان.

وفي ١٦ شعبان/ ٥ تشرين الثاني صباحاً، تقدمت بجنودي إلى (المحمدي) التي تبعد عن الدلم مسافة ثلاث مرميات مدفع.

خرج العدو بكثرة من الدلم، واستقر في قرية متهدمة محوطة بالنخيل، وبعد ثلاث ساعات من المعارك اضطر العدو إلى التقهقر إلى تحصيناته الأولى، تاركاً في ساحة القتال مائتي قتيل، بينهم سبعون رجلاً من أخلص رجال فيصل وشيوخ مشهورون.

وعلى أثر ذلك حاصرنا الدلم من كل جهاته، باستثناء الجنوب المغطى ببساتين النخيل الممتدة حتى زميقة، التي تبعد ميلين ويحتلها ألف وخمسمائة رجل.

---

(١) من كتب «مانجان»: (تاريخ مصر)، باللغة الفرنسية.

في ٢٧ رمضان/ ١٤ نوفمبر تلقى العدو مدداً يقدر بثمانية آلاف رجل، فقام بالهجوم على تحصيناتنا، فأوقفه مشاتنا وهاجمه فرساننا وهزموه ولحقوا به إلى ما وراء زميقة، وقد كلفته هذه المعركة، التي دامت يوماً واحداً، ألف قتيل ومائة أسير.

وبينما كنا نحرز هذا النصر، كانت حامية الدلم قد خرجت فجأة لتستولي على بعض تحصيناتنا، ولكن الإمدادات التي أسرعت بإرسالها أحبطت مشروع العدو.

قام رجال زميقة بمحاولة جديدة، يؤازرهم (تركي حسني) ومعه ألف من المشاة ومائة فارس، وقد حاولوا الاستيلاء على قافلة تحمل لنا المؤن، ولكن هزيمة العدو هذه المرة، بعد تغلغل اليأس إلى نفوسه بسبب خسائره السابقة كانت كاملة، فأخلى زميقة، تاركاً لنا كل المؤن الموجودة فيها، وعدداً من الجرحى، الذين أسرعت إلى إطلاق سراحهم.

ورغبة مني في الإسراع بالاستيلاء على الدلم وعلى شخص (فيصل)، أمرت بوضع لغمين تحت أسوار البلدة، وبينما كان يجري ذلك، وبينما كانت المدفعية ترمي البلدة بقنابلها، وكان كل شيء معداً للهجوم على حصن الشمال، دهب جنديان هاربان من عساكرنا إلى رجال الحصن وأخبراهم بنوايانا، ولما أدركوا أنهم غير قادرين على رد هجماتنا آثروا الاستسلام، واتبع مثالهم آخرون من رجال فيصل الذين كانوا يحرسون مراكز أخرى في البلدة.

لم يعد فيصل قادراً أن يعتمد على سكان البلدة وعلى الفداوية الذين كانوا معه، فحاول الهرب، ولكنه وجد نفسه مطوقاً من كل الجهات وعاجزاً عن الفرار.

استسلام فيصل:

استسلم فيصل في ٢ شوال/ ١٩ كانون الأول، فأرسل (فيصل) تحت الحراسة إلى المدينة المنورة، وكان يرافقه أخوه وابن عمه، وهما أيضاً اعتبرا أسيرين.

أخذنا (الدلم) في ٢٣ رمضان/ ١٠ كانون الأول، بعد حصارها أربعين يوماً. بعد هذا النصر، اعترفت جميع قرى الخرج بسلطة مولانا محمد علي، وأسرع الشيوخ الذين انضموا إلى فيصل فأعلنوا خضوعهم لنا، ويمكننا الآن الاعتقاد بأن مثل هذه الحوادث التي تخلُّ بالأمن في هذه المنطقة لن تقع بعد اليوم».

بعد معارك خاضها فيصل بشجاعة

أسر فيصل بن تركي وإرساله مع عدد من أقربائه وأتباعه إلى مصر!

أيطيق الأتراك أو عرش مصر أن يسود الخليج عرب عرابُ[2]!
فليثرها الأتراك حربَ ذوي القر بى فتفنى الأرحام والأصلابُ
عمرك الله (خالد بن سعود) كيف هانت في رأيك الأحسابُ؟
فيصل العرب، كيف أنت وقد حا قت بك الدهم والردى منك قابُ؟
جاء خورشيد، فالخديوي، فمصر، ففروق، فالعرب، فالأحزابُ![1]
وأشد السهام فتكاً وإيلاماً سهامٌ تريشها الأصحبُ . .
شمر والقصيم هبَّتْ فغصَّت بالعباءات والمهاري الشعابُ
عاد للنفي فيصل وأخوه القرم جلوي فأُغمِد القضب!

بولس سلامة

ـ ملحمة عيد الرياض ـ

---

(١) فروق لقب الآستانة ـ إستامبول لأنها تفرق بين آسيا وأوروبا.

ابن بشر يصف استسلام فيصل بعد وقائع هائلة أثبت فيها شجاعته ومقاومته ورحيله إلى مصر

قال ابن بشر في أخبار سنة ١٢٥٤ هـ إن خورشيد سار في آخر رجب من عنيزة بعدده وعدته ومعه «كثير من العساكر المصرية والشامية ونزل الوشم، ثم رحل وسار إلى الرياض واستلحق عسكراً له من عند القويعية، ثم رحل من الرياض وركب معه خالد بأهل الرياض وأهل العارض وسار جميعهم إلى الدلم، وفيها الإمام فيصل قد ثبت لحربهم، فأقبلوا عليها ثاني عشر شعبان، فلما نزل خورشيد بلد نعجان، فإذا أهلها قد هربوا منها بنسائهم وذراريهم إلى الدلم، وفيها الإمام. ثم عزل الباشا جنوده من الترك والعرب وأقبلوا على الدلم صفًّا واحداً، وجعلوا جبخانهم ورواحلهم ومن معهم من الأعراب خلفهم وذلك خوفاً من الهزيمة.

وهذه الوقعة تسمى: (وقعة الخراب).

ثم نزل خورشيد في (الخراب) بعسكره، وهي بلدة قديمة قريبة من البلد، فأمر فيصل ببناء سور من البلد وحفر خندق، وصار العسكر قليل الذهاب والطعم معهم، وفيهم شدة عظيمة من الجوع، فقاموا يقطعون النخيل ويأكلون جمارها..

فلما تم سور البلد (الدلم) وخندقهم، وبنوا متارس على الماء الذي يشربون منه وهو خارج البلد، رتب فيصل جنوده..

وكل أهل موضع من هؤلاء مقابلهم أكثر من عسكر الترك والعرب مترسين، فحصلت وقعة عند (سمحة)، بين الهزاني وأصحابه، حملت عليهم عساكر الترك وقت طلوع الفجر وحصل بينهم قتال شديد، قتل من الفريقين عدة قتلى..

وبعد هذه الوقعة بأيام صارت وقعة بين زويد وأتباعه وأهل القصر المعروف بقصر (هينة)، حملت عليهم العساكر وقت طلوع الفجر، فتلاقت الفئتان وتراكم الدخان وكلما ردهم زويد وجنوده على أعقابهم تكاثرت عليهم العساكر من يمينهم

وشمالهم فحصل على زويد هزيمة تركوا فيها قصرهم فدخله الترك وقاموا يرمون من قابلهم في مروى الماء، وقتل في تلك الوقعة عدة قتلى من الفريقين . .

ثم إن الإمام فيصل جمع شجعان قومه ورتبهم على الحملة على من بهذا القصر وقتالهم فحملوا عليهم وحفوا بهم من كل جانب ودخلوا عليهم فيه . . وأخذوه عنوة، وقتلوا من الترك نحو خمسة وعشرين رجلاً وأسروا منهم اثنين وعشرين رجلاً . .

ثم إن خورشيد حشد على هذا القصر بغاية الجد والاجتهاد، واشتد القتال بينهم والجلاد إلى أن حجز الليل بين الفريقين . . هذا وجنود فيصل لهم مصابرون . .

ثم انهزموا عن القصر وتركوه وتبعهم عساكر الترك ودخموه، وانفكت هذه الوقعة عن قتلى وجرحى بين الفريقين . . » .

ويذكر ابن بشر بعد ذلك وصول عمر بن عفيصان، أمير الأحساء، ومعه جنود كثيرة فاستؤنفت المعارك وكادت تقع الهزيمة في عسكر الترك «وتكسرت السيوف والخناجر في ظهورهم وبين أيديهم . . وحصل قتال شديد يشيب من هوله الوليد، وانفكت هذه الوقعة العظيمة عن قتلى وجرحى بين الفريقين ورجع ابن عفيصان وجنوده إلى بلد السلمية، وقصد بعضهم بلد (زميقة) ودخلوها» .

ويذكر ابن بشر أيضاً أن ابن عفيصان ومن كان معه قصدوا بلد (زميقة)، فلما نزلوها «وقع فيهم خلل وفشل وتنافس وتخاذل، فرحل أهل الحوطة إلى بلادهم ثم تبعهم أهل الحريق، وأراد منهم الهزاني الجلوس عنده فأبوا عليه، فلما رأى ذلك منهم ابن عفيصان رحل من زميقة وقصد بلد السلمية، فاستخرج أهله وعشيرته منها . . وذهب البشير إلى الباشا، فأرسل إليها حسين اليازجي ومعه عسكر ورجال من العرب ومن أهل الرياض وأخذوا جميع ما فيها» .

ويردف ابن بشر أن هروب الناس من زميقة على هذا النحو أوقع الخوف في أهل الحوطة وغيرهم من المرابطين في (الدلم)، وفي أواخر رمضان ركب رجل من آل شريم - أهل الحوطة - «وقصدوا الباشا فأعطاهم الأمان، وكان في قصر (موافق) المعروف في الدلم، من أهل الحوطة نحو مائة رجل، عند فيصل رؤساؤهم . . فتراسلوا وتواصلوا مع جماعتهم الذين عند الباشا فأخذوا لهم منه الأمان .

فلما علم فيصل بذلك أرسل إليهم وقال لهم: إما أن تحاربوا معنا أو تخرجوا

عنا، ونحن نجعل في القصر بدلكم ولا تفتوا في أعضادنا . . .

فقالوا: صالحنا الباشا على يد جماعتنا، فلا تنقض عهدهم لنا.

فقال فيصل: إذا كان الأمر كذلك فاصبروا حتى نأخذ الصلح والأمان على بلدنا وجنودنا وأموالنا.

فدعا فيصل إبراهيم أبو ظهير، وأرسله إلى خورشيد باشا، فأجابه إلى كل ما طلب إلا أنه يسافر إلى محمد علي في مصر ويجلس عنده مع عشيرته الذين في مصر.

فظهر فيصل من البلد إلى الباشا، وصالحه على دماء أهل الدلم وأموالهم وعلى من تابعه من أهل العارض وغيرهم.

فدخل فيصل الدلم وقضى حاجاته منها ثم خرج ونزل عندهم وأقام نحو أربعة أيام، فجهز الباشا حسن اليازجي وعسكره، فرحل فيصل معهم ومعه أخوه جلوي وابن أخيه عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله، وأولاده عبد الله ومحمد وسار الجميع من الدلم في آخر رمضان فوصلوا إلى (المدينة)، ومنها إلى مصر، وأنزلوه في بيت وجعلوا عنده حرساً يحفظونه. وصار في مكانه ذلك يحيي غالب الليل بالتهجد والصلاة وفي نهاره بين الصلاة وتلاوة القرآن.

وكان يتردد إليه كثير من أهل مصر إذا كان في أحد منهم ألم أو حمى أو غير ذلك يأتونه يقرأ عليهم، وكانوا يرون أثر الشفاء من قراءاته ودعائه، ومن أجل ذلك ازداد عندهم تكريماً وتعظيماً».

ثبات فيصل وشجاعته:

وينهي ابن بشر وصفه للمعارك بهذه الكلمات:

«إنما أطلت الكلام على هذه الوقعات وما جرى لهذا الإمام وعليه من الحروب والوقائع، وما قضاه الله تعالى وقدره عليه من الحوادث والفظائع ليعرف بذلك صدقه وثباته وشجاعته وجوده وبذله وبراعته، وإنه ما أعطى الدنية إلا بعد حروب كثيرة ووقائع فظيعة شهيرة، وقتل رجال وأخذ أموال، وكذلك صدق جنوده ومحبتهم له ووفاؤهم بعهوده، حتى سلمه القدر وشخص إلى مصر، وفي طي ذلك سر عظيم لا يعلمه إلا العزيز الحكيم».

تقرير خورشيد

المرسل إلى محمد علي عن معاركه مع فيصل

ـ كما جاء في كتاب جومار ـ

جاء في تقرير (خورشيد) عن معركته مع الإمام فيصل المرسل إلى محمد علي ما يأتي:

«بما أن المشاة الذين كانوا معي كان عددهم قليلاً فقد اضطررت إلى استخدام الفرسان في صد الهجمات المتكررة التي كانت تأتي من (زميقة).

وفي ٧ رمضان تلقى العدو إمداداً يقدر بثمانية آلاف رجل هاجموا معاقلنا، فصده مشاتنا وفرساننا وتابعوه إلى ما وراء (زميقة)، وقد أخذنا منهم مائة أسير وقتلنا ألف رجل.

وبينما كنا نحرز هذا النصر، قامت حامية (الدلم) بالهجوم على بعض معاقلنا، فأرسلنا الإمدادات اللازمة وأخفقت هجماتهم.

ثم قام تركي الهزاني من زميقة بمحاولة جديدة للاستيلاء على قافلة أرزاق لنا، وفي هذه المرة كان اندحار العدو كاملاً، فهجر (زميقة) تاركاً فيها كل مؤنه، وعدداً من الجرحى، أطلقت سراحهم.

في الدلم:

سرنا إلى الدلم، وأمرت بوضع لغمين في أسوار البلدة، لكي أجعل الدلم وفيصلاً تحت قبضتي، وأخذت مدفعيتنا تطلق نيرانها، وكان كل شيء تهيأ لمهاجمة قلعة الدلم، ولكن ثلاثة من جنودنا فروا وأخبروا الحامية السعودية الموجودة هناك بمقاصدنا، ورأى أفراد الحامية أنهم عاجزون عن مقاومة هجومنا فاستسلموا . . .

أما فيصل فلم يعد قادراً على الاعتماد إلا على (الفداوية) وسكان البلد فحاول

الهرب، ولما وجد أنه محاصر ولا يمكنه النجاة استسلم، وكان ذلك في ١٢ شوال/ ١٩ ديسمبر ١٨٣٩ م.

أرسلت فيصل تحت الحراسة إلى المدينة، بصحبة أخيه وابن عمه، وقد كانا أسيرين أيضاً.

دخلنا (الدلم) في ٢٢ رمضان، بعد حصار استمر ٤٠ يوماً خضعت القبائل كلها لمولانا، وكذلك كل منطقة الخرج»[١].

(١) نقل ويندر ترجمة إنكليزية لهذا التقرير في كتابه: السعودية في القرن التاسع عشر.

من الوثائق الإيتالية[1]:

محمد علي يفرض الشرفاء

على الحجاز بالقوة وباسم الترك!

(١)

القاهرة ٢٦ أيلول ١٨٢٧ م

من بوكتي إلى بيتزوني

خلاصة الرسالة:

وصلت قافلة الحجاج وأخبروا أن الشريف يحيى استولى على الضواحي وقطع المواصلات بين مكة والمدينة وجدة.

(٢)

القاهرة ١٣ أكتوبر ١٨٢٧ م

من بيكوتي إلى بيتزوني

خلاصتها: سافر الشريف الجديد منذ ثلاثة أيام، مع فرقة من الفرسان الترك وستتبعه فرقة من المشاة اليوم أو غداً.

(٣)

القاهرة ٨ أكتوبر ١٨٢٧ م

من بيتزوني إلى ريبوبيير

خلاصتها: سافر الشريف يوم ١٣ أيلول من القاهرة إلى الحجاز، تصحبه فرقة خيالة وستتبعه فرقة مشاة من ٣٠٠٠ مقاتل يوم ١٤ أكتوبر.

---

(١) هذه الوثائق سميناها الإيتالية لأنها مكتوبة باللغة الإيتالية، ولكنها اكتشفت في القنصلية الروسية في مصر، وبوكتي هو مساعد القنصل الروسي وبيتزوني السفير الروسي في إستانبول والرسالة ٣ موجهة إلى وزير الخارجية الروسي ريبوبيير.

(٤)

القاهرة ٩ أكتوبر ١٨٢٧ م

من بوكتي إلى بيتزوني

خلاصتها: تلقى محمد علي من ابنه أن جنود محمد علي وصلوا إلى مكة وطردوا منها العصاة الذين يقودهم الشريف.

(٥)

القاهرة ٣١ أكتوبر ١٨٢٧ م

رسالة من بوكتي إلى بيتزوني

خلاصتها: اجتمع الشرفاء وأعيان مكة والطائف للتذاكر في طريقة لإنهاء الخلافات الحاضرة والمآسي الناشئة عنها، وقرروا أن يسموا بديلاً من الشريف يحيى، وبموافقة أحمد باشا: الشريف عبد المطلب، ابن أخ المرحوم الشريف غالب، وقد ذهب وفد إلى الشريف يحيى للحصول على تنازله ولكنه رفض.

ثم أخذ الشرفاء علماً بأن محمد علي اختار شريفاً لمكة، وهو الشريف محمود.

(٦)

القاهرة ٣ كانون الثاني ١٨٢٨ م

رسالة من بوكتي إلى بيتزوني

خلاصتها: وردت مكاتبات جديدة بأن الشريف محمود وأحمد باشا خرجا من جدة مع كل قواتهما ودخلا مكة عنوة، وخرج الشرفاء من مكة وذهبوا إلى معسكر الشريفين السابقين عبد المطلب ويحيى، اللذين أعلنا عصيانهما.

وقد وقعت بينهما وبين أعوان الشريف محمود معركة دامية.. ويبدو أن الشريف محمود قد استقر في مكة.

رسالة من الإمام فيصل بن تركي
يعترف فيها بالسلطان العثماني

نقل سالدانا خلاصة كتاب أرسله الإمام فيصل إلى المقيم البريطاني في الخليج العربي ـ وكانوا يسمونه: (الخليج الفارسي) ـ يؤكد فيه أن دول الخليج الصغيرة هي دول مستقلة.

ثم يقول إنه تابع لحكومة السلطان، وقد تلقى من السلطان اعترافاً باستمرار سلطته على كل العرب.

ويذكر أيضاً أنه قاوم حركات محمد علي، الذي لم يحصل على تفويض أو إذن من السلطان، أمير المؤمنين.

وينهي الإمام فيصل رسالته بالدعاء لدوام ملك السلطان العثماني وعزه.

تبعية اسمية ومبلغ رمزي:

ويعلق سالدانا على سياسة فيصل، بقوله:

كان فيصل يدفع مبلغاً من الماء سنوياً إلى السلطان العثماني وهو ١٠٠٠٠ جنيه عثماني، ولكن هذا لا يعني أن العثمانيين لهم شيء من السلطان في نجد، فقد رأى فيصل أن دفع هذا المبلغ والتظاهر بالولاء الاسمي للسلطان العثماني خير من تعريض البلاد للغزو الخارجي.

ولقد حاول حاكم بغداد العثماني أن يلوم القنصل البريطاني، لأن البريطانيين هاجموا أرضاً تابعة لفيصل، وهو قائم مقام عثماني لنجد، التي هي من الممالك العثمانية ولكن القنصل أجابه أن البريطانيين كانت لهم دائماً اتصالات مع فيصل، وهي اتصالات مباشرة، لأنهم لا يعرفون وجوداً لسلطة غير سلطته في نجد.

وبذلك أفهم حاكم بغداد أن المسائل الشكلية التي يتذرع بها لا قيمة لها.

الوثائق الروسية المكتشفة في مصر
ـ كما وردت في كتاب القطاوي ـ

(١)

من بوغوس بك إلى دوهاميل، في ٣٠ مايو ١٨٣٤ م

«جيوش أحمد باشا دخلت أراضي اليمن وبدأت تستولي على الموانىء الواقعة على البحر الأحمر، والأسطول المصري هو الآن أمام «مخا» التي يتوقع استسلامها».

(٢)

من بوغوس إلى دوهاميل، في ١٢ سبتمبر ١٨٣٤ م

«الفرقتان اللتان ستتجهان إلى الحجاز هما الرابعة والتاسعة، وعدد كل واحدة ٣٢٠٠ مقاتل».

(٣)

من دوهاميل إلى نسلرود، في ٢٢ أكتوبر ١٨٣٤ م ـ الإسكندرية

«إن محمد علي يتوهم!...

إنه يقدِّر سكان مصر بعشرين مليون نفس، ويقدر عدد سكان الجزيرة العربية واليمن باثني عشر مليوناً، وكأنه أصبح مالكاً لها وسيداً عليها، مع أن القسم الأكبر من تلك البلاد لن يكون تحت سلطانه».

(٤)

من دوهاميل إلى نسلرود ـ سنة ١٨٣٥ م

«استولت العساكر المصرية على (مخا) دون مقاومة.

تأثرت زراعة البن بالاضطرابات. وكان يمكن أن تكون تجرة البن أكثر ازدهاراً، لولا أنها منحصرة في قبضة محمد علي».

(٥)

برقية عباس باشا إلى بوغوس، في ١١ ذي القعدة ١٢٥٤ هـ / ٢٦ كانون الثاني ١٨٣٩ م.

حول أسر فيصل وأولاده وأقربائه

أرسل إليَّ حاكم المدينة كتاباً مؤرخاً في ١٥ شوال يقول فيه إن خورشيد باشا القائد العام في نجد، الذي كان منشغلاً بمحاربة العصاة العرب في (الدرعية)، قد كتب إليه أنه بعد حصاره للدلم، مقر العصاة، فإن هؤلاء لم يستطيعوا مقاومة هجمات الجيش وأن الذين طلبوا منه العفو قد نالوه، وأن رئيس العصابة فيصل بن تركي، مع كل أولاده وأقربائه قد قُبض عليهم في ٢٣ رمضان وأرسلوا إلى المدينة.

وقد أمرت عند تلقي هذا النبأ بأن تُطلق من قلعة القاهرة ٢١ طلقة مدفعية.

وأرسلت إليك هذه البرقية حتى لا تكون تلك الطلقات سبباً لشائعات لا ظل لها من الصحة.

(٦)

من ميديم إلى نسلرود، في ٣٠ مارس ١٢٥٤ هـ

حول توسع مطامع محمد علي بعد انتصاراته في الشام والجزيرة العربية.

«انتصار إبراهيم باشا على ثوار حوران سرَّ محمد علي وسرَّه أكثر من ذلك ما ورده من تقارير من الجزيرة العربية، فقد أحرزت جيوش خورشيد باشا انتصارات باهرة في نجد أعظم من انتصار أحمد باشا في عسير.

إن خورشيد، الذي كان في وضع خطير، غير قادر على التقدم أو التأخر. قد قام بضربة جريئة جداً، فتقدم إلى قلب مقاطعة نجد وأصبح سيداً عليها دون أن يضحي بشيء، وقد أخضع بالمفاوضات شيوخ تلك البلاد الواسعة.

و (عسير) التي كانت تبدو ممتنعة جداً وغير قابلة للخضوع، والتي كان محمد علي يعتبرها مفتاح الجزيرة العربية كلها، أصبحت الآن تحت السيادة المصرية.

إن محمد علي أصبح الآن مالكاً لأحسن أجزاء الجزيرة العربية. وتمتد ممتلكاته من البحر الأحمر إلى الخليج الفارسي.

إن هذه الانتصارات زادت في مطامع محمد علي، الذي أصبح يعتقد أنه إن لم يكن قادراً على احتلال العالم كله، فهو قادر على مقاومة العالم..

وقد أعلن محمد علي لقناصل النمسا وإنجلترا وفرنسا أنه لم يعد قادراً على البقاء في التبعية العثمانية».

(٧)

من ميديم إلى نسلرود، في آخر عام ١٨٣٩ م

تلخيص: سألت محمد علي باشا عن الأهمية التي يعلقها على احتلال الجزيرة العربية، ومثَّلت له المتاعب التي يحدثها له الباب العالي في سبيل إعطائه حق الاحتفاظ بتلك البلاد، فأجابني الباشا أنه لم يعد حريصاً على الاحتفاظ بالجزيرة العربية، وأنه مستعد أن يعيدها إلى السلطان العثماني متى طلب منه ذلك، وأن هذه البلاد تعتبر بحكم الجغرافيا تابعة طبيعيًّا لمصر..

(٨)

من ميديم إلى نسلرود - في سجل ١٨٤٠ م

«استدعى محمد علي باشا من نجد خورشيد باشا ومن اليمن إبراهيم باشا. وكل العساكر النظامية ستعود من العربية إلى مصر.

من معروضات الباب العالي، كما قال محمد علي باشا: إعطاؤه مصر وسوريا وراثة.

وأما العربية فيستعيدها السلطان العثماني لنفسه، ويوجهها إلى محمد علي بتوجيه «خط»».

حكم خورشيد

قتلُهُ الناسَ وتعذيبهم ونهبه الأموال وتخريبه البلدان

تقول «صحيفة الخليج الفارسي»، في أخبار سنوات ١٢٥٤ إلى ١٢٥٦ هـ:

«بعد نفي الأمير فيصل إلى مصر، أقام القائد المصري معسكره في السلمية، في الخرج، وكانت قواه النظامية وغير النظامية، حوالي ثلاثة آلاف مقاتل، وقد أرسل ثلاثمائة من المقاتلين غير النظاميين إلى الأحساء، حيث كانوا مادة الحاميت في القطيف وسيهات والعقير.

إن وضع خالد بن سعود، الذي كان منذ اللحظة الأولى ألعوبة في أيدي المصريين، يبدو قلقاً وغير طبيعي.

فمن ناحية يقول المصريون في مداولاتهم مع الدول المجاورة إنهم إنما يعملون لتقوية حقوق الأمير السعودي فقط، وقد أقاموا احتفالاً بمناسبة تنصيبه وخلعوا عليه كسوة التشريف.

ولكننا، من ناحية ثانية، نجد أن خورشيد باشا يحتفظ بإدارة الأمور كلها في يديه، ويعلن سيادة مولاه (محمد علي) المطلقة على جميع أنحاء نجد[١].

---

(١) إن مقاصد الحكومة المصرية، في هذا الوقت، هي أبعد أفقاً مما كانت عليه عام ١٨١٨ - ١٩١٩م. وغايتها الآن هي: إخضاع جميع الجزيرة العربية، الوسطى والشرقية، والاستيلاء على منطقة العراق التركية.

إن التأكيد الذي أعطاه محمد علي عام ١٨٣٨م في القاهرة إلى الممثل البريطاني، بأنه لن يمدَّ سلطنه إلى الخليج الفارسي، لم يطبق.. وهذا ما أثار معارضة البريطانيين، وسيحفق المصريون.. وقد أعلن المقيم البريطاني في أبو شهر عام ١٨٣٩م أن يستخدم كل نفوذه لوقف تعديات المصريين..

تفشي المظالم ونهب الأموال في الأحساء:

أرسل خورشيد، رجلاً من المغاربة، اسمه محمد أفندي الفاخري، ومعه خمسون رجلاً من العسكر والعرب، إلى البحرين وفارس بمكاتبات، ثم عينه أميراً على الأحساء، وأطلق يده في حكمها وجباية الأموال من سكانها دون شفقة أو هوادة، ويقول ابن بشر أن محمد أفندي وضع على الأهالي «مظالم عديدة ووطأهم وطأة شديدة، وخرص القت - أي البرسيم - «عقبات»، والعقبة ملء الكف. . وفرض العشر على الدكاكين والنجارين والغزالين والصنّاع والصفارين حتى مجالس أهل البيع والشراء في المواسم، وأخذ من أكثرهم شيئاً معلوماً كل شهر، كما أخذ نصيباً له مفروضاً على كل ما يباع من بعير وحمير وبقر وأغنام وتمر ودهن وخبز، إلى غير ذلك من المظالم التي لم تعرف قبله».

مصـرع الظـالـم:

فلما كان غرة شعبان من هذه السنة، أقبل محمد أفندي من الأحساء بين العشائين، ومعه خمسة فرسان، وغلام بيده «سراجة يريد دخول بلد (الهفوف) وبيته فيه، فرصد له على طريقه ثلاثة رجال معهم بنادق، فلما أقبل عليهم ثوروا البنادق فيه فخرَّ صريعاً».

الأثـر في نفـس خورشيـد:

ويبدو أن مصرع محمد أفندي لم يقنع خورشيد بعواقب الظلم الوخيمة، وإنما زاده إصراراً على المضي في انتهاج طريقته التي تخلّد ذكره في عالم الإجرام والهمجية.

مكافأة لمن يدل على القتلة:

ويقول فيلبي في كتابه «تاريخ نجد»:

طبيعي أن الظالم قصير العمر، فقد قتل محمد أفندي على يد مجهولين بينما كان عائداً من زيارة قام بها إلى عين نجم ذات المياه المعدنية. وخشي أحمد السديري أن تُسند إليه تهمة التحريض على مقتله، فأعلن عن مكافأة سخية لمن يدلي بمعلومات تؤدي إلى اعتقال القتلة وتنفيذ حكم الإعدام فيهم، واتجهت التهمة إلى ثلاثة رجال من قبيلة العوازم من أتباع أمراء بني خالد، كانوا قد طلبوا إلغاء منصب

الحاكم. ولكن خورشيد باشا لم يقتنع بصواب رأيهم فأرسل من الرياض حاكماً آخر اسمه محمد أفندي أيضاً. وتابع الحاكم الجديد سياسة العنف والطغيان التي انتهجها سلفه، فسخط من ذلك أحمد السديري وبنت نقمته على هذه التصرفات الرعناء، فطرده من منصبه وعيَّن مكانه عيسى بن علي بن فايز، تعويضاً له عن منصب إمرة حايل الذي فقده من قبل. وكان مقتل محمد أفندي الأول في تشرين الأول سنة ١٨٣٩ م، وطرد أحمد السديري في الشهر التالي.

خورشيد أظلم من محمد أفندي

قال ابن بشر:

. . . دخلت السنة ١٢٥٥ هـ، وخورشيد باشا في ناحية الخرج، ولما تولاها وسارت أعوانه في فناها، هرب أناس كثير إلى الحوطة والحريق، لأنهم أهل منعة ولا يعطون الدنية للترك، فسكن عندهم الشيخ عبد الرحمن بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ علي بن حسين وأخوه عبد الملك، وأناس غيرهم.

وبقي الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدلم قاضياً ولا رأى مكروهاً.

وكان الشيخ القاضي محمد بن مقرن رمي عند خالد أنه من أعوان فيصل ودواعيه، فأرسل إليه وقدم عليه الرياض وأنزله في بيت عنده. . .

وفي مقام خورشيد باشا في الدلم أمر على جميع بلدان الخرج والفرع بخبطة كثيرة من كل بلد وتمر، فأخذ منهم جميع المطلوب وذكر لهم أنه بالثمن وأمر على أسوار بلدانهم فهدمت، ثم رحل من الخرج بعساكره في آخر عاشوراء وأبقى في بلد السلمية رجالاً من المغاربة والترك وجعلهم في عيون الأسياح يعمرون ويزرعون.

وقصد بعساكره الرياض ونزل فيها، وأرسل إلى حسن المعاون، وهو في ثرمدا، وأمره يبعث إلى البلدان رجالاً من المغاربة يخرصون ثمرة الزروع، فخرصوا جميع الزروع من الأحساء إلى القصيم، ثم رحل خورشيد من الرياض في أول ربيع الأول، وقصد ثرمدا ونزلها واستوطنها وبنى له فيها قصراً، ونزلت العساكر خارج البلد، ثم رحل إلى أهل البلدان رجالاً من العسكر وأمرهم ينظرون في خرص كل بلد، ويأخذون نصفه، وذكر لهم أنه بالثمن، فنزلت رجاله في البلدان وأخذوا من كل بلد نصف زرعها، وجمعوا حنطة كل ناحية في بلد منها، وجلس عنده رجل من العسكر، وأخذوا ذلك من جميع نجد من القصيم والوشم وسدير والعرض والخرج والأحساء وغير ذلك، ثم بعد ذلك أمر على أهل البلدان، أن ينقلوه إليه في

ثرمدا فنقلوه وجمعه عنده، أعني حنطة سدير والوشم وما يليه، وأما غير ذلك من النواحي فجمعوه في نواحيهم ثم نقله.

خورشيد أظلم من محمد أفندي وأنهب وأفظع

يقول ابن بشر أن خورشيد نزل في الدلم، وأمر بتهديم أسوار البلدان فهدمت، وأرسل رجاله من المغاربة والترك أن يأخذوا نصف جميع الزروع من الأحساء إلى القصيم، وأن يجمعوا الحنطة من جميع نجد من القصيم والوشم وسدير والعارض والخرج والأحساء وينقلها إليه في مكان إقامته الجديد: (ثرمدا) حيث بنى له قصراً منيفاً محروساً، أو قلعة حصينة.

حــوادث سنــــة ١٢٥٦ هـ

استدعاء خورشيد إلى مصر...
استمراره في نهب الأموال حتى آخر لحظة

في سنة ١٢٥٦ هـ ورد على خورشيد الأمر من محمد علي بالشخوص إلى القاهرة، فصمم على نهب ما يستطيع نهبه قبل الرحيل، فخرج من ثرمدا إلى منطقة السر، حيث تزوج بنت الصوينع الهتيمي، وقام بجمع «الرحايل» من العربان، وطلب رحايل من ابن رشيد، رئيس بلد شمر، فقدم إليه سبعمائة بعير، ثم نزل الشنانة، وأمر عربان حرب وغيرها برحايل تحمل العساكر وأثقاله التي في ثرمدا.. وأرسل إلى خالد يدعوه للقدوم إليه، فقدم عليه ومعه أكثر من مائتي مطية، من الحضر والبدو.

وأخيراً... رحل خورشيد إلى مصر، غير مأسوف عليه، وأما (خالد) فسار إلى الرياض ونزلها.

قال ابن بشر:

«دخلت السنة السادسة والخمسون بعد المائتين والألف، والباشا في بلد ثرمدا وورد عليه الأمر بالشخوص إلى مصر، فقام بجمع «الرحايلة» من العربان، فمنهم من أطاعه ومنهم من أبى عليه..».

وطلب رحايل من عند عبد الله بن علي بن رشيد، رئيس بلد شمر، فقدم إليه سبعمائة بعير.

«... وفيها أرسل الباشا رجالاً من المغاربة والعرب يخرصون الزروع في الصيف، فلما تم خرصهم في جميع البلدان كتب الباشا إلى أهل الوشم والمحمل وزاد عليهم في الخرص الربع وأرسل إليهم رجالاً، وأخذوا ربع الخرص والزيادة مع الزكاة، وأما أهل القصيم فلم يؤخذ منهم إلا الثمن من زرعهم، وأما أهل سدير فلم يزاد عليهم في الخرص، ولكنه أخذ منهم الثلث، ونقل أهل سدير ذلك العيش

المطلوب إلى بلد ثرمدا. وأما منيخ وما يليهم فنقلوه إلى بلد الزلفى. وذلك أن فيه البصيلي رئيس المغاربة الذي ستدعه خورشيد من المدينة. وكان خورشيد لما استوطن نجد أرسل إلى البصيلي وهو بالمدينة. فظهر منها ومعه سبعمائة رجل على خيلهم في السنة الخامسة. وقدم الرس فلم يجد فيه طعاماً له ولخيله. ثم رحل منها وقصد جبل شمر. فأرسل إليه الباشا محمد الفاخري المغربي. فأتى به من الجبل ونزل إلى السر المعروف. فجعل له الباشا هذا البر في الزلفى. فرحل إليه وقبض العيش وأقام فيه أياماً بخيله ورجله.

كان خورشيد شخصية قوية، وكان يوهم النجديين أنه جاء لخيرهم. وأن خصمه الشخصي هو (فيصل) فقط...».

ويقول (سالدانا) في مختصره إن خورشيد ألقى بمطلب خالد في ارتقاء عرش نجد جانباً، وأعلن أن نجداً هي (إقطاع) مصر وحصتها وحدها.

ولكن خورشيد لم يكتفِ بنجد وإنما شرع بالتوسع نحو الخليج. وذلك لأن (محمد علي) أخذ يطمع، بعد استقلاله بحكم مصر، أن يمدَّ نفوذه إلى الخليج الفارسي لما يحققه هذا العمل من سمعة عالمية وفوائد مادية وزيادة قوة..

وهكذا استولى خورشيد على الأحساء، ثم طلب من أمير البحرين دفع الزكاة وإعادة جزيرة تاروت.

أثار عمل خورشيد حكومة الهند البريطانية، فبذلت مساعيها لتحذير محمد علي من التوسع في الخليج، وأظهرت عزمها على مساعدة البحرين، ولكن شيخ البحرين اتفق مع خورشيد على أن يدفع إليه ٢٠٠٠ (ماريا تيريزا تالر) سنوياً، وأن لا يكون لمصر مندوب في البحرين، وأبلغ المقيم البريطاني في البصرة أنه بهذا الثمن الرخيص ضمن سلامة بلده.

في البريمي وعمان:

استخدم خورشيد أمير البريمي السابق سعد بن مطلق، الذي استطاع استمالة الشارقة وأبو ظبي، بينما وقفت دبي وأم القيوين ضده، ولكن البريطانيين تحركوا.. واستطاعوا استمالة الأقطار الأربعة وجعلوها تقف معهم ضد المصريين.

انسحاب الجيوش المصرية من نجد
وخورشيد يسلم الإمارة إلى خالد قبل رحيله!

في ربيع الأول من سنة ١٢٥٦ هـ:

وأخيراً، غير مختار، ركب خورشيد (باشا) من ثرمدا على ركابه وبعض خيله وأبقى قرابته ومدافعه وثقله في ثرمدا، وتزوج بنت الصوينع الهتيمي.

قيل إنها مع زوج، وأمر علي بكير آغا رئيس العسكر الذين في بلد (شقرا) أن يتبعوه بعسكره، فركب (بكير) من شقرا في ١٢ ربيع الثاني وقصد الباشا، وأرسل الباشا إلى البصيلي وهو وعسكره في الزلفى، فركب منه ونزل المذنب ثم رحل منه ونزل السر، ثم رحل الباشا بعساكره وقصد الرس، ونزل الشنانة الخل المعروف، وأمر عربان حرب وغيرها برحايل تحمل العساكر وأثقاله التي في ثرمد. - ابن بشر -.

رحيل خورشيد وعساكره إلى مصر:

فلما كان في منتصف جمادى الأولى رحلت جميع العساكر من ثرمدا ولم يبقَ فيها إلا نحو عشرين رجلاً.

وأرسل الباشا، وهو في شنانة، إلى (خالد) يدعوه للقدوم إليه، فركب اليه خالد في جمادى الآخرة، ومعه أكثر من مائتي مطية من الحضر والبدو، وقدم على خورشيد في الشنانة، وأقام عنده أياماً.

.. ورحل خورشيد غير مأسوف عليه إلى مصر.

أخلى خورشيد بلاد نجد في آذار عام ١٨٤٠ م، لأن محمد علي اضطر إلى توقيع معاهدة سلام مع الدول الكبرى تلزمه بالتخلّي عن البلاد التي احتلها.

تلخيصات عن ابن بشر:

حكم خالد.. وهربه وانتفاضة ابن ثنيان

سنة ١٢٥٦ هـ:

دخل خالد بعد سفر خورشيد مدينة بريدة ثم دخل عنيزة وأقام فيها أياماً، ثم ركب منها وقصد الرياض، فلما وصل شقرا وافاه أمير الجبل عبد الله بن رشيد وافداً عليه ومعه أكثر من مائتي مطية من أهل الجبل، وسار معه إلى الرياض، ثم قدم عليه بعده أمير بريدة عبد العزيز بن محمد...

ووفد عليه رؤساء العربان وكثير من أمراء البلدان.

فلما كان في آخر رمضان أرسل خالد إلى أهل البلدان بالمغزى، وأمر البلدان أن يقدموا إليه واستلحق أحمد السديري وأمراء سدير، فلما قدموا عليه في الرياض أنزلهم في بيوت وأمر على الغزو أن ينزلوا خارج البلد. ثم دعا أهل سدير فدخلو عليه فلما جلسوا عنده، قال: إني ما أحضرتكم إلا إني أريد أن أزيل عنكم المظالم، وأنه بلغني عن أحمد السديري أنه ظلمكم وأخذ كثيراً من أموالكم (وهذه من خالد، والله أعلم، غيرة مما رأى من إكرام خورشيد لأحمد وحظه عنده). فتكلم أناس من سدير في السديري وقدحوا فيه، وتكلم آخرون بضد ذلك، ثم قام خالد من المجلس، وأمر على بلال الحرق مملوك عبد العزيز بن سعود أن يركب ويقصد بلدان سدير ومنيخ، وأمره أن يدخل كل بلد ويكتب كل ما أخذه أحمد منهم، فقدم بلدان سدير في ذي القعدة.

.. ثم أمر خالد على عبد الله الحصين واستعمله أميراً في سدير، وأمره بإخراج عيال أحمد السديري وأهله عن قصر المجمعة.. واستعمل أميراً في غزوان سدير والوشم عبد العزيز، ابن الشيخ عبد الله أبابطين، وقدم عليه في الرياض عمر ابن عفيصان من الكويت، فجعله أميراً لهذا الغزو فسار بهم ونزل بلد ضرما وأغار على آل روق من قحطان فأخذ عليهم إبلاً وغنماً.

حوادث سنة ١٢٥٧ هـ

في أوائل سنة ١٢٥٧ هـ قدم موسى الحملي رئيس الأحساء على خالد فاستعمله أميراً على الأحساء، كما قدم عليه عبد الرحمن بن مانع فاستعمله على بيت المال.

وقعة بقعة:

لعل أبرز حوادث سنة ١٢٥٧ هـ: وقعة (بقعة) على أهل القصيم، ويصفها ابن بشر بأنها الواقعة العظمى والحادثة الكبرى.

وخلاصتها: أن أهل القصيم كانوا قد تعاهدوا على حرب من يقصدهم بعداوة، وكان غازي بن ضبيان رئيس عربان الدهامشة من أتباع أهل القصيم، وصادف أن عبد الله بن رشيد أغار على (غازي) وأخذ منه إبلاً كثيرة، فركب أمير بريدة بأهل بريدة وجميع أهل القصيم، وكذلك فعل أمير عنيزة، وانضم إليهم غازي وجماعة كثيرة من عنزة، وأغاروا على (وجعان الراس) من شمر، وأخذوا منهم أموالاً كثيرة، ثم تابعوا مسيرتهم إلى (حايل) عاصمة ابن رشيد ونزلوا (بقعة) ثم (ساعدة)، ثم كان بينهم وبين جنود ابن رشيد معارك طاحنة، قُتِل فيها كثير من أهل القصيم، قيل إن عددهم بلغ ثلاثمائة قتيل.

ولاية ابن ثنيان:

وفي هذه السنة (١٢٥٧ هـ) هرب عبد الله بن ثنيان عن خالد إلى (المنتفق)، حيث وعده رئيسها النصر، ثم جاء إلى (البنية)، موضع خارج الرياض، ثم إلى (حاير سبيع)، ثم سار منها ومعه ستون مقاتلاً إلى بلد (ضرما) وفيها عسكر من الترك والمغاربة، وطلب من أمير ضرما والعسكر متابعته فأبوا، ثم سار إلى (المزاحميات)، وفيها أيضاً عساكر قاتلوه ولكنه هزمهم ودخل البلد، ثم سار إلى

ضرما وتجهز وسار إلى (الملقا) في أعلى بلد الدرعية، وسار منها إلى (عرقة) وحاصرها وأخذها عنوة، ثم كاتب أمير (منفوحة) ودعاه إلى المتابعة فأجابه إلى ذلك وأرسل إليه ثلاثين مقاتلاً للمساعدة، فقدم به وبجنوده إلى منفوحة ودخلها وسار إليهم أهل الرياض وقاتلوهم.

فلما كان صبيحة الأحد ١٤ شوال، بعدما هرب عنه بعض عربانه وكثير من أعوانه، خرج أهل الرياض بالعساكر والقبوس فنازلوه في بلد منفوحة، فحصل عند الجدار قتال وحرب، وتنادب وضرب، واستمر القتال من الصبح إلى آخر النهار. وصار قتلى وجرحى بين هؤلاء الأقوام، ثم تفرقوا لما حجز بينهم الظلام، وتبعهم عبد الله بن ثنيان في ساقتهم وهم لا يعلمون، فلما قرب من الرياض وذلك بعدما غربت الشمس أمر أصحابه بجمع صلاتي المغرب والعشاء، وعلم بحقيقة الأمر، فلما فرغوا من الصلاة فرق عليهم زهبة لبنادقهم وقال لهم: «إنكم داخلون هذه البلدة».

فسار بهم، فوافاه رجال من رؤساء أهل (دخنة)، وهي المنزلة المعروفة في الرياض، فمشوا معه إلى البلد. فلما دخلوها أخذ من قومه رجالاً وقصد بهم البيوت التي يريدها فأدخلهم فيها، فأدخل في بيت مساعد بن تركي أهل العمارية، وأهل بلد أبا كباش، وجعل أهل منفوحة في بيت بلال الحرق، وأهل الحريق في المرابيع.

هذا ومقاتلة أهل الرياض ورجاجيل خالد والعساكر يغنون ويلعبون، وكثير منهم قد دخلوا في بيوتهم ووضعوا أسلحتهم يتعشون.

ثم بعد ذلك فاض عليهم عبد الله بن ثنيان في سوق البلد، وهو شاهر سيفه للقتال..

وذُكر لي أنه ليس معه في ذلك المكان إلا ثلاثة رجال، فعلم به العام والخاص، واشتهر خبره بنخوته وصولته في ذلك المقام، فهرب أكثر الناس إلى بيوتهم.

ثم دخل ابن ثنيان بيت إبراهيم بن سيف فبايعه، ثم دخل بيت آل عيف وجلس فيه وأتى إليه رؤساء البلد وبايعوه.

وأرسل إلى ابن عفيصان ومن معه وأتوا إليه وأطاعوه ولم يراجعوه.

ثم أرسل إلى من في القصر من الترك والمغاربة وأعطاهم الأمن. وأنهم يرحلون من البلد ولا يبقى فيه أحد، وفي آخر النهار خرجوا مستسلمين. فسكنت البلاد وأطاعت، وبايعوه.

هروب خالد:

أما خالد فكان في الأحساء ومعه بعض رؤساء الرياض فسألهم رأيهم، فقالوا له إن الأمر قد خرج عنك، ونحن مع أولادنا وأموالنا، وهم عند ابن ثنيان. فداخل الخوف والرعب قلب خالد فأمر من بقي معه من عساكر الترك ورجاله أن يأتوا بخيلهم وركابهم . . . وهرب بهم من الأحساء إلى الدمام ثم هرب إلى الكويت ثم إلى مكة.

بعد معاهدة لندرة:

محمد علي يأمر جيوشه بالانسحاب الكامل من جزيرة العرب:

يقول عبد الرحمن الرافعي، في كتابه: (إخلاء جزيرة العرب):

« . . . كان محمد علي يحرص قبل معاهدة لندرة، على استبقاء نفوذه وسلطته في الحجاز، لما في ذلك من إعلاء هيبته في أنحاء العالم الإسلامي باعتباره حامياً للحرمين، ولذلك ما فتىء يعمل منذ الحرب السعودية على توطيد مركزه في ربوع الحجاز وفي شبه جزيرة العرب، وإسناد تركيا ولاية جدة إلى إبراهيم باشا قد خوّله حقوق السيادة التي كانت لها في شبه جزيرة العرب . . .

على أن القوات الحربية المصرية، التي استقرت هناك كانت دائماً عرضة لتوثب القبائل، وقد نازعه في بسط نفوذه عامل آخر وهو السياسة البريطانية الاستعمارية، فإن انجلترا بعد أن وضعت يدها على عدن كانت تنظر متوجسة إلى القوات المصرية المجاورة لها في اليمن، واحتجت بأن هذا الجوار مما يثير في نفوس الأهالي روح التعصب الديني . .

على أن محمد علي ظلَّ محافظاً على سلطة مصر في جزيرة العرب، رغم ما يقتضيه ذلك من النفقات الطائلة، إلى أن تحرجت الحالة في ختام سنة ١٨٤٠ م، ورأى محمد علي أن وجوده في سورية أصبح مهدداً وأن بقاء الجيوش المصرية في جزيرة العرب يُحمِّل الخزانة نفقات لا قِبَلَ لها بها، وأنه في حاجة إلى حشد جنوده

حشداً واحداً حينما تألبت عليه الدول المتحالفة مع تركيا، بعد معركة (نصيبين) فاستقر عزمه على استدعاء الجند من جزيرة العرب.

ثم أخلاها إلى غير رجعة سنة ١٨٤١ م تنفيذاً لمعاهدة لندرة، التي قضت بإرجاع الجيوش المصرية إلى حدود مصر القديمة.

وبذلك طويت صحيفة الحكم المصري في الجزيرة».

حوادث سنة ١٢٥٨ هـ

يقول ابن بشر:

«في أول محرم، من سنة ١٢٥٨ هـ، أمر ابن ثنيان عبد الله بن بتال المطيري، ومعه عشرون رجلاً، يقصدون الأحساء وينزلون قصر الكويت، فنزله، واستلحق رجالاً من رجاجيل خالد الذين في الأحساء.

وكان أمر على عمر بن عفيصان أن يتجهز أميراً على الأحساء، فركب منتصف المحرم في خمسين مطية عليها أكثر من مائة رجل، ودخل الأحساء، ونزل قصر الكويت، وأتاه رؤساء أهل الأحساء وبايعوه، وأمر بالوفود إلى عبد الله بن ثنيان فقدموا على الرياض، ثم أذن لهم في الرجوع، وأبقى عنده أربعة رجال من رؤسائهم.

وفيها أمر عبد الله بن ثنيان على أهل نجد بالمغزا، فسار معه أهل سدير والعارض وجميع النواحي إلا أهل القصيم وأهل الجبل، فخرج من الرياض يوم الجمعة منتصف جمادى الأول فنزل بنبان المعروف، ثم رحل منه ونزل الرمحية المار المعروف في العرمة، ووفد عليه رؤساء عربان نجد.

الاستيلاء على القطيف:

وقد جعل ابن ثنيان، وهو في الرمحية، فهد بن عبد الله بن عفيصان، نائباً لابن عمه عمر، أمير الأحساء، وكتب إلى عمر بن عفيصان أن يركب بكل جنوده ويقصد (القطيف)، فرحل بهم وركب معه فلاح بن حثلين ورجال من قومه وغيرهم، ودخل القطيف وأطاع له أهل القطيف وفي مقدمتهم رئيسهم علي بن غانم، فأمره أن يركب إلى ابن ثنيان، فلما قدم ابن غانم على ابن ثنيان وهو في الرمحية فناوبه بأشياء، وقال: إنك تمالىء صاحب البحرين على طوارف المسلمين.

وعدَّد عليه أشياء غير ذلك، فحبسه وأخذ منه أموالاً عديدة، وحبس ابن مانع صاحب الأحساء وعذبه وأخذ جميع أمواله، وحبس رجالاً غيرهم وأخذ منهم أموالاً وأخذ من العربان خيلاً وركاباً.

وقد سمى أحمد بن محمد السديري أميراً في القطيف، فلما وصلها رحل ابن عفيصان قافلاً إلى الأحساء، ورجع فهد وغزوانه إلى أوطانهم.

ثم إن ابن ثنيان لما أراد الرحيل من الرمحية، كسا أمراء البلدان وأذن لهم أن يرجعوا إلى بلدانهم بغزوهم، ورجع هو الرياض».

مع شريف مكة: تبادل الهدايا:

«أرسل محمد بن جلاجل ورجالاً معه بهدية للشريف ابن عون، وعثمان، باشا مكة، ثم أرسلوا إليه هدايا مع آغا من أغواتهم».

استعادة العقير:

وأرسل ابن ثنيان رجالاً إلى بندر العقير، فأخرجوا منه الرجال الذين فيه لصاحب البحرين ونزلوه، وكان صاحب البحرين أخذه من يد خالد بن سعود.

الغيث العظيم:

ويتحدث ابن بشر عن غيث عظيم أنزله الله على نجد في رمضان، وعمَّ جميع الأوطان، وقد خاف بعض الأهلين من الغرق وتضرعوا إلى الله أن يرأف بهم، فكان رحمة من الله للعباد والبلدان وإنقاذاً لهم من بعد السنين الشداد. «فضاقت كل بلد بزروع أهلها وزرعوا وعرها وسهلها..».

من هو عبد الله بن ثنيان:

يقول ابن سند: «عبد الله بن ثنيان من آل مقرن، وهو والد عبد الله باشا ثنيان، المقيم الآن في إستانبول»[1].

---

(١) ويقول محقق كتاب تاريخ نجد، في هامش سنة ١٢٥٧هـ:

«هو عبد الله بن ثنيان بن إبراهيم بن ثنيان بن سعود بن محمد بن مقرن. وقد أنجب عبد الله ابن ثنيان بن إبراهيم هذا ثلاثة أبناء هم:

محمد بن عبد الله بن ثنيان بن إبراهيم، قتل وهو غاز مع سعود بن فيصل إلى قطر سنة =

ويقول سليمان الدخيل في مقال له منشور في مجلة «لغة العرب»:

«تولى السلطة بعد خالد: الأمير عبد الله بن ثنيان بن إبراهيم بن ثنيان بن سعود، فأخضع نجداً بسيفه وفكره، وأسس سياسة للبلاد على سنة آبائه الكرام فأحبوه، ومالت إليه القلوب، وكان شجاعاً لا يهاب اقتحام الأخطار وحومات الحروب، فهابته ملوك الطوائف وعزم على مناوأتهم، فعاجله القدر، وتوفي مسموماً أو قتيلاً، وذلك سنة ١٢٥٩ هـ/ ١٨٤٣ م».

= ١٢٨٧هـ، وليس له عقب.

وثنيان بن عبد الله بن إبراهيم، وله ذرية.

وعبد الله بن ثنيان بن إبراهيم، ويلقب عبد الله باشا. وقد سمي على والده عبد الله بن ثنيان ابن إبراهيم، لأن والده توفي وهو حمل.

وقد نزح عبد الله بن عبد الله الملقب باشا إلى إستانبول، وخلع عليه هناك لقب باشا، وتوفي في إستانبول. وقد أنجب أربعة أبناء هم: عبد القادر وأحمد وسعود وسليمان.

فأما عبد القادر فأنجب ابناً واحداً، هو زكي بن سعود، وأما سليمان فأنجب ابناً واحداً هو عبد الله بن سليمان.

عهد الإمام فيصل الجديد المديد

١٢٥٩ ـ ١٢٨٢ هـ

«قيل إن العباس مهد للمنفيّ درباً يحفُّه الإعجابُ
شام في صدره فؤاداً يشعُّ الفهم منه فتلقح الألبابُ
رب خصمٍ يجلُّ في خصمه الشهم نبوغاً لهم يستبنه الصحابُ . .»

ـ بولس سلامة ـ

ملحمة عيد الرياض

عودة الإمام فيصل من مصر
واستعادة ملكه واستمرار سلطته

الإمام فيصل في مصر

يقول ابن بشر أن الإمام وصل إلى مصر ومعه أخوه جلوي وابن أخيه عبد الله ابن إبراهيم بن عبد الله، وأولاده عبد الله ومحمد، وأن المصريين أنزلوه في بيت «وجعلوا عنده حراساً يحفظونه، وصار في مكانه ذلك يحيى غالب الليل بالتهجد والصلاة، وفي نهاره بين الصلاة وتلاوة القرآن.

وكان يتردد عليه أهل مصر إذا كان في أحد منهم ألم أو حمّى أو غير ذلك، يأتون يقرأ عليهم، وكانوا يرون أثر الشفاء من قراءاته ودعائه، ومن أجل ذلك ازد د عندهم تكريماً وتعظيماً».

ويزعم محقق طبعة ابن بشر الجديدة، أن فيصلاً لم ينزل في دار أعدت له. وإنما وضع في سجن القلعة، فور وصوله . .

وهذه التخطئة غير صحيحة، فالإمام فيصل أقام فعلاً في منزل بالقاهرة، أحاطه محمد علي بالحراسة، ولكن كثرة زوار الإمام ومواعظه لهم وتحدث الناس بما يسمعون، حملت (محمد علي) على نقله إلى سجن القلعة.

كيف هرب الإمام فيصل من سجنه بمصر؟

نقض رواية ابن بشر

يقول ابن بشر، في أخبار سنة ١٢٥٩ هـ:

«وفي أول هذه السنة نزل الإمام فيصل من حبسه بحبال، ونزل معه أخوه جلوي، وابن عمه عبد الله بن إبراهيم، وابنه عبد الله، وكانت العساكر رصداً عليهم في مدخلهم ومخرجهم، والفرجة التي نزلوا معها عن الأرض أكثر من سبعين ذراعاً، فحفظهم الله تعالى أن وصلوا إلى الأرض من غير مكروه، وإذا هم قد واعدوا ركايب تحتهم فركبوها، وذلك في الليل، فساروا إلى جبل شمر».

نقـض رواية ابن بشر:

يبدو لنا أن رواية ابن بشر لهرب الإمام فيصل بتدبيره الخاص.. غير منطقية، فليس سهلاً الهرب من القلعة ومن مصر.. دون مواطأة مع مسؤولين كبار.

ولذلك نرجح رواية زيني دحلان في كتابه: خلاصة الكلام في تاريخ الحجاز، حيث يقول: «صار أمر نجد لعبد الله بن ثنيان، فلما بلغ الخبر فيصل بن تركي صار يدبِّر أمر هربه ليصل إلى نجد وينزع الملك من ابن ثنيان.

فسهل الله له ذلك، بإعانة عباس باشا بن طوسون باشا بن محمد علي باشا، وكان الأمر في ذلك الوقت لمحمد علي ولابنه إبراهيم، وليس لعباس شيء من الأمر، إلا أنه كان محبباً عند جده محمد علي ومسموع الكلمة عند رجال دولته.

وكان يجتمع كثيراً بفيصل بن تركي وهو محبوس، فقال له فيصل يوماً: إن نجداً صارت بيد «عبد الله بن ثنيان»، فلو أتخلص من الحبس وأصل إلى نجد. أنتزع الملك منه إن شاء الله تعالى، وأصير خادماً لأفندينا تحت أمره.

فوعده عباس باشا أن يدبِّر له هذا الأمر، وأمره بكتمانه.

ثم بعد أيام، أحضر له ركائب وخيلاً ووضعها بموضع بعيد عن القاهرة، واحتال في إخراجه من القلعة المحبوس بها بمواطأة مع البواب سراً. فخرج في ليله ووصل إلى المواضع التي فيها الركائب والخيل، هو وبعض أتباعه، وركبوها وتوجهوا إلى نجد.

وبعد يومين بلغ خبر هروبه إبراهيم باشا، فأركب كثيراً من العسكر يسيرون خلفه ليدركوه، وكان ممن ركب معهم عباس باشا. . فساروا يومين ولم يدركوه ورجعوا».

هل جاء الإمام فيصل إلى الشام؟:

يقول الأمير شكيب أرسلان في كتابه: (حاضر العالم الإسلامي) إن فيصل بن تركي: «جاء إلى الشام، ينافث علماء الحنابلة، وظهر منه أنه أقلع عن الإمارة وزهد في الحكم، إلا أن النجديين عادوا فانتدبوا للأمر، فعاد».

ويقول الأب لويس شيخو في مقال نشره في مجلة (المشرق) اليسوعية البيروتية سنة ١٩٢٠ م: «إن فيصلاً بن تركي، بعد هزيمته، اضطر للفرار إلى الأحساء، ثم تنكر وحج إلى مكة، وساح في بلاد الشام، وقرر مذهبه الوهبي بصحبة الحنبليين، ثم عاد إلى نجد يترقب الفرصة لاستعادة أمارته».

فيصل يصل جبل شمر فينصره أميرها بكل قوته ويرسل كتباً إلى جميع بلدان نجد يدعوهم إلى الالتفاف حوله

موقف ابن ثنيان:

يقول ابن بشر إن ابن ثنيان عرف بأمر المراسلات التي يقوم بها الإمام فيصل، فأراد استدراجه للمجيء إلى الرياض حتى يتمكن من التغلب عليه، ولذلك أرسل إليه هدية مع أمير ضرمى، وطلب منه القدوم عليه، فقام فيصل يجهز نفسه للخروج إلى الرياض ولكن ابن ثنيان رحل إلى سدير، حيث وافاه رسل عبد العزيز بن محمد رئيس بريدة يستدعونه إليه وأعطاه العهود والمواثيق إنك تقبل إلينا ونحن لك سامعون ومطيعون ومعك محاربون.

فلما نزل ابن ثنيان بلد المجمعة، وافاه رجل من عبد العزيز يستحثه ويعجله لأنه بلغه أن (فيصل) رحل من الجبل ونزل (الكهفة) الماء المعروف، فرحل من

المعجمة وقصد بلد بريدة ونزل خارجها، فخرج إليه عبد العزيز وبايعه. فلما سمع بذلك رئيس عنيزة عبد الله بن سليمان بن زامل، تشاور في هذا الأمر، وكان فيهم الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين وابنه عبد العزيز، فغلب الرأي أنهم يرسلون عبد العزيز بن الشيخ عبد الله إلى فيصل ويبايعه لهم ويقبل به إليهم. فركب عبد العزيز في رجال معه، فألفى عليه في الكهفة وذكر له أن يرحل معه إلى بلد عنيزة منصوراً ومسروراً، فعزم فيصل على المسير، فرحل من مكانه وقصد عنيزة، وجهز أخاه جلوي، ومعه عبيد بن رشيد في مائة رجل، وأمرهم يقصد محمد بن فيصل الدويش وعربانه وينزلون معهم، وكانوا في أرض الحمادة، وكان الدويش قد حصل بينه وبين ابن ثنيان مخالفة لما أرسل إليه ابنه شقير، وهو في أرض الحسي الماء المعروف، فنزل إليه عبيد وجلوي، ونزلوا معه، وقصد فيصل بلد عنيزة ومعه عبد الله بن رشيد ورجال من قومه، وعبد العزيز بن الشيخ ورجال معه، فلما بلغ ابن ثنيان رحيلهم من مكانهم وإقبالهم إلى عنيزة نهض بجنوده من بريدة وترك مخيمه وأثقاله، ورصد لهم على طريقتهم فعمي عليهم الخبر، وكفى الله الشر.

وصار فيصل على غير موعدهم مرصدهم ودخل عنيزة آخر الليل، فلم يفجأ عبد الله بن ثنيان وجنوده إلا ضرب البنادق في البلد والعرضات، فعلم أن الأمر فاته، فانثنى عزمه ورجع إلى مخيمه ورشد من قومه رجال من رؤساء أهل الجنوب وأهل سدير وغيرهم، وقصدوا فيصلاً في عنيزة، فلما وصل عبد الله بن ثنيان بريدة أمر بالرحيل، وذكر لجنوده أنه يريد عنيزة محارباً، فرحل وقصد بلد المذنب منهزماً إلى الرياض، وخاف من جلوي وأتباعه والدويش وعربانه يغيرون على قومه في طريقهم، فانهزم وواصل الليل بالنهار، فلما علم الدويش وأتباعه بذلك وهم نازلون أسفل بلد الغاط، فزعوا عليهم وشدوا على الصعب والذلول وركبوا الخيل، وشنوا عليهم الغارات فلم يلحقوهم إلا في أرض الوشم، وقد تعبت خيلهم وركابهم فلم يأخذوا منهم إلا القليل، فلما وصل الوشم تفرقت جنوده وقصد أهل النواحي بلدانهم، وهو قصد الرياض ودخله . . وفرق السلاح والأموال، وهدم البيوت التي حول القصر، وأدخل فيه جميع آلات الحرب والحصار، ورتب البلاد ومرابيعها، ورتب في كل موضع رجالاً وأمراء عليهم.

فيصل في عنيزة وغيرها:

لما عاد ابن ثنيان إلى الرياض، رحل عبيد بن رشيد وجلوي وأتباعه وقصدو

بلد ثادق ونزلوه ورحل الدويش ونزل قصور ثادق. وأرسلوا إلى فيصل يستحثونه بالمسير والإقبال، وأرسلوا عبد الله بن إبراهيم، ابن عم فيصل، إلى سدير يدعوهم إلى المتابعة والمسير معهم، فوصل عبد الله المجمعة وأمرهم بالمسير، فركب الأمراء، والغزو الذي قفل مع ابن ثنيان، وسار معه.

وأما فيصل فإنه لما استقر في عنيزة وبايعه أهلها، ووفد عليه رجال من بلدن القصيم ورؤساء العربان، أجمع أمره على الرحيل من عنيزة في أول ربيع الأول، وقصد الوشم، ومعه أمير عنيزة عبد الله بن سليمان، واستنفر أهل بلده، فسار فيصل في نحو مائتي مطية ونزل بلد شقرا فبايعه أهلها وأهل الوشم، ثم رحل منها وركب معه أمراء سدير وغزوهم، واجتمع به أخوه وابن عمه وأتباعهم، ووفد عليه رؤساء العربان من السهول والعجمان وسبيع وغيرهم.

دعوة ابن ثنيان إلى المصالحة:

وكتب فيصل إلى ابن ثنيان يدعوه إلى المصالحة والمسالمة وحقن دماء المسلمين، وإنه يخرج من الرياض بما عنده من الخيل والركاب والسلاح والأموال والرجال، وليس له معارض، وينزل أي بلد يشاء في نجد أو غيرها، وله مع ذلك من الخراج كل سنة ما يكفيه، فأبى ذلك ولم يرضَ إلا الحرب.

فيصل يتجهز لدخول الرياض:

لما فشلت محاولة الصلح مع ابن ثنيان، رحل فيصل من بلد حريملاء، ورحل معه أميرها حمد بن مبارك والشيخ محمد بن مقرن وقصد بلد سدوس ونزله، وكتب إلى أمير منفوحة سليمان بن إبراهيم بن سعيد يطلبه للمتابعة والنزول عنده، فوافقه على ما أراد، فرحل فيصل من سدوس وقصد منفوحة، ونزل الدودية، وهي منزله وقت محاصرته خالداً في الرياض، فأقام فيها أياماً ولم يقع بينه وبين أهل الرياض حرب ولا قتال، بل كل منهم في موضعه للحرب، والرسل بينه وبين أناس من رؤساء الرياض خفية.

محاصرة الرياض واقتحامها:

فلما كانت ليلة الخميس، لست بقين من ربيع الثاني، جهز فيصل رجالاً من شجعان قومه مع أخيه جلوي، وأمرهم أن يدخلوا البلد، وذلك بممالأة من

رؤسائها، فأقبل جلوي ومن معه ودخل من باب دخنة وفتحوه له.

وكان ابن ثنيان يخرج من القصر برجال معه ويدور في البلد على أهل المرابيع، فلما بلغه دخول هؤلاء انصرف إلى القصر واحتصر فيه.

فلما دخل جلوي وأصحابه قصدوا البيوت التي تجاور القصر، فلما ثار منهم الرمي ووقع فدخلوا في بيت مساعد بن تركي وبيت ابن دغيثر، وتلك البيوت التي تقابل القصر، فلما ثار منهم الرمي، ووقع، أغلق ابن ثنيان القصر عليه وأصحابه، ثم سدوه بالتراب.

ثم دخل الإمام فيصل ونزل بيت مشاري بن عبد الرحمن، وجعل في بيت ثنيان أهل الحريق مع رئيسهم الهزاني، وفي بيت الشيخ عبد الله بن نصير أهل القويعية.

وقدم على فيصل أمراء البلدان ورؤساء العربان، فقدم عليه أهل الخرج وأهل الفرع ومعهم الشيخ عبد الرحمن بن حسن.

هذا وجنود فيصل من شمر وكثير العربان خارج البلد، وليس في البلد إلا المقاتلة من أهل العارض. وقدم عليه في أثناء الحصار رؤساء سبيع، وذكر لي أن رجالاً منهم هموا بالغدر بفيصل، وتفريق هذه الجماعات، ففطن لهم وأبطل كيدهم.

ابن ثنيان يطلب الصلح:

ثم إن عبد الله بن ثنيان أرسل إلى عبيد بن رشيد يطلب المصالحة، فأتى إليه عبيد، وحصل بينه وبين فيصل مراجعة جواب على يد عبيد، فلم يتفق بينهم حال.

أسر ابن ثنيان:

ثم إن الله سبحانه لما أراد أن يمضي قضاءه وقدره، خرج ابن ثنيان من القصر بالليل فوافاه رجال فأمسكوه، وأتوا به فيصلاً، فأخذ سلاحه وحبسه.

أخذ القصر عنوة والعفو:

وأخذ القصر عنوة وسلم الرجال الذين فيه، وعفا عنهم.

وأخذ جميع أموال ابن ثنيان وخيله وسلاحه، وصار محبوساً في بيت من بيوت القصر وجعل عنده حرساً يحفظونه.

وأطلق المحابيس الذين حبسهم ابن ثنيان، وأعطاهم ما وجدوا من أموالهم. ونزل فيصل القصر، وبايعه المسلمون واستقامت الأمور وزالت الشرور، وأذن لمن معه من غزو النواحي يرجعوا إلى بلدانهم، وأمر عبد الله بن بتال المطيري في رجال معه يركب إلى الأحساء أميراً وأقرَّ كل أمير في بلده.

وفاة ابن ثنيان:

وفي منتصف جمادى الآخرة، يوم الجمعة، توفي عبد الله بن ثنيان في الحبس، وجهزه الإمام وصلى عليه المسلمون، وسار مع جنازته، ودفن في مقبرة الرياض.

كيف استهل الفيصل
عهده الجديد المديد؟

حكم فيصل بعد عودته الثانية من مصر
مدخل تاريخ الجزيرة العربية الحديث

قال فيلبي في «تاريخ نجد»:

«تعتبر المرحلة الثانية من حكم فيصل مدخل تاريخ الجزيرة العربية الحديث، فقد انسحبت الحاميات التركية الصغيرة الموزعة في الصحراء، إلى الحجاز في عهد ابن ثنيان.

ولم تكن هناك قوات أجنبية تزعج فيصلاً، فاستأنفت نجد مجرى حياتها العادية».

وتحدث فيلبي عن الرسالة ـ النصيحة التي وجهها فيصل إلى شعبه، وقال إنها كانت ثمرة تأملات روحية طويلة أثناء سجنه في مصر.

وتضمنت الرسالة أن تقوى الله ومخافته أساس الحياة السعيدة، وأهم عناصر هذه السعادة الاعتقاد بوحدانية الله.

وعدَّد فيلبي أهم ما جاء في الرسالة، ثم قال: **إن فيصلاً لم يكن يفكر في استغلال الحماس الديني لصالح النشاط الدنيوي في دولته**، مثلما فعل أسلافه من قبل.

وكان اهتمام فيصل الخاص منصرفاً إلى اختيار الموظفين الأكفياء للمناصب المختلفة في الأقاليم والمقاطعات.

ترتيبات فيصل العسكرية

كانت ترتيباته العسكرية إدارية محضة، فالتعبئة العامة للجيوش تستند إلى قيود وسجلات تفرض على كل قرية ومدينة وقبيلة أن تقدم عدداً من الرجال والجمال والخيول. وكانت هذه النصوص جميعها مفهومة ومعروفة لدى كل من يعنيهم

الأمر، وكانت الدولة تقوم بتزويد الجيش بالسلاح والذخيرة عند الضرورة، غير أن المجندين هم الذين كانوا يحضرون معهم جمالهم (في بعض الأحيان رجلين لكل جمل) أو يسيرون على أقدامهم، بينما كان الخيالة يحظون بمعاملة خاصة، وكان كل موظف يتناول راتبه من نتاج دائرته.

وإذا م استولى جيش سعودي على غنائم، خصص قائده خُمسها لخزانة الدولة، ووزع الباقي بنسبة سهم واحد لذي الراحلة وسهمين للفارس.

أما مجرى الحياة العادية في نجد فقد كان يتضمن الخروج للرعي أو الغزو، خلال فصلي الشتاء والربيع من كل سنة، وفترة استراحة خلال أشهر الصيف الحارة، ويلذ لنا أن نعرف كم من النشاط العسكري امتدَّ حتى أشهر الصيف الحارة، وكم بدأ في أشهره الشديدة الحرارة التي تكاد تجعل القيام بأية أعمال حربية متعذراً.

أما بخصوص الشتاء والحملات التأديبية التي كانوا يوجهونها ضد القبائل أيامه، فلربما كان السبب أن القبائل تنتشر أثناء ذلك الفصل الممطر في مساحات واسعة من الصحراء، فتسهل الإغارة عليها، أما في الصيف فإنها تتجمع قرب موارد الماء للسقاية.

ويبقى العمل ضد الأتراك.. وربما كان تأثير الطقس في الأعداء يعتبر عاملاً ملائماً للعرب في حملات الصيف.

كان الإمام فيصل شديد الحرص على تعميم الدروس الدينية، فكان يرسل مع كل قاضٍ أو عامل يسميه، سواء في الرياض أو في البلدان الأخرى، واعظاً أو أكثر ليفقه الناس في أمور دينهم وصالح دنياهم.

وكان يصحبه في غزواته دائماً علماء صالحون يقرأون آيات من القرآن الكريم ويفسرونها، ويقرأون طائفة من الأحاديث النبوية الصحيحة ويشرحونها، سواء في مجلس الإمام أو في مجالس معاونيه.

ونستطيع القول إن عناية فيصل بن تركي الفائقة بالدين والدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بأساليب لينة مقبولة تعد من أبرز ملامح عهوده كلها

ولقد كانت عهوده زاخرة بالنهضة العلمية في جميع البلدان الخاضعة لحكمه ولمعت فيها أسماء قضاة وعلماء من الطراز الأول.

فيصل والسياسة:

كان فيصل يداري كثيراً الخليفة العثماني ويظهر الولاء والانقياد إليه، ليقوى بذلك على رجال محمد علي وأولاده وعماله من جهة. وليكفل لنفسه من جهة ثانية تأييد الجماعات التي تريد المحافظة على الولاء للسلطان العثماني، ولكنه كان يمضي في حكم البلاد دون أن يتأثر بتوجيه العثمانيين أو غيرهم، فهو يشتري سكوتهم عنه أو تأييدهم له بالمال والهدايا والمجاملات الكلامية.. وكان يرى أن هذا النهج أفضل من التصدي لهم بالمقاومة.

فيصل في أواخر أيامه:

ازدادت مطامع فيصل في أواخر حياته، وأصبح مقتنعاً بأن جميع الجزيرة العربية هي ملك له، وكان يتعجب من تدخل الإنجليز وغيرهم من ممثلي الدول الأجنبية في أمور البلدان العربية التي يجب أن تخضع إليه وحده.

رسالة فيصل ـ النصيحة ـ إلى المسلمين

(رسالة وجدناها في تاريخ الحيدري ولا توجد في كتب التاريخ السعودي المعهودة).

بسم الله الرحمن الرحيم

من فيصل بن تركي إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين.. وفقهم الله تعالى للتمسك بالدين الذي بعث الله به جميع المرسلين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد... فإن أجمع الوصايا وأنفعها الوصية بتقوى الله، قال تعالى: ﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتابَ من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾.

وتقوى الله أن يعمل العبد بطاعة الله على نور من الله، وأن يترك معصية الله على نور من الله يخاف عقاب الله.

وأعظم التقوى والمصحح لأعمالها: توحيد الله بالعبادة، وهو دين الرسل الذي بعثوا به إلى العالمين، وهو مبدأ دعوتهم لأممهم، وهو معنى كلمة الإخلاص: شهادة أن لا إله إلا الله، فإن مدلولها نفي الشرك في العبادة والبراءة منه وإخلاص العبادة لله وحده، كما قال تعالى: ﴿فاعبدِ اللهَ مخلصاً له الدين * ألا لله الدينُ الخالصُ﴾.

وقد بين الله تعالى معنى هذه الكلمة في كثير من الآيات المحكمات، قال تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون﴾، فهذا معنى لا إله. وقوله إلا الذي فطرني، فهو معنى إلا الله، ثم قال تعالى: ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾، وهي لا إله إلا الله، وقد عبر عنها بمعناها من النفي والإثبات، قال تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين، حنفاء، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾.

والآيات في بيان توحيد العبادة أكثر من أن تحصر، وهذا التوحيد هو الذي جحدته الأمم المكذبة للرسل، كما قال تعالى عن قوم هود: ﴿أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا﴾، وجحده مشركو العرب ومن ضاهاهم من مشركي هذه الأمة، قال تعالى: ﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلنا بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به، وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب﴾.

وأما مشركو العرب، فأخبر الله عنهم أنهم قالوا: ﴿اجعل الآلهة إلهاً واحداً، إن هذا لشيء عجاب * وانطلق الملأ منهم أن امشوا أو اصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد * ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق﴾ واحتج عليهم تعالى بما أقرّوا به من توحيد الربوبية فإنه من أقوى الحجج عليهم فيما جحدوه من توحيد الإلهية كما قال تعالى: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض، أمَّن يملك السمع والأبصار، ومن يخرج الحي من الميت﴾ إلى قوله: ﴿فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾ وأكثر الناس في هذه الأزمنة وقبلها وقع منهم ما وقع من أولئك المشركين، وهم يقرأون القرآن، فعموا وصمُّوا عن هذا التوحيد وأدلته التي هي أبين في قلب المؤمن من الشمس في وقت الظهيرة، فيا من يدَّعي معرفة هذا التوحيد، أعرفْ هذه النعمة وقدرها، فإنها أعظم نعمة أنعم الله بها على من عرفها وأحبها وقبلها وعمل بها ولزمها فقابلوها بالشكر ولا تكفروها بالإعراض عنها واحذروا أن يصدكم الشيطان عن ذلك، واعلموا أنه قد غلط في هذا طوائفٌ لهم علوم وزهد وورع وعبادة فما حصل لهم من العلم إلا القشور وقد حرموا لبه وذوقه وقلدوا إسلافاً قد ضلوا من قبل، وأضلوا كثيراً، وضلوا عن سواء السبيل، فيا لها من مصيبة ما أعظمها وخسارة ما أكبرها، فلا حول ولا قوة إلا بالله. واحذروا النفوس الأمّارة بالسوء وفتنة الدنيا والهوى، فإن الأكثر قد افتتن بذلك وظنوا أنهم قد سلموا، وما سلموا وتمنوا التجارة، والتمني رأس مال المفلس نعوذ بالله من سخطه وعقابه، وأنت ترى أكثر الناس معبوده دنياه لها يوالي، وعليها يعادي، ولها يحب ويبغض ويقرب ويبعد، قد اشتغل بها عما خلق لأجله يبتهج بها ويفرح، وقد ذم الله تعالى ذلك كما قال تعالى عند ذكره قارون: ﴿إذ قال له قومه لا تفرحْ إن الله لا يحب الفرحين * وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسَ نصيبَكَ من الدنيا﴾ والصحيح أنه الإيمان والعملَ الصالح والإسلام والقرآن هما النعمتان العظيمتان، والفرح بهما محمود ومحبوب إلى الله تعالى قد أوجبه على عباده المؤمنين كما قال تعالى: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾. فسر الأول

بالإسلام، والثاني بالقرآن، وقال بعض الصحابة فضل الله الإسلام ورحمته أن جعلكم من أهله فلا غنى لكم عن تعلم هذا التوحيد، وحقوقه من فرائض الله وواجباته وأن يكون ذلك أكبر همكم ومحصل عملكم، ومن أهم ذلك المحافظة على الصلوات الخمسة حيث ينادى لها كما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون بعدهم، ولذلك عمرت المساجد، وشرع الأذان فيها كما قال تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى، وقوموا لله قانتين﴾ فلا بد في المحافظة من استكمال شروطه وأركانها وواجباتها، فمن حفظها حفظ دينه، ومن ضيَّعها فهو لما سواها أضيع. والزكاة قرينة الصلاة في كتاب الله كما سبق في الآية ونحوها، جعلها الله طهرة للأنفس والأموال، وزيادة وبركة وحجاباً من النار فالتزموا ما شرعه الله وفرضه، فإن فيه صلاح قلوبكم ودينكم وأخراكم نسأل الله التوفيق.

واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فرائض الدين وأركانه.

قال بعض السلف: أركان الإسلام عشرة: الشهادتان، الصلاة، الزكاة، صوم رمضان، حج البيت، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الجهاد في سبيل الله، الجماعة، والسمع والطاعة. وهذه العشرة لا يقوم الإسلام حق القيام إلا بجميعها والقرآن يرشد إلى ذلك جملةً وتفصيلاً كما قال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾، وقال تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾. فإلى الله عباد الله في مراجعة دينكم الذي نلتم به ما نلتم من النعم وسلمتم به من النقم وقهرتم به من قهرتم، فقوموا به حق القيام وجاهدوا في الله حق جهاده، وأعظموا أمره ونهيه، واعملوا بما شرعه وتعطفوا على الفقراء والمساكين وآتوهم من مال الله الذي آتاكم كما قال تعالى: ﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾، وقال تعالى: ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾، وقال تعالى: ﴿ولا تكذبوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون * لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة، أصحاب الجنة هم الفائزون * لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾.

فاقرأوا هذه النصيحة في جميع مساجد البلدان وانسخوها، وأعيدوا قراءتها في كل شهرين، واعلموا أنكم مستقبلون عاماً جديداً فتوبوا إلى الله، نسأل الله أن يوفقنا وإياكم للخير أجمعين.

حوادث سني ١٢٦٠ هـ ـ ١٢٦٧ هـ

حوادث سنة ١٢٦٠ هـ:

في الأحساء: أغار العجمان على ابن الدويش وعربان من مطير، وهزموهم واستولوا على أموالهم وبيوتهم ولجأ الدويش إلى الإمام فكساه ورحله هو وعربانه إلى نجد.

حوادث سنة ١٢٦١ هـ:

حدثت اختلافات بين أهالي الأفلاج، فذهب الإمام إلى بلد (ليلى) ودعا إليه رؤساء الأفلاج وعاقب المعتدين منهم وأصلح الأمور.

وفي آخر هذه السنة «أقبل حاج كثير من الأحساء والبحرين والقطيف ومعهم عجم كثير، فرصد لهم في الطريق «فلاح بن حثلين» رئيس العجمان ومعهم أعراب من سبيع، وشنوا عليهم الغارة وشعثوا من الحاج نحواً من نصفه.. فاستنفر الإمام المسلمين وخرج من الرياض.. ونزل قرب بلدة حريملاء.. واجتمع عليه جميع غزوانه.. فلما سمع ابن حثلين بمغزاه انهزم إلى ديرة بني خالد..» فأقبل العجمان على الإمام يطلبون عفوه، وانسلخوا عن ابن حثلين، الذي هرب...

وفي هذه السنة أرسل الإمام العمال لقبض الزكاة من جميع عربان نجد...

حوادث سنة ١٢٦٢ هـ:

أمر الإمام رجاله بأن يأخذوا ابن حثلين من عند الدويش ـ الذي كان التجأ إليه ـ فأخذوه، وقطعوا رأسه.

حوادث سنة ١٢٦٣ هـ:

قام شريف مكة محمد بن عون بتجهيز مقاتلين من أهل القصيم كانوا عنده،

وعساكر من الترك كانوا في المدينة والحناكية. وجاء إلى القصيم يريد الاستيلاء عليه، وكان أهل القصيم زينوا له أن الإمام فيصل لن يتحرك من مكانه ولن يفعل شيئاً ضده، ولكن الإمام جهز جيشاً بقيادة ابنه عبد الله لمقاتلته، فلما علم الشريف بذلك داخله الفشل. ولكن أنصاره وعدوه بالمقاتلة معه فصمد قليلاً. ثم طلب من الإمام الصلح، بشرط أن يحفظ له ماء وجهه، وذلك بأن يرسل له هدية من الخيل وغير ذلك، ففعل الإمام، لما عرف عنه من كرم وشهامة.

وجاء أهل القصيم بعد ذلك إلى الإمام واعتذروا وبايعوه.

ويقول (أحمد السباعي) في كتابه تاريخ مكة:

«توجه محمد بن عبد المعين بن عون على رأس جيش مقاتل إلى نجد، بأمر من العثمانيين لقتال أمير الرياض فيصل بن تركي.

فلما انتهى إلى القصيم توسط أهل القصيم في الصلح بين الفريقين، وقبل أمير الرياض أن يدفع إلى الخليفة في تركيا خراجاً سنوياً قدره عشرة آلاف ريال».

حوادث سنة ١٢٦٤ هـ:

جاء رؤساء العجمان إلى الإمام فيصل وقدموا إليه خيلاً وطلبوا عفوه فعفا عنهم. وجرت خلال هذه السنة وقعة (العاتكة) بين المسلمين الذين أرسلهم الإمام فيصل بقيادة المطيري إلى عمان لقتال (ابن طحنون) الذي تمرد على حكم الإمام. فانهزم المسلمون أول الأمر ثم استطاعوا إخراج ابن طحنون من (قصر البريمي) وقتلوا أكثر رجاله وأخذوا كل أموالهم التي نهبوها من الناس.

حوادث سنة ١٢٦٥ هـ:

وصلت إلى الإمام فيصل أخبار تحالف أهل القصيم على حربه ونقضهم لعهده، فجهز جيشاً بقيادة ابنه عبد الله لمقاتلتهم، وكانت جيوش أهل القصيم أكثر عدداً وكان عدد رجال عبد الله قليلاً، وجرت بين الفريقين، في مكان يدعى «اليتيمة» معركة هائلة، انتهت بانتصار عبد الله. ويقول ابن بشر في وصف الهزيمة التي نزلت بأهل القصيم إنهم ولّوا هاربين «واستمر الضرب والطعن في أقفيتهم بعد أن كان في صدورهم.. فلم تر إلا رؤوساً مقطوعة وأسلاباً منزوعة وأشلاء مطروحة وجلوداً مجروحة».

وجاء ابن الرشيد إلى الإمام فيصل وسأله العفو عن أهل القصيم وأن بريدة وعنيزة ستبايعانه وتعاهدانه على الطاعة، وكان أهلها يخافون من التنكيل بهم . . فجاء الإمام إلى عنيزة وبريدة ودخلها وقال للأهلين: «أنتم منا في أمان ولن عليكم الإحسان» .

حوادث سنة ١٢٦٦ هـ:

تكررت غزوات عبد الله للعربان .

حوادث سنة ١٢٦٧ هـ:

سار الإمام فيصل بجيشه ومعه علماء وقضاة إلى الأحساء، ونزل على (حليوين) الماء المعروف . وكان يقصد بمسيره (البحرين)، «لأنه بلغه عنهم بعض المخالفة وقطع شيء من الخراج الموضوع عليهم، فلما وصل هذا الماء أرسلوا إليه يطلبون المصالحة والمسامحة . . فلم يقبل منهم» .

ثم رحل وقصد (قطر) . . وجاء إليه أهل قطر وبايعوه على الإسلام والسمع والطاعة . . وأمر الإمام أن يركب القطريون سفنهم وعددها ثلاثمائة ومعهم رجال من غزو المسلمين ويقصدون (البحرين)، ففعلوا وجاء رؤساء البحرين وبايعوا ودفعوا كل ما طلب منهم .

ويندر: حكم ابن رشيد

ابن رشيد

نقل ويندر عن ضاوي بن رشيد قصة إمارة ابن رشيد على الجبل .

بالرغم من المساعدة التي قام بها عبد الله بن رشيد وأخوه عبيد الله في النضال ضد مشاري، فقد عاشا في المنفى، بأمر من صالح بن عبد المحسن بن علي، الذي كان أميراً على حائل .

لقد تلقى الإمام فيصل شكاوى من حائل ضد صالح، وفي ربيع عام ١٨٣٥ م طلب فيصل من صالح القدوم عليه في مخيمه في (شعراء) .

ولما علم بذلك عبد الله وأخوه عبيد الله، خرج عبيد الله من مكانه الذي كن مختبئاً فيه، ووصل إلى فيصل، قبل يوم من وصول صالح .

سأل فيصل عبيداً عن أخيه عبد الله، فقال له إنه مختبىء، وإنه أرسله ليبلغه شكواه من ظلم صالح .

وقال عبيد الله إن صالح أمرهما بعدم معارضة (عنزة) في هجومها على شمر، إلا بعد أن نسمع طلقات نيرانهم من بيوتنا . . ولكن هذا الأمر لم ينفذ، لأن كثيراً من أهل الجبل كانوا يشعرون مثلنا بضرورة النصرة . . ومن أجل ذلك اتهمنا صالح بالخيانة .

ولما وصل صالح ومعه وفد من أهل حائل، سأله فيصل إن كان عبد الله وعبيد الله ارتكبا شيئاً ضده . فأجاب : لا ولكنه سمع أنهما قد يفعلان شيئاً . . .

ثم سأله عن سبب حكمه عليهما بالنفي .

فقال صالح : إن الشابين هربا من أنفسهما .

فاستدعى فيصل (عبيداً)، وقال له أمام الحاضرين :

أيها المسلمون، أسألكم بالله : أيهما الصادق : هذا أم ذاك؟

إن كانا لم يفعلا شيئاً يستحق النفي، فمعنى ذلك أن صالح كان مخطئاً .

ماذا تقولون يا أهل حائل؟ ولعنة الله على الكاذبين .

هل هناك ما تنكرونه على عبد الله وأخيه؟

فأجابوا : والله ما نعرف عنهم إلا أنهم رجال يكرهون الظلم، وهذا ما جعله خائفاً منهم .

فقال فيصل : أنت يا صالح معزول عن عملك . وسأنظر في رجل يصلح لشعب حائل وأكتب له بالامارة[1] . (انتهى الاجتماع) .

وتردد فيصل فيمن يعينه أميراً . . مع أنه قيل له إن أنصار عبد الله وعبيد الله الرشيد من ناحية أنهما يبلغون نصف حائل . وأخيراً رد صالح وعبد الله وعبيد الله إلى حائل، وسلمه صالح رسالة يخاطب فيها أهل حائل، ويقول لهم إنه عزل صالحاً، ويدعوهم إلى اختيار عبد الله وعبيد الله أمراء عليهم، فإن لم يقع اختيارهم على واحد من بني الرشيد عبد الله وعبيد الله، فيجب على كل حال أن يبقيا في حائل ولا يمسهما أحد بسوء إلا إذا صدرت عنهما مخالفة دينية أو سياسية . .

---

(١) **ملاحظة**: قصة تعيين ابن رشيد حاكماً على حائل كما رواها ضاري، وأخذها عنه ويندر، يبدو أنها غير صحيحة بمقابلتها بما كتبه ابن بشر . . ثم كيف يترك فيصل جبل شمر بدون أمير؟

وقد رأى صالح، خلال الطريق، أن رأي فيصل غير مناسب.. لأنه قد يؤدي إلى أمارة أحد هذين الشابين فمزّق رسالة فيصل..

وجاء رجل من حائل إلى عبد الله وقال له إن المصريين ينوون إعادة احتلال نجد، فعليه أن يذهب إلى المدينة ويتفق معهم..

وذهب عبد الله إلى المدينة ليأسه من فيصل، وبقي عبيد الله قرب حائل يراقب صالحاً..

وبلغ عبيد الله أن صالح يفكر هو أيضاً في الاسعانة بالترك في العراق أو المصريين في المدينة.. وقرر عبيد الله وجماعته قتل صالح، ففاجأوه في قرية (سليمي) حيث كان ضيفاً عند أحد أهاليها، وقتلوه..

دخل عبيد الله حائل، وأعطى المعتصمين بالقصر الأمان، ولكنهم لم يستسلموا.. فاضطر إلى مهاجمتهم ونجح في إخراجهم من القصر.

عبد الله توصل إلى اتفاق مع خورشيد في المدينة، وجاء ومعه (١٥٠) خيالاً مصرياً.. وفي طريقه هاجم عشائر عنزة وأخذ منهم جمالاً.

ووصلته البشائر من عبيد الله، فأعاد الخيالة المصريين إلى المدينة.. وجاء إلى حائل، واستلم الإمارة.

كان عبد الله شجاعاً، وعاقلاً، ولكن عبيد الله كان أبرع منه في السياسة ومع ذلك لم يحاول عبيد الله قط أن يكون «الأول» في حائل(١).

كتب ابنا الرشيد إلى فيصل بما حدث، فأقرهما وقال إنه يعتبرهما كأبنائه.

وبدأ عبد الله بإنشاء قصر كبير في حي (بارزان) في حائل.

---

(١) **ملاحظة**: من أسباب حسن العلاقات بين حائل والرياض، أن عبد الله بن فيصل تزوج نورة بنت عبد الله بن رشيد، وكان عبيد الله، أخو أمير حائل، يقضي كل سنة شهرين أو ثلاثة في الرياض ضيفاً على فيصل.

- مات عبد الله بن رشيد في حائل عام ١٨٤٧م. وخلفه ابنه طلال وكان عمره يومئذ (٢٥) سنة.

وبعد ولاية طلال بقليل، ذهب أخوه متعب إلى الرياض يحمل الهدايا دليلاً على تبعيته وولائه.

العلم الأخضر: لم يحاول طلال الاستقلال عن فيصل (ولا عن ابنه عبد الله) ومع ذلك بدأ الشمريون تدريجياً يرفعون علمهم الأخضر، ذا الحاشية الحمراء. ويقول فالين، حتى في عهد عبد الله بن رشيد: «إن شمر من أقوى العشائر في الجزيرة العربية، وقوتها ونفوذها تعلوان سنة بعد سنة على جيرانهم».

حوادث سني ١٢٦٨ هـ - ١٢٨١ هـ

نقل حوادث هذه السنوات كلها من كتاب (عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر) تأليف إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي الحلبي.

يقول المؤلف إنه ألَّف الكتاب بأمر جلالة الملك عبد العزيز، وأنه جعله ذيلاً على تاريخ ابن بشر، فبدأه من حيث انتهى ابن بشر، أي من العام ١٢٦٨ هـ.

حوادث سنة ١٢٦٨ هـ:

وصلت عساكر كثيرة من مصر إلى المدينة، في عهد عباس باشا - ابن أحمد طوسون - وشاعت الأخبار أنهم يريدون الخروج إلى نجد.

وقد خرج من المدينة محمد بن ناصر في تجريدة من الأتراك وانضم إليه كثير من بادية حرب، فأغار على ابن سفيان.. ثم أغار على فرقة من عتيبة على الدفينة فأخذهم...

ولما وصل الخبر إلى الإمام فيصل.. خرج بجنوده من العارض والخرج، ونزل بلد المجمعة حيث اجتمع عليه غزوان بلدان سدير والمحمل والوشم والقصيم..

وفي شهر رمضان جاءت الأخبار بأن عباس باشا جهز عساكر كثيرة إلى بلدان عسير، وأمر عساكر المدينة أن يلحقوا به، فتوجهوا إلى عسير، فحصل الأمن والاطمئنان.

وارتحل فيصل من المجمعة عائداً إلى الرياض، وسرح جنوده، وخلال الطريق أغار على الصهبة من مطير، وهم على أم الجماجم وأخذهم.

حوادث سنة ١٢٦٩ هـ:

غزا فيصل (الجيلان) من مطير على الوفرا وأخذهم وعاد..

أمر فيصل ابنه عبد الله أن يغزو آل مرة، لأنهم أغاروا على أطراف الأحساء وأخذوا قافلة كبيرة في طريق العقير، فصبحهم وهم على (النعيرية) وأخذهم وقتل منهم عدة رجال.

ثم عدا على (نعيم) ومعهم أخلاط من بني هاجر والمناصير، وهم عى (سلوى) فأخذهم.

هزيمة المصريين الهائلة في عسير:

وفي هذه السنة جرت بين العساكر المصرية وبين رئيس بلدان عسير، الأمير عائض بن مرعي، معارك شديدة، انتهت بهزيمة المصريين واستئصالهم، وكتب عائض بشارة بذلك إلى فيصل.

وقد نظم القاضي علي بن حسين الحفظي قصيدة في هذه المناسبة وصف فيها هزيمة العساكر ومدح فيها الفيصل، وهذا بعض ما جاء فيها:

«.. تطامت رقاب الروم فيها عيوقها ... كما عاق دود للجراد المقددِ
وفي ربوة (الشعبين) داهية أتت ... عليهم فما أغنت دفاع بعسجدِ
ويم (المقضى) قد تقضت أمورهم ... بفاقرة الظهر التي لم تضمدِ

* * *

وناد بأعلى الصوت بشرى لفيصل ... ومن نسل سادات الملوك مسددِ
إليك نظاماً نشره في وقائع ... على جحفل المصري قد شدَّ باليدِ
فعشرون ألفاً من قضى الله منهم ... فما بين مقتول وغار مجردِ

خراج عمان:

وفيها سار عبد الله بن فيصل بمن معه من الحاضرة إلى عمان ـ وكان بلغه أنه وقع فيهم بعض الاختلاف بين رؤساء البلدان ـ فأحسن الأهلون استقباله، وقدموا إليه الهدايا، وقبض خراج البلاد وأقام أياماً ثم عاد.

حوادث سنة ١٢٧٠ هـ:

الثأر لجلوي من عنيزة:

في هذه السنة ١٢٧٠ هـ ثار أهل عنيزة على أميرهم (جلوي بن تركي) - وهو أخو فيصل - وكان جعله أميراً فيها وعلى سائر القصيم سنة ١٢٦٥ هـ. فاضطر جلوي إلى الخروج من عنيزة وانتقل إلى بريدة، وكتب إلى أخيه بما وقع.. وكان قد تآمر في عنيزة عبد الله اليحيى بن سليم، من أسرة آل سليم ورؤساء عنيزة.. ولما بلغ الإمام فيصل ذلك، أمر عبد الرحمن بن إبراهيم أن يقطع سابلة أهل عنيزة ثم يتوجه إلى بريدة، فأغار على أطراف عنيزة وأخذ ما وجده من المواشي، ثم قدم بريدة. وفي ذي الحجة سار عبد الله بن فيصل بالجنود إلى عنيزة، فلما وصل الوادي أخذ جميع ما عندهم من متاع وأثاث ومواشي وقتل منهم عشرة رجال وقطع النخيل..

ثم خرج عليه أهل عنيزة ومعهم فريق من البوادي وأهل القصيم فجرت معارك شديدة، ثم ارتحل عبد الله ونزل العوشزية ثم روضة الربيعية، حيث قدم عليه عبد الله بن رشيد بغزو أهل الجبل.

حوادث سنة ١٢٧١ هـ:

وقدم عليه بقية غزو أهل نجد.. وخلائق من البادية والحاضرة لا تعدُّ. واشتد الخطب وعظم الأمر، وطلب أهل عنيزة الصلح، كتبوا بذلك إلى الإمام فيصل، فأجابهم إلى ذلك حقناً لدماء المسلمين ورفقاً بهم وأعطاهم الأمان، وذلك بعد أن قدم عليه في الرياض الأمير عبد الله اليحيى بن سليم مع وفد من عنيزة. طالباً العفو ومعترفاً بالخطأ والإساءة والعصيان، فصالحه على أشياء التزم بها عبد الله اليحيى.. وكتب فيصل إلى ابنه بما تم..

وعاد عبد الله وسرح جنوده إلى بلدانهم، وعاد إلى الرياض ومعه عمه جلوي.

حوادث سنة ١٢٧٣ هـ:

غزا عبد الله بن فيصل ومعه غزو أهل الجبل يقودهم ابن رشيد فرقة من عتيبة وهم على شبيرق وأخذهم، ثم أغار على الروسان وهم على الرشادية وأخذهم، ثم عاد.

حوادث سنة ١٢٧٥ هـ:

كتب الإمام فيصل إلى عبد العزيز المحمد أمير بريدة أن يقدم عليه، فقدم عليه مع ولده وخدام له، فانتهره الإمام فيصل وعدد له أفعاله القبيحة وم حصل منه.. فطلب العفو واعترف.. فأنزله الإمام في بيت هو ومن معه، وأجرى عليه نفقة تكفيهم وأمرهم بالمقام في الرياض عنده، وأمَّر على بريدة: عبد الله بن عبد العزيز ابن عدوان.

سار الإمام فيصل بجنوده ونزل على (رماح) وأقام هناك أياماً، ثم عاد إلى الرياض، وخلال مقامه في رماح أمر ابنه عبد الله أن يغزو عربان (بريدة) من مطير لأمور حدثت منهم، فصبحهم عبد الله على (دخنة) وأخذهم، ثم نزل على (عريفجان) واستدعى إليه كبار (بريدة)، فركبوا قاصدين إليه، وفي الطريق صادفهم غزو قحطان فأخذهم وقتلوا منهم خمسة، فغضب عبد الله على قحطان، فلما وصل غزو قحطان، أخذ جميع ما معهم من الخيل وهي نحو ١٤٠ فرساً، وأسر منهم ٢٥ رجلاً، وعاد بهم إلى الرياض، ثم طلب منهم أشياء فأعطوها ودفعوا ديات القتلى من (بريدة) وجميع ما أخذوه منهم، ثم أطلقهم.

حوادث سنة ١٢٧٦ هـ:

قتل عبد الله بن عبد العزيز بن عدوان، أمير بريدة، قتله رجال من عشيرته آل عليان، وهم عبد الله الغانم وأخوه محمد الخ...

ولما جاء الخبر إلى الإمام فيصل غضب على عبد العزيز المحمد وحبسه، وجعل عبد الله بن غانم أميراً في بريدة، فكثر القيل والقال...

وكتب عبد العزيز بن المحمد، وهو في الحبس، إلى الإمام فيصل: لو أذنت لي بالمسير إلى بريدة لأصلحت الأمر، وأمسكت قتلة ابن عدوان.

وقد أطلقه الإمام وأخذ عليه العهد، وأرسله إلى بريدة أميراً عليها.

مع العجمان:

يقول مؤلف الدرر إن تركي ثم فيصل ساعدا العجمان فصارت لهم شوكة، ونزلوا في ديرة بني خالد، ولكنهم صاروا يعتدون على الناس وعلى مواكب الحج، وقد كان الإمام فيصل أمسك برئيسهم فلاح بن حثلين سنة ١٢٦٣ هـ وأرسله مقيداً إلى الأحساء وطيف به ثم ضربت عنقه.

وفي هذه السنة غزا العجمان بقيادة راكان بن فلاح بن حثلين على إبل الإمام فيصل وأخذ طرفاً منها.

معركة هائلة مع العجمان:

أمر فيصل ابنه عبد الله بغزو العجمان، فخرج في شعبان بغزو الرياض والخرج والجنوب واستنفر البادية من سبيع والسهول وقحطان ثم عربان مطير، وقصد إلى (الوفرا) الماء المعروف وعليه عربان من العجمان فأخذهم، وانهزمت شرائدهم إلى (الصبيحية)، حيث ينزل فريق من العجمان، فتبعهم عبد الله إلى هناك وأخذهم وانهزمت شرائدهم إلى (الجهرا) حيث ينزل ابن حثلين، وقد قام رؤساء العجمان وشجع بعضهم بعضاً وعمدوا إلى سبعة جمال وجعلوا عليهن الهوادج، وأركبوا في كل هودج منها بنتاً جميلة من بنات الرؤساء محلاةً بالزينة، واستصحاب النساء الخرايد في وسط جموع الحرب عادة جاهلية بقيت إلى الآن لأجل أن يشجعن الفتيان فيقاتلون العدو قتال المتهالك، ثم قاموا إلى الإبل فقرنوها ثم ساقوها أمامهم وتوجهوا لقتال عبد الله ومن معه من جنود المسلمين.. فلما وصلوا إليهم نهض إليهم المسلمون، وحصل بين الفريقين قتال شديد يشيب من هوله الوليد، فانهزم العجمان هزيمة منكرة شنيعة، فتركوا الهوادج والإبل وجميع أموالهم وقتل منهم سبعمائة، وغنم المسلمون من أموالهم ما لا يعد ولا يحصى وانهزمت شرايدهم إلى الكويت، وكانت هذه الوقعة في ١٧ رمضان.

وأقام عبد الله على الجهرا عدة أيام وأرسل بالبشارة إلى أبيه.

حوادث سنة ١٢٧٧ هـ:

اجتمع رؤساء العجمان وتشاوروا في أمرهم، فاتفقوا مع المنتفق وعقدو معاهدة دفاع وهجوم موجهة خاصة ضد نجد، وصاروا يغيرون على أطراف الأحساء وعلى وادي الزبير والبصرة والكويت.

ثم جاءت الأخبار إلى الإمام فيصل بمسير العجمان ومن معهم من عرب المنتفق إلى أرض الكويت، وأن قصدهم المحاربة للمسلمين، فاستعد الإمام فيصل لهم، وفي آخر شعبان أمر ابنه عبد الله أن يسير بجنود المسلمين لقتالهم، فخرج من الرياض وتوجه إلى (الخفنة) حيث اجتمعت عليه جنود المسلمين، ثم توجه إلى الوفرا ثم الجهرا، القرية المعروفة بالقرب من الكويت حيث كان العجمان والمنتفق

نازلين، فصبحهم وحصل بين الفريقين قتال شديد وانهزم العجمان ولجأوا إلى البحر، وهو جازر، فدخلوا فيه، ووقف المسلمون على الساحل، وغرق من العجمان نحو ١٥٠٠ وقتل منهم خلائق كثيرة وغنم المسلمون من أموالهم ما لا يعد ولا يحصى، وذلك في ١٥ رمضان، وأرسل عبد الله البشارة إلى أبيه.

وبلغ ذلك أهل الزبير والبصرة ففرحوا. . وأرسل باشا البصرة ورئيس الزبير الهدايا إلى عبد الله بن فيصل.

ولما وصل عبد الله الهنا، في طريق عودته إلى الرياض، بلغه أن ابن سقيان ومن تبعه من مطير على (المنسف)، قرب الزلفى فعدى عليهم وأخذهم وقتل منهم عدة رجال.

ثم توجه إلى القصيم، ونزل روضة (الربيعة) فلما بلغ ذلك إلى أمير بريدة عبد العزيز المحمد بن عبد الله بن حسن هرب بأولاده وبعض رجاله إلى مكة. . فلحق به الأمير محمد بن فيصل وأدركه في (الشقيقة)، وقتله هو وأولاده وبعض رجاله. .

وولى الإمام فيصل عبد الرحمن بن إبراهيم أميراً على بريدة.

روايـة تاريخ الأحساء:

ويقول مؤلف تاريخ الأحساء إن أهل عنيزة خرجوا عن طاعة الإمام فيصل وغزوا بلاد بريدة ودخلوها ليلاً فقاتلهم أهلها. . فأمر الإمام ابنه (محمد) أن يسير لنجدتهم فسار في جمع من أهل الرياض وأهل الجنوب، ومعه عدد من شيوخ آل الشيخ وغيرهم وقدم عليه رؤساء جبل شمر من حائل بمن معهم، وحاصر عنيزة. . وفي شعبان سار الأمير محمد بن أحمد السديري في جمع كثير من أهل الأحساء مدداً للأمير محمد بن فيصل، وقصدوا بلد الرياض ثم ساروا منها بقيادة عبد الله بن فيصل ومعه المدافع الثقيلة فشدد الحصار على عنيزة ورماها بالمدافع، فأذعن أهل عنيزة وطلبوا الصفح والعفو واستعمل الإمام فيصل محمد بن أحمدالسديري أميراً في عنيزة.

حوادث سنة ١٢٧٩ هـ:

أمر فيصل ابنه محمد السير لقتال أهل عنيزة، فسار إلى بريدة، وانضم إليه غزو أهل الجبل، ثم سار إلى عنيزة، فحصل بينه وبين أهلها قتال شديد، وانهزم أهل عنيزة، وقتل منهم (٢٠)، ونزل محمد ومن معه (في مقطاع الوادي)، وشرعوا

في قطع النخيل . . وفي ١٥ جمادى الأولى خرج إليه أهل عنيزة وحصل بينهم قتال شديد ، فانهزم محمد ورجاله إلى خيامهم ، ولكن الله أنقذهم ، فقد هطلت الأمطار ، وكان سلاح أهل عنيزة البنادق الفتيل ، فبطل عملها من شدة المطر ، فكر عليهم محمد وأصحابه فانهزم أهل عنيزة وقتل منهم نحو (٤٠٠) رجل ، وأقام محمد هناك وأمر جنوده بقطع نخل الوادي . . فقطعوا غالبها واحتصر أهل عنيزة في بلدهم . .

. . ثم أمر فيصل ابنه عبد الله بغزو عنيزة . . فخرج بجنود المسلمين ، ومعهم المدافع والقبوس ، فلما وصل إلى شقراء ، أرسل عبد الله إلى أخيه محمد ، وهو إذ ذاك في وادي عنيزة ، المدافع وأثقاله . . ثم توجه إلى عنيزة وحاصرها ونصب عليها المدافع ورماها رمياً هائلاً ، واجتمع عليه أخوه محمد . . وأحاطوا على البلد . . واشتد الخطب ، ودام الحرب أياماً ، ثم طلب أهل عنيزة الصلح من عبد الله . . وكان أبوه قد قال له أن يجيبهم إلى الصلح إذا طلبوه ، وأن يكون عقد الصلح على يد فيصل نفسه . . فكتبوا إلى الإمام فأجابهم إلى الصلح ، وخرج عبد الله بن يحيى إلى الإمام فيصل واعتذر واعترف بالخطأ . .

ثم استعمل الإمام فيصل محمد بن أحمد السديري أميراً على بريدة وعلى سائر القصيم ـ وكان قبل ذلك أميراً على الأحساء ـ .

حوادث سنة ١٢٨٠ هـ :

طلب أهل الأحساء من فيصل إعادة السديري أميراً عليهم ، ففعل فيصل ، وعيَّن على بريدة سليمان الرشيد ، ثم عزله وأمر مكانه مهنا الصالح أبا الخيل .

حوادث سنة ١٢٨١ هـ :

فيها سار عبد الله بن فيصل إلى الأحساء ، فأغار على نعيم ومعهم أخلاط من آل مرة ، لكثرة غاراتهم على أطراف الأحساء ، فأخذهم وهم على (حلبون) وقتل منهم عدة رجال .

ثم أغار على آل مرة ومعهم أخلاط من المناصير فأخذهم ، وصادف ركباً من العجمان فأخذهم وقتلهم .

مقتطفات
مما قيل في وصف فيصل
وشجاعته وسياساته ودهائه وحكمته

وصف فيصل

بقلم: إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي الحنبلي

«كان إماماً عادلاً حليماً مهاباً وافر العقل، سمحاً كريماً حسن السيرة سهل الأخلاق، محبًّا للعلماء مجالساً لهم، كثير الخوف من الله تعالى، عفيفاً تقيًّا ناسكاً كثير العبادة، رؤوفاً بالرعية محسناً إليهم، مباركاً ميموناً كثير الصدقة والمعروف، شديد البحث عن الأيتام والفقراء وأحوالهم، يتفقدهم بالبر والعطاء، وكان كثيراً ما يرسل إلى كل بلد من بلدان المسلمين كثيراً من الصدقات تقسم على الفقراء والمساكين، وبالجملة ففضائله أشهر من أن تذكر ومناقبه أكثر من أن تحصر».

وصف فيصل: في كتاب فيلبي: «تاريخ نجد»:

كان فيصل رجلاً ديّناً، ميّالاً للبحث والدرس والتقشف، مطلعاً تمام الاطلاع على مبادىء الدين. فقد حفظ القرآن في صغره، وكان يقضي الساعات الطوال في التهجد، والتضرع إلى الإله القدير طالباً المعونة الربانية ليتغلب على متاعبه الدنيوية، ويا لها من متاعب، تلك التي انصبت عليه ـ كما يقول ابن بشر ـ وأي مخاطر تلك التي واجهها، تلك التي تبعث اليأس في نفس الأتقياء والعلماء على السواء، ناهيك عن الحكام والأمراء.

ولقد خيل إليه، عندما ارتقى العرش، أن حكمه سيسوده الهدوء والازدهار. فقد كان تكريسه حياته لدينه وبلاده وشعبه لا يقل قطعاً عما كان يتميز به والده في هذه الناحية. ولدى عودته إلى نجد سنة ١٨٢٨ م كان قد أمضى زهرة أيام حياته أسيراً عند الأتراك بمصر. وفراره من مصر للانضمام إلى والده دليل على عزمه المخلص على تحرير بلاده من الحكم والتدخل الأجنبيين. . وبعد مرور ست سنوات أصبح يد والده اليمنى في إعادة بناء الدولة وإرساء الاستقرار فيها.

لقد لعب دوراً بارزاً في استرجاع إقليم الأحساء الحيوي الذي كان يعتمد عليه

اقتصاد البلاد إلى حد كبير . ولم تكن دعوته لتسلم عرش أجداده ، بالصورة المفاجئة التي عرفناها ، فاصلاً في تصريف أمور الدولة بل استمراراً له ، ومع هذا فلم يكتب لحكمه أن يمر بسلام .

عباس الغزاوي :

(تاريخ العراق ـ الجزء السابع)

تكلم عن فيصل وأسره وعودته من الأسر ، ثم قال :

« . . وفي سنة ١٢٦٣ هـ كان أعلن فيصل قدرته وأبدى سلطته ، بل قبل ذلك بمدة ، وصار يتغلب على نجد ويثبت قدمه فيها ، فرأت الدولة لزوم إرجاعه إلى الطاعة ، وعدَّت ذلك من الأمور الضرورية ، فكتب السلطان إلى الشريف محمد بن عون ، شريف مكة ، أن يدعوه إلى الهدوء وأن لا يعكر صفو الراحة ، فذهب الشريف بنفسه إلى نجد ومعه العساكر النظامية ، فأبدى بها قوة وسطوة ، وأفهم (الإمام فيصل) وخامة العواقب ، فيما إذا أصرَّ على المخالفة .

ومن ثم أرسل الأمير فيصل أخاه عبد الله بن تركي وسائر المشيخ في نجد إلى المعسكر السلطاني وطلب العفو وأعلن اسم السلطان في المساجد كافة ، في منابرها وخطبها ، فزالت الغائلة بسلام ، دون وقوع معارك .

وعلى هذا أنعم السلطان على الشريف بوسامة الوزارة وزاد في راتبه ومنح ابنيه الشريف عبد الله والشريف علي راتباً .

أراد الأمير أن يصلح إدارته ويتم سلطته على نجد ، ولذا عدل عن التعرض إلى ما بيد الدولة فلا يكون سبب الحرب .

وفي سنة ١٢٨٢ هـ توفي الأمير فيصل ، وفي المصادر العراقية أنه توفي سنة ١٢٨٤ هـ ، ولعله لم يرد الخبر إلى العراق ، إلَّا بعد أن حدث انشقاق بين أولاده ، وكان النشاط سائداً في أيام فيصل ودخلت الأحساء في حكمه ، فلما مات ، تولد النزاع بين أولاده .

وكانت الدولة العثمانية ، أيام مدحت باشا ، تسعى في تنظيم الداخل وتتأهب للاستفادة من الانشقاق الحاصل بين أمراء نجد للاستيلاء عليها ، والقضاء على إدارة آل سعود ، فلا تترك البلاد وشأنها حتى يتغلب أحد المتخاصمين ، بل لم تحرك ساكناً لولا أن التجأ إليها أحد المتنازعين .

كان مدحت باشا يرقب الحالة في نجد، وصار يجهز جيشاً إلى الأحساء ويحاول أن يجعلها تحت إمارة الدولة.

ثم تكلم عن وفاة فيصل، وقال:

كان ابنه الأمير محمد حاكماً على المنطقة الشمالية.

وابنه الآخر سعود أميراً على الخرج والأفلاج.

وابنه عبد الله أميراً في الرياض.

وكان ولده الأصغر عبد الرحمن بجانب أخيه عبد الله.

في ابن بشر:

وصف الإمام فيصل

قال ابن بشر، في حوادث سنة ١٢٥٠ هـ:

ثم دخلت السنة الخمسون بعد المائتين والألف، ولما قتل مشاري وأعوانه، وتفرق شملهم بأمر الله سبحانه، دخل الإمام فيصل القصر، وقارنه العز والتمكين والنصر، وجلس على سرير الملك والشرف، وأعلن بالحمد والشكر لبريه واعترف، وأطلع الله شمس سعادته مشرقة الأنوار، وألبس الدنيا من حلل سيدته ملابس الافتخار، وسر بولايته الأوطان والأوطار، وأنفذ الله أمره ونهيه في الأقطار، أخذ الملك لا عن كلاله، وأتاه مستبشراً يجرجر أذياله:

أتته الإمامة منقادة ... إليه تجرجر أذيالها
فلم تكُ تصلح إلا له ... ولم يكُ يصلح إلا لها
ولو رامها أحد قبله ... لزلزلت الأرض زلزالها

سره مع الله:

وكان الإمام فيصل، متع الله به، له مع ربه سر يلتجىء في الشدائد إليه، وثقة به في كل نازلة يرجو ويعول عليه، وقد كان حفظ القرآن عن ظهر قلبه، وهو صغير وحافظ على تلاوته والتهجد به شاباً وكبيراً، وكان له حظ من الليل والقيام فيه، وكثير التضرع والابتهال عند خالقه وباريه، فكم حامت عليه حوائم الخطوب والآفات، وكم وقع في عظائم ومهلكات يدخل فيها اليأس على الأنقياء والأكياس، فضلاً عن أهل الولايات ورؤساء الناس، فيعجل الله من ذلك بفرج قريب، ويجعل

الله منه مخرجاً عجيباً.

المخـارج الأربعة العجيبـة:

يعدُّ ابن بشر من المخارج التي تمت للإمام فيصل بفضل من الله، أربعة مخارج:

المخـرج الأول:

مخرجه من حبس الترك المرة الأولى ولطف الله به في خروجه من مصر، وفي سفره في البر والبحر، فلما وصل إلى أبيه استبشر به أعظم بشرى، وعدَّها من ربه نعمة كبرى، فترقت به الأحوال وبلغ غاية الآمال.

المخـرج الثانـي:

هذه الحادثة الكبيرة والفعلة الشهيرة وهي قتل أبيه وقاتله ابن أخته فأطبق أهل نجد وكاتبوه، والأكثر منهم أطاعوا له وبايعوه، وساعده على ذلك أبطال رجال مع قوة عظيمة من السلاح والآلات والأموال، فسلَّ فيصل حسامه وشهره، والتجأ إلى ربه فنصره، فأخذ الثأر، وجرعهم ريب المنون وأوقع بهم ما تعلمون.

المخـرج الثالـث:

وهو الخطب العظيم الذي وقع اليأس والقنوت، وظن الناس كلهم أن هذا الشراك الذي وقع فيه هو شراك الموت، وقالوا: هذا رجل من الترك شارد، وأوثقوه في شراكهم الصايد، وقد قاتلهم وأساء إليهم، ووقع في قبضة أيديهم، فهذه المرة لا يسلمونه، أو يجعلون عليه مسلطين من العساكر يحفظونه، فأنزله الله تعالى بقدرته وقهره من رأس القاهرة الكبرى وأعمى أعينهم، والعساكر عن ميمنة ويسرى، فأوصله بلاده محفوظاً حتى أجلسه على وسادة ـ وكان الملك قد أخذه من عشيرته شجاع قتّال، وجمع عنده كثيراً من الخيل والسلاح وآلات الحرب والرجال والأموال، فداخله الذل والرعب حين سمع به ورآه، والخوف من قبل ذلك خامر قلوب الداني والقاصي أعداه، فحاصره الإمام فيصل وساعده الله ونصره نصراً، وأخذ الملك من ذلك الشجاع قسراً وقهراً.

المخـرج الرابـع:

وهو أعظمها عندي وأكبرها وأشهرها وأفخرها، وهي عصاية أهل القصيم ونبذهم العهد واستعدادهم للحرب بالرجال والسلاح والأموال والعدة والعدد ما لا

يحصره الحد، واتفاقهم أنهم لا يعطون الدنية للإمام ولا يفدون إليه، وتعاقدوا بأجمعهم على ذلك، وبايعوا عليه فسار عبد الله بن الإمام بسرية قليلة قاصدين فرقاً من البدو قطعوا الذمام، وأمرهم أن لا يتعرضو لأحد لا مسافر ولا أهل البلد، فنهض عليهم شجعان أهل القصيم وأبطالهم، وتعاقدوا على قتلهم وقتالهم، وأنهم لا يبقون على واحد من رجالهم، فالتقى الفريقان وتصادمت الفئتان، فأوقع الله الرعب في قلوبهم فمنحوهم الأكتاف، وجرى عليهم من القتل والسلب ما لا جرى على من كان قبلهم من الأسلاف، فوقع الرعب في قلوب قادتهم بلا قتال، وهربوا من بلدانهم وتركوا رعيتهم بلا وال، فدخل الإمام بلدانهم، واستولى على أوطانهم، وخافوا من تنكيل ونكال، فصفح، متع الله به، وعفا عن الرجال والأموال.

وبالجملة، فخوارق العادات لهذا الإمام كثيرة معلومة شهيرة بين الناس مفهومة، وأصلح الله له ذريته، وأعطاه فيهم أمنيته، فحفظوا القرآن على صدورهم، دأبوا في تحصيل التعلم في آصالهم وبكورهم، ولهم معرفة في العلوم الشرعية والآثار السلفية، وجمعوا كتباً كثيرة بالشراء، والاستكتاب من كتب الحديث والتفسير وكتب الأصحاب[1].

السلطان ثبّته ملكاً على كل العرب:

فيصل يعترف بولائه للسلطان العثماني

ولكنه مستقل تماماً في حكم بلاده والولاء «شكلي»

نقل سالدانا خلاصة كتاب أرسله الإمام فيصل إلى المقيم البريطاني في الخليج الفارسي (العربي) يؤكد فيه أن دول الخليج الصغيرة هي دول مستقلة. ثم يقول إنه،

---

(١) وكان ابن بشر وصف الأئمة السعوديين بدءاً من المؤسس محمد بن سعود، ومما قاله عن الإمام فيصل أنه «جيّش الجيوش براً وبحراً، وأخذ الممالك طوعاً وقهراً، وسلكت جنوده نجد وعمان، ودانت له البلدان والعربان، وتوفرت بحسن سيرته مصالح المسلمين، وجمع في سياسته بين الشدة واللين، وسياسة عجز عنها الملوك وأعوانهم، وصلحت بها الممالك وسكانها، أقلامه جارية بالعطاء لا تفتر، وخازن ليس له حاجة سوى تنفيذ الأمر، وبده بصدقة السر تطلب من مولاها الأجر، فلا تسمع لديه إلا هذا لزيد وهذا لعمر.

وكان مكرماً لحَمَلَة القرآن والعلماء، رحيماً بالأرامل والفقراء والضعفاء، ولم يكن سفاكاً للدم الحرام، ولا غاصباً لما في أيدي الأنام من الحطام».

هو تابع لحكومة السلطان، وقد تلقى من السلطان اعترافاً باستمرار سلطته على كل العرب.

.. وقد قاوم حركات محمد علي، الذي لم يحصل على تفويض من السلطان أمير المؤمنين، وأنهى الإمام فيصل كتابه بالدعاء لدوام ملك السلطان العثماني وعزه.

تبعية اسمية ومبلغ رمزي:

ويعلق سالدانا على سياسة فيصل، قائلاً:

كان فيصل يدفع إلى السلطان العثماني مبلغاً من المال (وهو عشرة آلاف جنيه عثماني)، ولكن هذا لا يعني أن العثمانيين لهم شيء من السلطة في نجد، فقد رأى فيصل أن دفع هذا المبلغ والتظاهر بالولاء الاسمي للسلطان العثماني خير من تعريض البلاد للغزو الخارجي.

ولقد حاول حاكم بغداد العثماني أن يلوم القنصل البريطاني.. لأن البريطانيين هاجموا أرضاً تابعة لفيصل، وهو قائم مقام عثماني لنجد، ونجد من الممالك العثمانية!

فأجابه القنصل أن البريطانيين كانت لهم دائماً اتصالات مع فيصل، وهي اتصالات مباشرة، لأنهم لا يعرفون وجوداً لسلطة غير سلطته في نجد.

وبذلك فهم حاكم بغداد أن المسائل الشكلية التي يتذرع بها لا قيمة لها!..

فيصل يحتلّ البريمي.. باسم السلطان!..

من رسائل بومباي السرية ـ المجلد ١٢١ والمجلد ١٢٣ (Enclos to Bombay Secret Letters vol. 121).

كتب الإمام فيصل إلى الكابتن كمبل (Kemball) المقيم البريطاني في البصرة، كتاباً مؤرخاً في ٦ محرم ١٢٧١ هـ/٢٦ أيلول ١٨٥٤ م يقول فيه ما خلاصته:

«لا أفهم كيف تعارض إنجلترا استيلائي على (البحرين)، بينما يوجد اتفاق قديم بيني وبين الحكومة البريطانية حول ممتلكاتي التي تمتد من عمان إلى الكويت، وهو اتفاق يوجب على بريطانيا العظمى أن تمتنع عن التدخل في أمور هذه البلاد التابعة لي أو ممارسة أية رقابة عليها.

إن مدة الاتفاق بيني وبين بريطانيا مائة سنة، وذلك لضمان السلام في البحر، وقد أرسلت إلى (البريمي) نائباً عني، ليؤمن عشائر الداخل من غزو الساحل، وإذا وقع أي خلاف بين العشائر، فإن نائبي في عمان هو خير من يتابع القضايا ويعيد السلام والأمن بما يرضي الله ورسوله، وبما يحقق رغبات أمير المؤمنين ـ الخليفة العثماني ـ أعز الله به الدين».

السلطان ثبّته في سلطته على كل العرب:

وفي رسالة مؤرخة في ٢٤ ربيع الثاني ١٢٧٢ هـ/كانون الثاني ١٨٥٥ م، يقول الإمام فيصل للكابتن كمبل:

«بما أنني تابع للحكومة السنية التركية، فقد تلقيت من السلطان تثبيتاً لاستمراري في السلطة على كل العرب».

قائم مقام نجـد؟! :

نعتت رسالة من والي بغداد إلى القنصل البريطاني في بغداد عام ١٨٦١ م الإمام فيصل بهذا النعت: فيصل بك، قائمقام نجد . .

احتلال البريمي باسم السلطان؟ :

وفي رسائل بومباي السرية المجلد ١٤٢ إشارة إلى تحدث الإمام فيصل عن معاهدة عقدها مع السلطان عبد المجيد بشأن احتلال البريمي، وقد علق عليها مؤلف (دليل الخليج الفارسي) بقوله: كان احتلال الفيصل للبريمي باسم الأمبراطورية العثمانية وقد زالت . . فهل يجوز أن تبقى سلطة فيصل .

فيصل رفض دفع «الجزية» فقاتلوه ونفوه إلى مصر..

تقول ليدي بلنت في كتابها: حج إلى نجد:

في عام ١٨٣٤ م قُتِل تركي، ذبحه مشاري، أحد أقربائه، ولكن (فيصل) ذبح مشاري واعترفوا به أميراً مكان أبيه.

وفي عام ١٨٣٨ م رفض فيصل دفع الجزية إلى مصر أو أهمل دفعها، فأرسل إليه محمد علي قوة تحت أمرة (جميل بك) لعزله وتنصيب (خالد) أميراً على الرياض، وقد هرب فيصل واستطاع (خالد) أن يستقر في الرياض بمعونة فرقة مصرية يقودها (خورشيد)، وما لبث المصريون أن حكموا البلاد مباشرة غير مكترثين بخالد.

وقد استسلم (فيصل) وأرسلوه سجيناً إلى مصر.

دام هذا الاحتلال الثاني المصري لنجد سنتين، ثم عاد الجنود المصريون إلى مصر، وبقي خالد في نجد بصفة والٍ للحكومة التركية.

ثم عاد فيصل من معتقله في مصر.. واستعاد العرش.

بقي فيصل في الحكم ثلاثاً وعشرين سنة.. واستعاد أكثر الأراضي التي كان فقدها عبد الله بن سعود، فعمان استعيدت سنة ١٨٤٥ م ودفعت الجزية، واستعيدت الحسا والقصيم.

كما استعيدت جبل شمر، التي ضمت إلى نجد اسمياً، تحت إمرة ابن علي، ثم أصبح ابن عبد الله بن الرشيد، بمعونة فيصل، أميراً على حائل ويدفع الجزية إلى فيصل. وأما البحرين فبقيت مستقلة، بمعونة الإنجليز.

وقد عمي فيصل في آخر حياته، وصار ابنه عبد الله يتصرف وحده بأمور الدولة.

من كتاب (الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز):

(تأليف خير الدين الزركلي ـ المجلد الأول ـ الصفحة ٤٥)

الإمام فيصل بن تركي

بويع بالإمامة فيصل بن تركي، في قصر الرياض، أوائل سنة ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م، وظلت بلاد نجد مضطربة.

وبعد أقل من عامين أرسل محمد علي باشا، والي مصر، إلى فيصل يطلب منه إرسال عشرة آلاف جمل لمساعدة حملة ذهبت من مصر لإخضاع عسير. فلم يفعل، وعدَّ محمد علي ذلك من فيصل عصياناً عليه.

وكان ممن نشأ، في مصر (خالد بن سعود بن عبد العزيز بن محمد) فأرسله محمد علي باشا مع قوة عسكرية سنة ١٢٥٢ هـ /١٨٣٦ م لقتال فيصل ونشبت بينهما معارك انتهت بالصلح بين فيصل وقائد الحملة خورشيد باشا في رمضان ١٢٥٥ هـ/ ١٨٣٨ م، على أن يسافر فيصل إلى مصر ويقيم فيها، ووجَّهه خورشيد إليها حيث أمضى أربع سنوات مبعداً من بلاده.

وتولى خالد بن سعود حكم الرياض متسميًا بالإمارة قريباً من عامين. ومال إلى اللهو فنفر منه أصحابه، وثار عليه (عبد الله بن ثنيان بن إبراهيم بن ثنيان بن سعود)، فترك الرياض إلى الدمام سنة ١٢٥٧ هـ / ١٨٤١ م. ومنها إلى الكويت ثم إلى مكة.

عودة فيصل:

استطاع فيصل بن تركي الانفلات من معتقله في مصر، هارباً من الروم كما يقول ابن بشر سنة ١٢٥٩ هـ / ١٨٤٣ م، فعاد إلى نجد ودخل الرياض، وعليها ابن ثنيان وقاومه هذا، فحصره فيصل في قصر الرياض إلى أن ظفر به وحبسه، فمات في الحبس بعد منتصف السنة نفسها.

ودانت للإمام فيصل الأحساء والقصيم والعارض حتى أطراف الحجاز وعسير، ما عدا (عنيزة) في القصيم فإنه تركها لأميرها زامل السليم يستقل في شؤونها.

أما خالد بن سعود فإنه بعد استقراره في مكة شوهد سنة ١٢٦٣ هـ مع شريف

مكة محمد بن عبد المعين بن عون أيم محاربته للإمام فيصل بن تركي، ثم مات في جدة بداء الحمى سنة ١٢٦٤ هـ /١٨٤٨ م على الأرجح.

وانتظم الأمر لفيصل وهو جد الملك عبد العزيز، وكان عبد العزيز كثيراً ما يقول إذا انتخى: أنا ابن الفيصل.

ويشير فيلبي إلى أن المقيم البريطاني في الخليج الكولونيل بيلي زار الرياض في أيام الإمام فيصل وعقد معه اتفاقية عربية إنجليزية، ولكنه لم يذكر تاريخ توقيعها وقال إن نصوصها لم توجد في سجلات الرياض.

وكُفَّ بصر الإمام فيصل في أواخر أيامه فباشر أعمال الدولة ابنه عبد الله، وهو (أي الإمام فيصل) المرجع الأعلى فيها إلى أن توفي في الرياض سنة ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م.

قالت (صحيفة الخليج الفارسي):

فيصل بن تركي في فترة حكمه الثانية

(التاريخ العام والداخلي)
١٨٤٣ ـ ١٨٦٥ م

أشرنا إلى الطريقة التي تولى بها فيصل الحكم مرة ثانية، وكانت فترة حكمه هذه في الداخل عادية بلا حوادث غير مألوفة.

فقد كان فيصل يتميز بالوقار والقدرة على ضبط النفس، وكان يلقى الاحترام لعدالة الأحكام التي يحكم بها، لكنه كان مرهوباً أيضاً إلى أقصى حدٍّ، خاصة من جانب البدو لقسوته التي لا حدود لها. وكانت مشاعر رعاياه نحوه، كما كانت من قبل نحو سعود أشهر أسلافه: مزيجاً مختلطاً من الكراهية والإعجاب.

وفي سنواته الأخيرة فقد فيصل بصره وكثيراً من صلابته، لكن إمكانياته العقلية ظلت كما هي، وظل هو لفترة طويلة يمسك بكل شيء بين يديه.

وفي يونيو ١٨٦٥ م هاجم الشلل الأمير فيصل، ومات في يوم ٢ ديسمبر التالي بالرياض، وقيل إن الكوليرا كانت السبب المباشر في وفاته.

ويبدو أن (فيصل) كان يسيطر على الأرض الخاضعة له سيطرة تامة.

وقد أوضح منذ السنة الأولى لحكمه تصميمه الحاسم على حماية الحجاج

الذين يذهبون كل سنة لزيارة الأماكن المقدسة من اعتداءات البدو في الطريق.

وفي سنة ١٨٤٨ م، أو خلال السنوات القليلة التالية. استعاد الأمير معظم إقليم القصيم، الذي خرج على جبل شمر، لكنه لم يستطع الاستيلاء على مدينة عنيزة، وقد قام الأمير بمحاولات أخرى لإخضاع هذه المدينة في سنتي ١٨٥٣ و ١٨٦٢ م بلا جدوى.

وفي الحساء حيث كان الأهالي بعيدين عن تقبل حركة الإصلاح، وفي هذا الإقليم الذي كانت التمردات تقوم فيه دائماً بين الحين والحين لم تكن أخلاق المسؤولين فيه فوق الشبهات. وفي سنة ١٨٥١ م، قام فيصل نفسه بزيارة لواحة الحسا والصحراء الممتدة جنوبها وأوقع العقاب بقبائل البدو التي كانت تقطع طريق التجار والحجاج ولا زال اسمه يذكر حتى اليوم على أنه الأمير الوحيد الذي استطاع أن يقهر قبيلة الحرمرة في أرضهم بنجاح.

من كتاب (تاريخ العرب الحديث):

تأليف (عبد الكريم محمود غرايبه)

حكم الإمام فيصل بن تركي

يُعدّ كتاب غرايبه هذا من أفضل الكتب التي عالجت الجزيرة العربية الحديثة معالجة موضوعية، مستندة إلى الوثائق والمراجع الموثوقة، وله عناية خاصة بتحديد تواريخ الحوادث على وجه الدقة.

ولذلك حرصنا على أن ننقل منه الكثير من الفقرات، بنصها أو خلاصة عنه. قال:

كان فيصل بن تركي على رأس حملة في الأحساء عندما وصلته أنباء مقتل أبيه، فكرَّ فيصل بقواته راجعاً إلى الرياض لينتقم لأبيه. فوصل الرياض في ١٩ محرم ١٢٥٠ هـ / ١٧ حزيران ١٨٣٤ م، ودخلها في اليوم التالي واعتصم مشاري في قصره، واستسلم رجال القصر في ١١ صفر، وقتل مشاري وبرز أثناء القتال عبد الله بن علي بن رشيد الذي استولى على القصر، فكافأه فيصل بتعيينه حاكماً وراثياً على حائل.

خالد بن سعود:

لم يستتب الأمر طويلاً لفيصل إذ وصلت نجدَ حملةٌ مصرية بقيادة اللواء (إسماعيل) يصحبه خالد بن سعود، وفشل فيصل في صد الحملة، ففر من الرياض التي دخلها المصريون يوم السبت السابع من صفر ١٢٥٣ هـ /١٨٣٧ م، ولجأ فيصل فترة إلى الأحساء، ثم عاد يحاول استعادة الرياض وحاصرها من أول جمادى الآخرة ١٢٥٣ هـ ٧ أيلول ١٨٣٨ م حتى ٧ شعبان/ ٥ تشرين أول، ودافع خالد سعود بعناية عن الرياض وصمد حتى وصلته نجدة بقيادة خورشيد باشا، وضيّق خورشيد الخناق على فيصل حتى أجبره على الاستسلام في ٢٥ رمضان ١٢٥٤ هـ كانون الثاني ١٨٣٩ م.

وأُرسل فيصل أسيراً إلى مصر حيث اعتقل للمرة الثانية، وكان قد قضى من قبل عشر سنوات أسيراً في مصر ١٢٣٣ هـ /١٧١٨ م - ١٢٤٤ هـ /١٨٢٨ م وقضى في المرة الثانية خمس سنوات: ١٢٤٤ هـ /كانون الأول ١٨٣٨ م - ١٢٥٩ هـ / ١٨٤٣ م.

وخضعت نجد للمرة الثانية للمصريين، الذين أخضعوا في ذلك الوقت السودان وبر الشام وقسماً من الأناضول.

وجاء عبد الله بن رشيد، شيخ حائل وشمر، ومحمد الدويش شيخ مطير وأحمد السديري ورئيس السبيع، لتقديم ولائهم للقائد المصري.

عبد الله بن ثنيان (١٢٥٦ هـ/ ١٨٤٠ م - ١٢٥٩ هـ/ ١٨٤٣ م)

فر من الرياض، في صيف ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م عبد الله بن ثنيان الذي لعب دوراً كبيراً، فقد لجأ في أول الأمر إلى شيخ المنتفق، فأمنه (خالد)، ولكن شك بنيات خالد قبيل وصوله إلى الرياض ففر إلى وادي حنيفة ونال تأييد شيخ السبيع.

وقوي أمر ابن ثنيان في نجد وضعف أمر خالد، ففر خالد إلى الأحساء فالكويت فمكة، حيث أقام حتى وفاته عام ١٢٧٦ هـ /١٨٧٦ م.

واستولى ابن ثنيان على الرياض وأخرج الجند المصري من الرياض وضرما، فانسحب المصريون من نجد وسائر الجزيرة العربية في الوقت الذي انسحبوا فيه من بلاد الشام. واحتل ابن ثنيان الأحساء والقطيف عام ١٢٥٩ هـ /١٨٤٣ م.

فيصل بن تركي (١٢٥٩ هـ / ١٨٤٣ م ـ ١٢٨٤ هـ/ ١٨٦٥ م):

وصلت أنباء من حائل تخبر أن فيصل بن تركي قد جاء من مصر ولجأ إلى ابن رشيد وبدأ الدعوة، وانفض عن ابن ثنيان أعوانه وانضموا إلى فيصل الذي دخل الرياض أواخر ربيع الثاني ١٢٥٩ هـ / ٢٢ أيار ١٨٤٣ م، واعتقل ابن ثنيان في السجن في منتصف جمادى الأخرة / ١٣ تموز.

فيصل يستولي على بلدان ومشيخات الخليج:

بقيت الدمام بيد شيوخ البحرين إلى أن استولى عليها الأمير فيصل عام ١٢٥٩ هـ / ١٨٤٣ م. صمم فيصل على اتخاذ إجراء حاسم ضد البحرين، واستطاع في العام الأول من إمارته الثانية أن يستولي على الدمام، وبعد ثماني سنوات، عام ١٢٦٧ هـ / ١٨٤٣ م، قاد حملة كبيرة ضد البحرين ورفض مصالحة شيوخها، وبدأ بقطر فأخضعها، وأجبر علي بن خليفة، أخا شيخ البحرين، على الفرار من حصن قصر البدع في الدوحة، التي سقطت بيد فيصل.

ووضع أهل قطر تحت تصرف فيصل ٣٠٠ سفينة ليستخدمها في غزو البحرين، كما انضم إليه أسطول أولاد عبد الله بن خليفة الجالين عن البحرين.

واستنجد أهل البحرين بشيخ أبو ظبي سعيد بن طحنون الذي هب منجداً على رأس أسطول قوي وحاول أن يحل الخلاف بصورة سلمية، ووصل ابن طحنون إلى مضارب الأمير فيصل بضمان أحمد السديري، واستطاع أن يعقد صلحاً تعهد بموجبه شيوخ البحرين بدفع الخراج المتأخر.

من عرض حكومة المملكة العربية السعودية المقدم إلى لجنة التحكيم الدولية المكلفة بتسوية النزاع الإقليمي بين (مسقط وأبو ظبي وبين المملكة)

عهد خالد (١٢٥٦ ـ ١٢٥٧ هـ):

في عام ١٢٥٦ هـ/ أواخر ربيع عام ١٨٤٠ م، انسحب قواد محمد علي باشا من الأحساء ثم انسحبوا من نجد، وتركوا (خالد بن سعود) يتولى زمام الأمور.. على أن يخضع لإشراف المحافظ الذي نصبه محمد علي باشا في المدينة.

عهد عبد الله بن ثنيان (١٢٥٧ ـ ١٢٥٩ هـ):

ثار عبد الله بن ثنيان على خالد وأصبح حاكماً في الرياض.

العهد الثاني للإمام فيصل (١٢٥٩ ـ ١٢٨٢ هـ):

في أوائل عام ١٢٥٩ هـ، فرَّ فيصل من القاهرة ووصل إلى نجد وأقام حكمه في الرياض عام ١٢٥٩ هـ، وكانت هذه بداية مدة استغرقت أكثر من عشرين عاماً، وثبت أنها كانت من أفضل العهود في تاريخ الجزيرة العربية الحديث، ومن أعظمها استقراراً.

ويصف لوريمر الفيصل بأنه «متميز بالوقار وضبط النفس، محترم لعدالة أحكامه».

وتكلم (هوغارث) عن رحلة وليم جيفورد بلغرف، فقال: إن البريطانيين كانوا يشتبهون بأنه جاسوس لنابليون الثالث، وقد جاء قبل بلي، ولذلك كانت رحلة (بلي) ذات غرض، وهو أن يقدم عروضاً أكثر سخاءً مما قدمه سلفه.



امتداد دولة الإمام فيصل

بلاد تدفع الزكاة للدولة

● دولة الإمام فيصل بن تركي ●

● فترة أولى: ١٢٤٩هـ / ١٨٣٤م إلى ١٢٥٤هـ / ١٨٣٨م

فترة ثانية: ١٢٥٩هـ / ١٨٤٣م / إلى ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م

شعر فيصل بن تركي[1]

فيصل بن تركي آل سعود:

فيصل كوالده مقلّ، ولعل في تاريخهما الحافل بالفتن والاضطرابات ما له كبير الأثر والاستبداد باستغلال مواهبهما والاستيلاء على تفكيرهما، ففيصل هو الآخر لم نعثر له إلا على قصيدة واحدة، قالها متأثراً بعدم وفاء فئة كان يظن أنها من أكبر أنصاره فخانوه أحوج ما يكون إليهم . .

ويستهل هذه القصيدة بقوله:

الحمد لله جت على حسن الأوفاق   وتبدلت حال العسر بالتياسير
هبت هبوب النصر من سبع الأطباق   للدين عز، ونقمة للخنازير
مفهوم قلبي للرعابيب ما اشتاق   أيضاً ولا همه لجمع الدنانير

ثم يذكر ما جرى له من هذه الطائفة وما قد أسداه إليهم في شكل حكاية وينتهي إلى:

أحد أصافي له على الصفح واعتاق   واحد أصافي له بحد البواتير
فأول نراسلهم بتسجيل أوراق   واليوم بأطراف الرماح السماهير

ويفتخر بموقف آبائه وأجداده في حكمهم لنجد وفي ذودهم الأعداء عنها:

حنا حمينا نجد من كل الفساق   من حمر مصر والوجيه والمناكير

قصيدة نبطية رائعة

للإمام فيصل بن تركي

الحمد لله جت على حسن الأوفاق   وتبدلت حال العسر بالتياسيرِ
جتنا من المعبود قسام الأرزاق   وعم على الحساد هم والتوابيرِ
هبت هبوب النصر من سبع الأطباق   للدين عز ونقمة للخنازيرِ
زان الكلام ودون لي بعض الأوراق   اكتب ثناء الله على حسن تدبيري

---

(١) من كتاب «الأدب الشعبي في جزيرة العرب» لعبد الله بن خميس .

من ماي عيني اللي دمعهـ راق ... قام يتزايد حر وجده بتزويري
من ماي عيني اللي دمعها راق ... قم يتزايد فوق خده بتحديرِ
والقلب كلما قلت أمن السكر فاق ... قام يتزايد حر وجده بتزفيرِ
مفهوم قلبي للرعابيب ما اشتاق ... أيضاً ولا همه الجمع الدنانيرِ
لكن من ربع عليها أردا ساق ... عقب الجمايل أنكروا نية الخيرِ
مأكولهم عندي عناقيد وأشناق ... ومشروبهم در البكار الخواويرِ
ملبوسهم من طيب الجوخ ما لاق ... ونقلتهم بمصقلات بواتيرِ
مركوبهم عندي طويلات الأعناق ... من الخيل هي واليعملات الغناديرِ
قصرى لهم من لافح البرد مشراق ... وفي القيض طل من سموم الهواجيرِ
كنى لهم أبو من الأهل مشفاق ... أروف بهم مثل العيال المصاغيرِ
ما نيب باغيهم إلى التفت الساق ... يا قوننى من حادثات المقاديرِ
لكني أبغيهم اليا خاطري ضاق ... نخيتهم جوني سراع مشاهيرِ
باروا بحقي ذا نكر ثم ذا باق ... وذا قاعد عني ولا له معاذيرِ
وذا تبين في الردا فوق ما طاق ... وذا تبين بالحكايا الخماكيرِ
واطلب من اللي بالعقوبة لهم عاق ... أنزل لهم بأسه سريع بتدبيرِ
عسى يشوفوني على حسن الأوفاق ... بيوم أذكرهم إلى صار تذكيرِ
وأنظر مجالسهم معاذيك الأسواق ... يحيا بوجه طالب العفو يا أميرِ
أحد أصافي له على الصفح وأعتاق ... واحد أصافي له بجد البواتيرِ
قولوا لخير الله ترى المكربه حاق ... وأخوانه اللي نسيوا الطيب والخيرِ
جتكم عبيد الله تفاقا على ساق ... تقتص منكم والله عليه التدابيرِ
أزرود عزه على الأثر لحاق ... بعوض النضا ومعسكرات المساميرِ
حنا حمينا نجد من كل فساق ... من حمر مصر والوجيه المناكيرِ
أول نراسلهم بتسجيل وأوراق ... واليوم بأطراف الرماح المشاهيرِ
أقول ذا قولي وبالرب وثاق ... أمدح أرجال من تميم مناعيرِ
حاموا على الملة وقاموا على ساق ... دون المحرم والغروس المباكيرِ

وأخلاف ذا يا راكب فوق سباق … هليع مرباه يم المناصيرِ
بشر هل العارض ترى حظهم باق … وحميرهم حالت عليها المقاديرِ
ما بين حصان وما بين تفاق … راحت فوات بين ذيك الدعاثيرِ
ناروا مع الصفرة نشيفين الأرياق … ولا لقوا عن نقمة الله مصاديرِ
سم الرزايا ساق مزن على ساق … متحدر سيله وجوله محاديرِ
يا ضيعة بالخرج من كل فساق … كلي وزادي من وسود المناقيرِ
ضفتي هل العارض وعشوك باشناق … وأهل القرى عشوك روس الطوابيرِ
كله العينا دعوة الله بالإلحاق … وغرايس خضر وبيض الغناديرِ
صلاة ربي بالعشية والإشراق … على النبي من أظهر الحق تظهيرِ

السياسة الخارجية

زيارات ممثلي الدول الكبرى للإمام فيصل ورحلات بلغريف وبيلي إلى نجد وزيارتهما للإمام فيصل وأحاديثهما معه ما لست تجده في المراجع النجدية المعهودة

زيارة بلغريف للإمام فيصل بن تركي
مندوباً من الإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث

كتبت مجلة العالمين الفرنسية (Les Deux Mondes) في عدد أيلول عام ١٨٦٧ م ما يأتي:

«ويليام بلغريف يهودي، وكان ضابطاً في جيش بومبي - الهند.

وقد تنصر وأصبح كاثوليكيًا يسوعيًا.

ثم سافر إلى سوريا وأقام فيها، وكان يُعرف هناك باسم: (الأب كوهين).

تعلم العربية وأتقنها وعرف عادات العرب.

أرسله الإمبراطور الفرنسي في مهمة إلى نجد.

ولما أتمَّ مهمته عاد إلى البلاد، هجر اليسوعية وصار بروتستانتياً».

ونشرت المجلة نفسها في عدد أيار - مايو:

«بلغريف إنجليزي، وهو أول أجنبي زار الجزيرة العربية من أدناه إلى أقصاها، وأثار اهتماماً في بريطانيا العظمى، حين قام أميل جونفو بنشر كتابه: Narrativ of a year's journey through Central and Eastern Arabia. London 1965. ويقول جونفو إن تعصب بلغريف الديني منعه من رؤية الإسلام رؤية صحيحة محايدة».

عنوان النسخة الفرنسية:

ظهرت النسخة الفرنسية قبل النسخة الإنجليزية وهذا أمر متوقع، لأن بلغريف كان مندوباً عن فرنسا، وهذا عنوانها: (Une année de voyage dans l'Arabie centrale).

عنوان النسخة الإنجليزية:

النسخة الإنجليزية أهداها (بلغريف) إلى (كارستن نيبوهر) تكريماً للشجاعة والذكاء اللذين فتحا العربية لأوروبا. وهذا عنوانها:

(Personal Narrative of a year's journey through central and Eastern Arabia (1962-63) by William Gifford Palgrave, late of the eight regiment Bombay N1- London 1877 - MacMillan and Co.).

وترجمة العنوان الفرنسي هي: رحلة سنة في العربية الوسطى.

وترجمة العنوان بالإنجليزية هي: رواية شخصية لرحلة سنة خلال العربية الوسطى والشرقية ١٨٦٢ ـ ٦٣. بقلم ويليم جيفورد بلغريف قديماً من الفرقة الثامنة بومبي ن ١ لندن ١٨٧٧ م ـ ماكميلان وشركاؤه.

ماذا يريد نابليون الثالث من الإمام فيصل؟

الفرنسيون يريدون قاعدة في الخليج الفارسي (العربي) ويطلبون صداقة الإمام ومساعدته على مرور جيوشهم عبر الصحراء والسعودية ليقضوا على احتكار الإنجليز للنفوذ في الخليج ويقطعوا طريقهم إلى الهند!

كان الفرنسيون مصممين على تقوية أساطيلهم الحربية والتجارية وبسط نفوذهم على الخليج الفارسي، أو على جزء منه، وضرب الاحتكار البريطاني للنفوذ في الخليج، فالبريطانيون طردوا البرتغاليين، الذين سبقوهم للسيطرة على الخليج وأصبحوا هم وحدهم سادة السواحل الخليجية من أدناها إلى أقصاها، يمنعون الآخرين من الدنو منها إلّا بإذنهم وبعد دفع مبالغ يستقلون بتحديدها، ولعلهم يعتبرون أن وجودهم في الهند وضرورة احتفاظهم بها وبمواردها وبالتجارة معها، توجب عليهم احتكار السيادة على السواحل الخليجية والطرق الموصلة إليها! وهذا أمر لم تعد تتحمله أعصاب الفرنسيين، الذين تعاظمت طموحاتهم في عهد الإمبراطور.

لذلك طلب الإمبراطور نابليون الثالث من مساعديه أن يختاروا له رجلاً ذكيًا داهيةً، صبوراً، يستطيع القيام بمهمة دقيقة يكلِّفه القيام بها في نجد، لأن نجداً هي

الطريق التي يجب على الجيوش الفرنسية سلوكها لوصول إلى الخليج، فلا بد من اكتساب صداقة أميرها العظيم واستمالة العشائر المنتشرة هناك، لتساعدهم وتسهل مرورهم. وقد اجتمع مساعدوه وتدارسوا أوضاع الأشخاص الذين يستطيعون أداء هذه المهمة الخطيرة، وأجمعوا أخيراً على ترشيح: (ويليام جيفورد بلغريف) الذي كان يعمل ضابطاً في الفرقة الخامسة في بومبي ـ الهند ـ ويعرف أخلاق الشرقيين ويحسن «التعامل» معهم . .

قَبِل بلغريف المهمة . . وقال إنه يريد أن يعد نفسه للعمل إعداداً صحيحاً، وإن استغرق بعض الوقت، قبل البدء بالرحلة، ويرى أن يقيم في دمشق فترة من الزمن، يتعلم خلالها اللغة العربية بلهجاتها العامية المختلفة ويدرس أحوال العشائر ويظفر بشخص يستطيع الاعتماد عليه والثقة به، ليكون رفيقه في رحلته.

وافق الإمبراطور على طلبات (بلغريف)، وكتبت وزارة الخارجية الفرنسية إلى قناصلها وأصدقائها في الشام والخليج أن يُسَهِّلوا مهمة بلغريف ويمدُّوه بالمال الكثير والمعلومات والحماية.

. . وسافر بلغريف إلى دمشق، وأقام فيها فترة غير قصيرة، وكان يدَّعي أنه طبيب، ووجد الرفيق الذي ينشده . . .

لن ننقل شيئاً عما فعله في دمشق وفي الصحراء التي عبرها إلى نجد بين العشائر لأنه فيما يبدو لم يثق بها ولم يعوَّل عليها . .

وحسبنا أن نترجم شيئاً مما أورده في كتابه عن وصوله إلى الرياض ووصفه لها، وزيارته للإمام فيصل . قال:

وصف الرياض:

وصلنا ظاهر الرياض، ووقفنا على تل، وشاهدنا مدينة الرياض، العريضة المربعة، التي يحيط بها سور عريض، وأبراج عالية معدَّة للدفاع عنها.

ولكن المنظر الذي يثير الإعجاب حقاً هو هذه السهول والوديان الواسعة الممتلئة من النخيل ومن الشجر والعشب والزهر، التي تسحر وتبهر.

إن قرّائي الذين أتيح لهم أن يروا منظر دمشق وغوطتها من جبل قاسيون، يستطيعون أن يكوِّنوا لأنفسهم فكرةً مقاربة عن جمال الرياض وبساتينها، ولكن منظر الرياض أجمل، لأن بساتينها أوسع مدى.

أبرز البنايات في الرياض: المسجد، وقصر فيصل وقصر ابنه.

وتقع على مقربة من الرياض (منفوحة)، التي تكاد تعادل بعدد سكانها مدينة الرياض.

وقرب قصر الأمير فيصل، يوجد مسجد، ولعله بناه، حتى لا يصيبه حادث كحادث أبيه (تركي)، فهو يذهب من قصره مباشرةً إلى الجامع!.

وللقصر باب سري، لعله معدٌّ لهرب الأمير إذا حوصر وضُيِّق عليه..

وفي ظل سور القصر، شاهدنا نساءً كثيرات جالساتٍ أمام سلال من الخبز والبلح والثمار والخضار، وحولهن الناس يشترون.

مقابلة الإمام فيصل:

توقعنا أن يستقبلنا الأمير فيصل فوراً، بعد أن ذهب الدليل إلى القصر وطلب لنا الإذن بالزيارة ولكن خاب أملنا وانتظرنا طويلاً.. وأخيراً قابلنا الشيخ (عبد العزيز)، وهو وزير الخارجية، الذي يحدِّد مواعيد الاستقبالات ويكتب الرسائل ويدرس المشاكل مع الأجانب..

قلنا لعبد العزيز إننا جئنا إلى نجد لنطلب من الله تعالى أولاً، ثم من الأمير فيصل - فقد تعلمنا أنه يجب الابتداء بالله دائماً وإضافة اسم الشخص بحرف «ثم» للتفريق وإظهار البعد -... نطلب الإذن لنا بممرسة الطب، برعاية الله ثم برعاية الفيصل، في مدينة الرياض.

أجابنا عبد العزيز جواباً غامضاً، ثم أخذنا إلى الدار التي أُعِدَّت لنزولنا. وذهب عبد العزيز ليخبر الأمير فيصل بأسماء الذين يطلبون مقابلته وهم من جنسيات كثيرة متعددة، ونحن من بينهم..

ولمَّا علم فيصل أن الذين يطلبون مقابلته هم مندوبون من العجم الملاعين.. ومكيون شحاذون، وسوريون يريدون ممارسة الطب الخ.. كاد يفقد عقله.

كان فيصل عجوزاً وأعمى، وكثير التشاؤم والشكوك، وكانت القوافل التي تنزل في ساحة قصره، دون سابق إخبار، تزيد في مخاوفه وحذره.. لذلك كان يحرص هو ووزراؤه على التخلص من المقابلات..

وفعلاً.. خرج من باب السر، وذهب إلى قصر عبد الرحمن آل الشيخ ليبتعد.. ولكنه بعد قليل، أرسل شخصاً متخفيًا، ليجتمع بنا، دون أن نشعر بأنه

مرسل منه للتجسس علينا ومعرفة حقيقتنا. ويبدو أنه قدّم للأمير تقريراً سيئاً يقول فيه إننا جواسيس أو شحاذون. وربما فعل ذلك لخوفه أن نقيم هنا وننال حظوةً عند الأمير وننافسه.. وكان يعتبرنا نصارى، طبعاً..

ثم جاء شخص آخر، لعله عضو في «المجلس السري»، واعتبرنا مبدئيًا مسلمين وناقشنا بمسائل دينية، فكنا نستشهد في أجوبتنا بآيات من القرآن حتى اطمأن إلينا. رأيت عبد العزيز.. مصادفة على الطريق، فقال لي إن الأمير يرى أن نذهب إلى الهفوف، ونمارس هناك طبنا..

وجاء بعد ذلك الدليل ونصحنا بأن نقدم «هديةً» إلى عبد العزيز. ففعلنا، وانقلبت الحال تماماً.. وأخبرنا عبد العزيز أنه موافق على ممارستنا الطب في الرياض.

إن أخلاق عبد العزيز كأخلاق كثير من رجال العارض: منظر لطيف ولسان حلو، ولكن الحقيقة هي أن مودتهم خطرة وعداوتهم مميتة مهلكة، وصداقتهم مشبوهة.

إنهم حقودون غيورون، يكره بعضهم بعضاً، ولكنهم شجعان ودهاة، وهذا ما يفسر انتصاراتهم.

وقد عرفنا أن رئيس وزراء فيصل اسمه: (محجوب)، وخازنه هو: (جوهر)

كنا نذهب إلى المسجد للصلاة، ولاحظنا أن النجديين لا يخلعون أحذيتهم عند دخول المسجد للصلاة، وأن الأذان قصير، وهم يتحركون كثيراً أثناء صلواتهم وفي الرياض جامع كبير، ونحو ثلاثين مسجداً.

كان خطيب الجامع: القاضي الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ، وهو خطيب بليغ ومقنع بما يعظ به المصلين من المواعظ التي يضمنها الكثير من الآيات والأحاديث وأقوال السلف الصالح وأعلام الحنابلة والشيخ محمد بن عبد الوهاب.

لقد نُفي الشيخ عبد اللطيف وهو صغير إلى مصر وتعلم هناك وأصبح أكثر تسامحاً من مشايخ نجد، وإذا تحدثت إليه سمعتَ منه ما يرضيك ويعجبك حتى لتكاد تظنه تقدمياً منفتحاً، ولكنها مظاهر خادعة، فليس في نجد رجل أخطر على التقدم من هذا الشيخ، الذي يتفوق نفوذه في بعض الأمور على نفوذ فيصل نفسه!.

تحدَّث مرةً عن الحديث النبوي الذي يقول إن الأمة ستفترق على سبعين

فرقة، كلها في ضلال، إلا فرقة واحدة، هي الفرقة الناجية، وقال: (نحن الفرقة الناجية).

تصوَّر أنهم هم وحدهم المسلمون الناجون.

مقابلة الأمير فيصل:

أرسل الأمير فيصل أحد معاونيه إلى بلغريف ليأتي هو ورفيقه لمقابلته، ويبدو أن الحديث بينه وبين الأمير لم يكن طويلاً، وقد عرض على الأمير مساعدته ضد الإنجليز، ولكن الأمير لم يجبه وأجل إعطاء الجواب.

ومهما يكن الأمر فإن بلغريف لم يضع وقته عبثاً، وأعطانا معلومات مهمة عن الأمير فيصل وأولاده وإحصائيات عن موارد البلاد وإعداد مجنديها من البدو والحضر.

ولولا أنه يهودي ومتعصب وحاقد على الحنابلة من أجل تشددهم في مسائل الدين لكان كتابه مرجعاً مفيداً.

وصـف فيصـل:

وهذا تلخيص لما قاله عن فيصل:

لما تولى فيصل السلطة كان عمره حوالي ٣٣ سنة، وكان يميل إلى الاعتدال في كل شيء وهذا من شأنه أن يجمع القلوب حوله. ولكن الشيوخ السعوديين شحنوه بأفكارهم فأصبح مثلهم، وكان يزداد تعصباً مع الأيام.. مع أنه في بدء أمره قام بعمل جليل جداً فقد كان كل فرد يعتدي على الآخرين بحجة أنه ارتكب منكراً وتقع بسبب ذلك منازعات لا تحمد عقباها، فقرر أن يتولى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رجال مخصوصون يمارسون عملهم برفق وتجرد، ويكافحون من يتغيب عن الصلوات الخمس في المسجد دون عذر، أو يدخن أو يلبس الحرير والذهب أو يحلف بغير الله الخ..

كان فيصل قصيراً ونحيفاً، ولا يشبه أباه تركي، ولكنني حين قابلته كان أصبح سميناً وأعمى، وغير قادر على الحركة إلا ببطء شديد، وأصبح في السنوات الثلاث من حياته مستسلماً لابنه عبد الله الذي يحكم البلاد باسمه.

ولم يكن يظهر أمام الجمهور إلا ليذهب مبكراً يوم الجمعة إلى زيارة قبر أبيه.

ابنه عبد الله كان قصيراً كأبيه وأمه سعودية ، وأما ابنه الثاني سعود فأمه من بني خالد ، وكان طويلاً نحيلاً وسيماً . يشبه أمه ، وإلى ذلك كان كريماً حتى لقبوه (أبو هلا) أو أبو هلا للطفه وسخائه ، وكان الأخوان لا يكلم أحدهما الآخر ، وقد سمى عبد الله أخاه (سعود) حاكماً على اليمامة والحريق ، ومركزه سليمية ، حتى يبعده ولا يحتك به .

كان فيصل يميل إلى ابنه عبد الله ، وهو بكره ، وما كان ينتدب سعوداً لأي عمل مهم إلا مرة واحدة في حوادث الدواسر .

الابن الثالث : محمد ، وهو يشبه أخاه عبد الله في المظهر .

أما الابن الرابع : فكان فتى لطيفاً جذاباً في العاشرة أو الثانية عشرة .

كان السعوديون يسيطرون يومئذ على العارض والوشم وسدير والأفلاج والدواسر واليمامة .

موارد فيصل المالية كما وجدها بلغريف عند الخازن جوهر :

المقاطعة	المبلغ
العارض	٥٠٠٠
اليمامة	٦٠٠٠٠
حريق	١٠٠٠
الأفلاج	٢٠٠٠٠
وادي الدواسر	٤٠٠٠٠
سليل	٣٠٠٠٠
الوشم	٦٠٠٠٠
سدير	٧٠٠٠٠
القصيم	١٢٠٠٠
الأحساء	١٥٠٠٠
القطيف	٥٠٠٠٠
المجموع	**٣٦٣٠٠٠**

وتعادل ١٠٠٠٠٠ جنيه إنجليزي ذهبي

ويقرن جوهر هذه المواد بموارد جبل شمر فيقول إن مجموع موارد شمر ٢٢٠٠٠٠.

البـدو

القبيلة	العدد
العجمان	٦٠٠٠
بنو هاجر	٤٥٠٠
بنو خالد	٣٠٠٠
مطير	٦٠٠٠
عتيبة	١٢٠٠٠
دواسر	٥٠٠٠
سبيع	٣٠٠٠
قحطان	٦٠٠٠
حرب	١٤٠٠٠
عنزة	٣٠٠٠
آل مره	٤٠٠٠
جماعات متبعثرة	١٠٠٠٠
المجموع	**٧٦٥٠٠**

ملحوظـة: يقدر عدد الجنود بعُشْر السكان، ويقدر عدد سكان كل خيمة بخمسة أشخاص.

شهادة البطريرك الجرجيري:

الإمام فيصل يقول:
(أنا وإن كنت عدوًا لسلطان إستانبول
لا أرضى أن أستعين عليه بالأجنبي)

تحدث الأمير شكيب أرسلان في كتاب (حاضر العالم الإسلامي) عن زيارة بلغريف لفيصل عام ١٨٦٢ م، فقال إن بلغريف ومعه رفيق له رجل دين دعا فيصلاً لتأسيس علاقات مع دول أوروبا لتساعده على الدولة العثمانية، فأجاب: «إنني وإن كنت عدوًا لسلطان إستانبول، فلا أرضى أن أستعين عليه بالأجنبي».

روى ذلك من سمعه من فم البطريرك الجرجيري.

رحلة الكولونيل لويس بيللي

الليفتنان كولونيل لويس بيللي :

تقرير عن رحلة إلى العاصمة السعودية الرياض في العربية الوسطى

طبع بومبي ١٨٦٦ م

تلخيـص :

عقدت الحكومة البريطانية معاهدات بحرية مع شيوخ الخليج شبه المستقلين . ولكنني أدركت أن هؤلاء الشيوخ كانوا كخيالات الظل بين يدي أمير نجد . لذلك كان الأفضل أن يتم لقاء وتفاهم معه مباشرة ، ومما يزيد حاجتنا إلى مثل هذا اللقاء أن سفننا الحربية كانت هاجمت سواحله فأثارت الأفكار ضدنا .

ومهما يكن الأمر فإن جميع الأشخاص هنا متفقون على أن الأمير فيصل هو حاكم عادل وشديد وأنه نجح في تحقيق ما عجز عنه أسلاقه . وهو تحدي الأعراف والتقاليد العشائرية ومحاولة إخضاعهم كالحضر للشرع . وتحويل أفكارهم إلى الزراعة والتجارة ، بدلاً من الغزو .

لا يمكننا القول إن الناس يحبون الأمير فيصل ، ولكنهم معجبون به ومقدرون لسياسته .

إن التفاهم مع الأمير فيصل سيكون له تأثير كبير على جميع مشايخ الخليج ، ولذلك كتبت إليه رسالة أعرب له فيها عن رغبتي في إقامة صلات حسنة معه ، وإنني أريد لهذه الغاية زيارته .

كان جوابه غامضاً ، وأشار فيه إلى سلفي وسياسته العدائية . . وأعدت الكتابة إليه فلم أتلقَّ جواباً ، ولكنني علمت من نجديين على صلة به أنه تحدث عني حديثاً حسناً وقال إنني لا تهمني إلا المصلحة العامة .

وهكذا قررت السفر إليه ، وكان القوم هنا بين ناصح لي بعدم المغامرة وبين موافق .

ويتحدث بيللي عن رحلته الطويلة خلال الكويت ونجد ثم يقول ما خلاصته: تلقاني في ظاهر الرياض رجل موفد من جانب الأمير، وسلم عليّ سلاماً مختصراً، ثم أخذني إلى دار في بستان أعدت لغير المسلمين.

ثم جاءني محجوب، وزير الأمير، وأفهمني أن بقائي في هذه الدار خير لي، لأنني أدخن الخبيثة . .

وقد سلمته هدايا ليقدمها باسمي إلى الأمير، ولما سألته عن موعد مقابلتي للأمير، قال لي أن أنتظر يومين بعد انقضاء شهر الصوم . .

وأخيراً أبلغني الأمير أنه سيستقبلني في مسجده بالقصر.

واستقبلني في قاعة واطئة السقف، طويلة، ضيقة، يعتمد سقفها على أعمدة خشبية، وكان الأمير يجلس في صدر القاعة على سجادة جميلة، ويستند إلى آرائك من جلد، وكان أصغر أولاده يجلس إلى جانبه، ويقف قريباً منه وزيره محجوب، ولما دنوت من الأمير نهض من أجلي بصعوبة، وأخذ بيدي وطلب مني أن أجلس على السجادة قريباً منه.

كان أعمى تماماً ولكنه كان هادئاً، وقوراً، صبوراً.

وكان يبدو أنه تجاوز السبعين، وكان يرتدي ثياباً غنية وأنيقة، وعلى رأسه كوفية وعقال من الكشمير الأخضر، وكانت كلماته هادئة ومتزنة.

. . قدمت إليه مرافقي، وأعربت له عن سروري بالتعرف إليه شخصياً فأجابني بلطف، وقال إن الرياض بلد يبدو للغربي أن المجيء إليها أمير مثير للفضول، ولم يسمح قبل الآن لأي أجنبي بدخولها، ولكن كل شيء سيكون على ما يرام.

قلت له: إنني قمت بزيارات مماثلة لرؤساء في جزيرة العرب، ولم أحتفظ منها إلا بذكريات مرضية، وإنني أرجو أن تكون محادثاتنا معه مرضية أيضاً وتزيل من نفسه آثار الحوادث السابقة، وأن الحكومة البريطانية لا تريد للعشائر العربية إلا أن تعيش بسلام ورخاء في أراضيها وفي ظل أمرائها.

فقال الأمير إن علاقاته مع الدول الأجنبية قليلة، وإن كان له في كل مكان وكلاء يطلعونه على كل شيء.

وكان يتحدث عن نفسه بصيغة الجمع ويعتبر كل شبه جزيرة العرب، تقريباً، ملكاً له.

قال: «أرض العرب هذه من الكويت إلى القطيف فرأس الخيمة فعمان وما بينها قد أعطانا الله إياها».

ثم قال: إن الترك كانوا أخذوا منه بعض هذه البلاد. ولكنه لا يخاف منهم.

ثم سألني: هل تريدون أن تساعدوني على محاربة الترك أو عشائر أخرى؟

فقلت له: إن سياسة بريطانيا في هذه البلاد محافظة، ونحن يسرنا أن ننظر إلى جيراننا كأصدقاء، وكتجار في أراضينا، ولكننا غير مستعدين للمساعدة في أي عمل عدواني.

قال الأمير: إنه سمع من باشا مصر شيئاً من ذلك، وإن الحكومة الإنجليزية تبدو من الناحية السياسية نظامية وصالحة، وهي أقل دسائس من فرنسا.

ثم قال: إنه يكره ديانتنا، ويدعو الله أن يهدينا إلى الطريقة القويمة، وأضاف: هناك تمييز بين المصلحة السياسية والأمور الدينية.

ثم تكلم عن مجيء سفينة فرنسية لمساعدة سلطان مسقط في حربه ضد السعوديين.

فقلت للإمام: إنني لا أعرف شيئاً عن تلك القضية وأظن أن الخبر غير صحيح.. فضحك، وتحدث عن سلطان مسقط باحتقار، قائلاً إنه ضعيف، والذين حوله ضعاف، ومسقط خاضعة لنا وقد أخذناها بقوة السلاح، والإمام السابق سيد سعيد كان يفهم القضايا، ووافق على تسوياتنا، ولكن سيد ثويني يختلف عنه ويجب أن يكره بالقوة.

ثم عاد الإمام إلى الحديث عن فرنسا وقال: إنه تلقى رسالة من سفينة فرنسية تعرض عليه المساعدة في البر والبحر متى احتاج إليها، فلم يجب.. ثم أعادت السفينة منذ سنتين الرسالة نفسها وطلبت منه أن يبلغ جوابه إلى قنصل فرنسا في دمشق، فأجاب شاكراً وأنه لا يحتاج إلى تلك المساعدة.

وأخيراً سألني الإمام إذا كانت لي قضية أحب أن ألقاه بها على انفراد، فأجبته أن غايتي من الزيارة هي أن أتعرف إلى زعيم يتحدث عنه الناس حديثاً حسناً، ويمكنني القول أيضاً إن غايتي مثل غايته، وهي أن يستقر السلام في بلدان الخليج الفارسي وتقوم بيننا علاقات طيبة، وأن التعرف الشخصي بين الرجال الشرفاء هو مصدر الثقة، ويمنع الأشخاص الآخرين من إحداث سوء تفاهم بينهم، وأنني لا

أشك في أن زيارتي الودية الحاضرة ستحسن علاقاتنا وتكون لها آثار على تقدم كل الشعوب التي نتحمل المسؤولية عن سعادتها.

كان الإمام مسروراً من هذا الكلام، وقال: إن هذه الزيارة هي لمجرد التعرف الشخصي، ويجب أن يكون بيننا اجتماع خاص.

وفي الصباح عدت لمقابلة الإمام ولم يكن معه سوى ترجمان. وكنت وصلت ولما ينتهي الإمام من ارتداء ملابسه.

بقيت فترة مع وزير الإمام، وكان هذا يتحدث بخفة.. ولما دخل الإمام صمت، ثم أخذ يردد معه الأدعية، وانشق الباب، وظهر الإمام تسنده جاريتان، ثم تلقاه منهما عبدان وأخذاه إلى مقعده.

كان سلامه هذه المرضة صميميًا جداً، حتى ليخيل لي أنه «علماني»، في أمور السياسة. تكلمنا عن أشياء مختلفة، وفي جملتها الوسائل التلغرافية، فقال: إنه يفهم نفع هذه الوسائل، ولكنه يخشى أن تحدث لنا بسببها متاعب مع العربان، وقد كان عباس باشا المصري يريد إقامة مواصلات بريدية مع نجد. ولكن مضايقات وأذى القبائل كانت من الكثرة بحيث أهمل هذا المشروع، مع أنه في أول الأمر عاقب العرب المعتدين.

ثم عاد يسألني: هل نريد أن نساعده على التغلب على أعدائه. وهل نميل إلى عقد حلف ضد الترك وغزو بلاد أبعد (وربما يعني بلاد الفرس). فابتسمت وقلت: إننا سنكون سعداء إذا رأينا شعبه يتاجر في أراضينا، ولكننا لن نعتدي.

وتكلم الإمام عن أوضاع الجزيرة العربية الطبيعية والسياسية، وقال: إن بلادنا تحتاج إلى المطر، والمطر إذا نزل أمكن جعل البدو حضراً.

وأعطني وزيره طلباً لشراء آلات ضخ للماء توضع في ضواحي القاهرة، أقوى من الآلات الموجودة الآن، فقلت للإمام: إنه يسرني أن أسهم في هذا العمل النفع وليسمح لي أن يكون هدية متواضعة مني.

ثم طلبت منه أن أزور اصطبله، فقال: إنه في الخرج وأستطيع أن أنتقي منه زوجين اثنين، فقلت له: إنني إنما أريد رؤية الخيول العربية لإعجابي بها. لا لأملكها، وسألته عن لون أحسن الخيول؟ فقال: إن المهم هو النسب، وليس اللون.

لم أذهب إلى الخرج، ولكن هدية الإمام وصلتني إلى الرياض. وأعود إلى حديث الإمام، فقد اختتمه بهذه الكلمات القوية: «لتكن الجزيرة العربية كيفما كانت، فهي بلادنا.

ولعلكم تتعجبون كيف نعيش هنا مع أننا منعزلون عن العالم؟

والحق أننا راضون. إننا نشعر أننا نملك كل شبر من أرضنا.

ونحن نعرف كيف نحكم عرباننا، ومن خطتنا أن نعاقب بشدة رؤساء العشائر حين يرتكب أفراد من عشائرهم جرائم أو يقتلون أفراداً أو جماعات.

وإذا زرتم السجن فستجدون هناك سبعين من رؤسائهم. نعم نحن قساة جداً، ولكننا عادلون»[1].

علاقة الإمام فيصل بفرنسا؟:

قالت صحيفة الخليج الفارسي:

سبق الكولونيل بيللي إلى الرياض الرحالة (و. ج. بالجريف) (Palgrave) الذي مر بعاصمة السعوديين أثناء مروره عبر الجزيرة في سنة ١٨٦٢ م، ولم تكن بعثة مستر بالجريف - رغم أنه من رعايا بريطانيا - باسم الحكومة البريطانية، وقد قيل إنه كان يمثل نابليون الثالث، الذي كان مهتماً اهتماماً خاصاً بمصر والشام، وربما كان قد وجه اهتمامه إلى نجد لعلاقتها بموضوع قناة السويس، الذي كان قد تم اقتراحه آنذاك بالفعل.

وقد اعترف الأمير فيصل في محادثاته مع الكولونيل بيللي في الرياض أنه تلقى مرتين عروضاً سخية من الحكومة الفرنسية بالمعونة، وفي الثانية منهما طلب بالجريف من الأمير أن يبلغ رده للقنصل الفرنسي في دمشق..

وأبلغه الأمير فعلاً شكره.. وأوضح له أنه ليس في حاجة إلى مساعدة..

---

(١) وكتب بيللي يصف مساحة الدولة السعودية في عهد فيصل فقال: إنها تسيطر على ساحل الخليج الفارسي الغربي وعلى ساحل عمان وتتلقى الإتاوات نقداً أو عيناً من رؤساء البحرين وأبو ظبي ودبي وأم القيوين وعجمان والشارقة ورأس الخيمة، كما أنها تملك مركزاً بارزاً في البريمي، ومسقط أيضاً تدفع الإتاوة.

وكان فيصل يقول دائماً: إن أرض جزيرة العرب من الكويت عبر القطيف ورأس الخيمة وعمان ورأس الحد وفيما وراءها هي التي منحنا إياها الله تعالى.

تعليق د. أبو علية على رحلة بيللي:

كتب الدكتور عبد الفتاح حسن أبو علية على رحلة بيللي تعيقاً جيداً، نقتطف منه الفقرات التالية:

«بيللي هو المقيم البريطاني في (بوشهر) في الخليج العربي، ورحلته جاءت بعد سنتين من رحلة بلغريف، ومن أغراضها إبعاد النفوذ الفرنسي سياسيًا والحصول على معلومات تؤكد أو تنفي المعلومات التاريخية والجغرافية التي نشرها بلغريف».

ويشير أبو علية إلى رسالة بعث بها الإمام فيصل إلى خديوي مصر إسمعيل وفيها يقول: «إن بيللي أراد أن نعطيه مركزاً في ساحل البحر: أما البحرين أو الدمام أو غيرهما فرفضنا مطلبه».

ـ الوثيقة العربية المحفوظة في المحفظة ١٩ بحر براً ـ تركي رقم ٢ دار الوثائق القومية بالقاهرة)[(١)] ـ

وتحدث عن التنفس الإنجليزي الفرنسي الذي اتخذ شكل تنافس اقتصادي سياسي بين الشركات التجارية الأوروبية في الشرق، متمثلاً في شركة الهند الشرقية الإنجليزية وشركة الهند الشرقية الفرنسية وشركة الهند الشرقية الهولندية.

وفي نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر الميلاديين أصبحت حكومة فرنسا بحاجة ماسة وملحة إلى إيجاد قواعد فرنسية في منطقة الشرق لتكون بمثابة مراكز استطلاعية ضد الإنجليز في الهند.

وكانت فرنسا تريد أولاً السيطرة على الأقطار التي كانت تابعة للدولة العثمانية المتداعية في البحر المتوسط، ثم الوصول إلى البحار الداخلية لجزيرة العرب، ثم الوصول إلى الهند، أكبر المستعمرات الإنجليزية في الشرق.

وقد زاد التنافس بين الإنجليز والفرنسيين بسبب الروابط التي كانت قائمة بين مسقط وبين المستعمرتين الفرنسيتين في المحيط الهادي وهما: موريشيوس وبوربون.

---

(١) نشر هذا التعليق في مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ـ العدد السادس.

الملحــق رقــم (١)

الرياض عبر أطوار التاريخ
وكيف أصبحت أجمل مدن العالم
في عهد أميرها العظيم



صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز، أمير الرياض.

اسم الرياض وموقعها

الريـاض فـي اللغـة:

الرياض، جمع روضة. وجاء في لسان العرب:

الروضة: الأرض ذات الخضرة، والبستان الحسن، والموضع يجتمع إليه الماء، يكثر نبته.

وقيل: الروضة قاع فيه جراثيم ورواب سهلة صغار، في سرار من الأرض، يستنقع فيها الماء، وأصغر الرياض مائة ذراع.

قال أبو منصور: رياض الصمان والحزن في البادية، أماكن مطمئنة مستوية، تستريض فيها ماء السماء، فتنبت ضروباً من العشب ولا يسرع إليها الهيج والذبول.. فإذا كانت الرياض في أعالي البراق والقفاف، فهي «السليقان» واحدها سلق.

وإذا كانت الوطاءات، فهي رياض، ورب روضة فيها حرجات من السدر البري.

الرياض في معجم البلدان:

لم يرد اسم الرياض في كتب التاريخ والجغرافية القديمة. وأما (معجم البلدان) لياقوت، فيذكر لنا أسماء أكثر من مائة روضة، بصيغة المفرد، مضافة إلى أسماء أو صفات تخصصها وتنقلها إلى العلمية.

وسمّى ياقوت منها، في إقليم اليمامة:

روضة الإشاءة، روضة البلاليق، روضة بلبول، روضة الجوالقية، روضة السخال، روضة الشقوق، روضة ابن صعفوق، روضة ضاحك، روضة غسل، روضة الفقي، روضة الفورة، روضة السلي وروضة القميعة.



كانت منطقة الرياض بحراً . . ثم أخذ البحر ينحسر عنها تدريجياً . . وتظهر اليابسة .



ثم انحسر البحر تماماً . . وظهرت الصحارى أو الواحات وكان يشرف عليها جبل طويق .



وفي عصر عريق في القدم كانت الرياض ، ومثلها جزيرة العرب كلها . . بساتين تموج بالخضرة والزهر والشجر المثمر .

أعجوبة تشاهد في أحضان الصخور . . وكأنها تنبت في صدرها ، وإن كانت جذورها تمتد في أعماق الأرض . . وهي (الحَلَمة) أو (الغبشة) .



ومثل الحَلَمة ، أزاهير تعانق الصخور ، يسمونها في نجد «النقد» و «الربد» . . وفي الكتب تسمى ـ«الربول» ! .



ومن الأزاهير التي تنبت في الوديان القريبة من الرياض وتتميز بألوانها الفاتنة . . أزهار يسمونها «الكحيل»!



زهرة ينفع منقوعها في علاج التهاب المفاصل ، ما أجملها ويسمونها «الشفلح» .



نقوش ثمودية ـ نجدية في جبل برمة .



نقوش ثمودية في جبل برمة تعود إلى القرن الرابع أو الخامس قبل الميلاد .

الملحـق رقـم (٢)

إحياء لذكرى الإمام تركي بن عبد الله

إعادة بناء قصر الحكم في موقعه الحالي وبجسوره التي كانت تربطه بالجامع الكبير

نشرت جريدة «الشرق الأوسط» دراسة إضافية عن الجهد الكبير الذي يبذل في إعادة بناء القسم التاريخي من مدينة الرياض على ما كان عليه، وهذا نصه:

في بادرة هي الأولى من نوعها يتم بناء (مدينة الرياض القديمة) على ما كانت عليه في القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين، وخاصة المواقع الأثرية التي شهدت أحداثاً تاريخية مهمة ترتبط بمؤسس الدولة السعودية الثالثة الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله، وسيعاد البناء على نفس المواقع وبنفس لون تربة الرياض.

وهذه البادرة تم الانتهاء من تنفيذ مرحلتها الأولى وهي مبنى الإمارة والأمانة والشرطة. وبدأ العمل الآن في تنفيذ المرحلة الثانية التي تتمثل في إعادة بناء قصر الحكم والمسجد الجامع الكبير وساحة العدل بالصفاء والأسواق.

من هنا كان قرار الإبقاء على الرياض القديمة بإعادة بنائها على أسس معمارية حديثة بنفس الطابع التقليدي للمدينة القديمة قراراً يوحي بأكثر من معنى بحيث يجسد الرياض في هذه الحقبة التاريخية لتبقى ماثلة في ذاكرة الأجيال، ولتظل شاهدة على عظمة قيادة وشعب رفع راية لا إله إلا الله وانتصر لعميق إيمانه رغم قلة إمكانياته.

تحفة حديثة بعبق الماضي:

بعد ثلاث سنوات من الآن وعند انتهاء المرحلة الثانية من تطوير منطقة قصر الحكم سيكون هناك بمشيئة الله لوحة معمارية رائعة أخذت من فنون التقنية الحديثة

بنفس مميزات الطراز المعماري القديم ذي اللون الطيني الذي تميزت به بيئة الرياض . . سيدخل الناس من بوابات «دراويز» الرياض القديمة المبنية على أجزء من سورها التاريخي . . سيجدون قلب المدينة كما كان قبل قرن من الزمان: قصر الحكم الذي بناه الإمام تركي بن عبد الله ـ الجامع الكبير ـ والجسور التي تربط قصر الحكم بالجامع ـ مركز (المعيقلية) التجارية ـ الأسواق التجارية ثلاث ساحات رئيسية بين قصر الحكم وساحة العدل بالصفاة والمصمك بالإضافة إلى مباني الإمارة والأمانة والشرطة وأسواق «المقيبرة» و «أوشقير» و «السدرة» ومجمع المحاكم وسوق الصيارفة ومسجد الشيخ بدخنة . . هذه التحفة الحديثة والتي ستحمل عبق الماضي بدأ التفكير فيها عام ١٣٨٨ هـ، وصدر قرار عام ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م بإنشاء مكتب متخصص تابع للهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض للقيام بمهمة تطوير وتنفيذ مشروع تطوير منطقة قصر الحكم بتوجيه من الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض ورئيس الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض .

وسنتناول هذه الرموز التراثية لنعيد للذاكرة حركة التاريخ الذي سيكون مجسداً أمامنا كما كان في الواقع قبل ١٠٠ عام أو تزيد .

اسم على مسمى :

دلت الدراسات الأثرية والتاريخية على أن مدينة الرياض الحالية تقوم على مكان مدينة (حجر) القديمة، والتي كانت مركز اليمامة، والتي وصفها ابن بطوطة بأنها كانت مدينة كبيرة واسعة الأرجاء كثيرة المباني تحيط بها الحدائق والمزارع وتكثر بها المياه والعيون .

وقد قال الهمذاني في كتاب صفة جزيرة العرب «الخضراء خضراء حجر» .

وقد جاءت في شعر وكتابات كثير من الشعراء والكتاب العرب منهم الأعشى وياقوت في «معجم البلدان»، والمهلهل ابن ربيعة الحارثي وجحدر العكلي، والمبرد في «الكامل» وكان الشاعر المشهور ابن عطية الخطفي يقيم في حجر وقد ذكرها كثيراً في شعره .

وقد وزعت هذه المدينة إلى أحياء يتصل بعضها ببعض ثم عادت هذه الأحياء وتجمعت وكونت مدينة الرياض الحالية وكانت إمارة مستقلة قبل قيام الدولة السعودية الأولى . وفي القرن الثاني عشر الهجري أطلق اسم الرياض على المحلات

القديمة من مدينة حجر وهي معكال ومقرن والسعود.

ويقول د. أديب فارس في رسالته للدكتوراه «الرياض وثبة ازدهار في الصحراء العربية»، استناداً على مرجع الشيخ حمد الجاسر «مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ»: ولقد حل اسم الرياض تدريجياً محل اسم «حجر» في القرن الثامن عشر الميلادي. وإن لفظة رياض تعني في الواقع مكاناً تمر فيه السواقي ويغطيه الاخضرار. ويقال إنه كان يوجد بالرياض ٣٠ عيناً أو مزرعة.

السّور والبوابات:

بعد قيام الدولة السعودية الأولى في الدرعية ومناصرتها للدعوة الإصلاحية الدينية التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب قامت الحرب بين دهام بن دواس أمير الرياض والدولة السعودية حيث كان دواس من أشد المعارضين لهذه الدعوة.

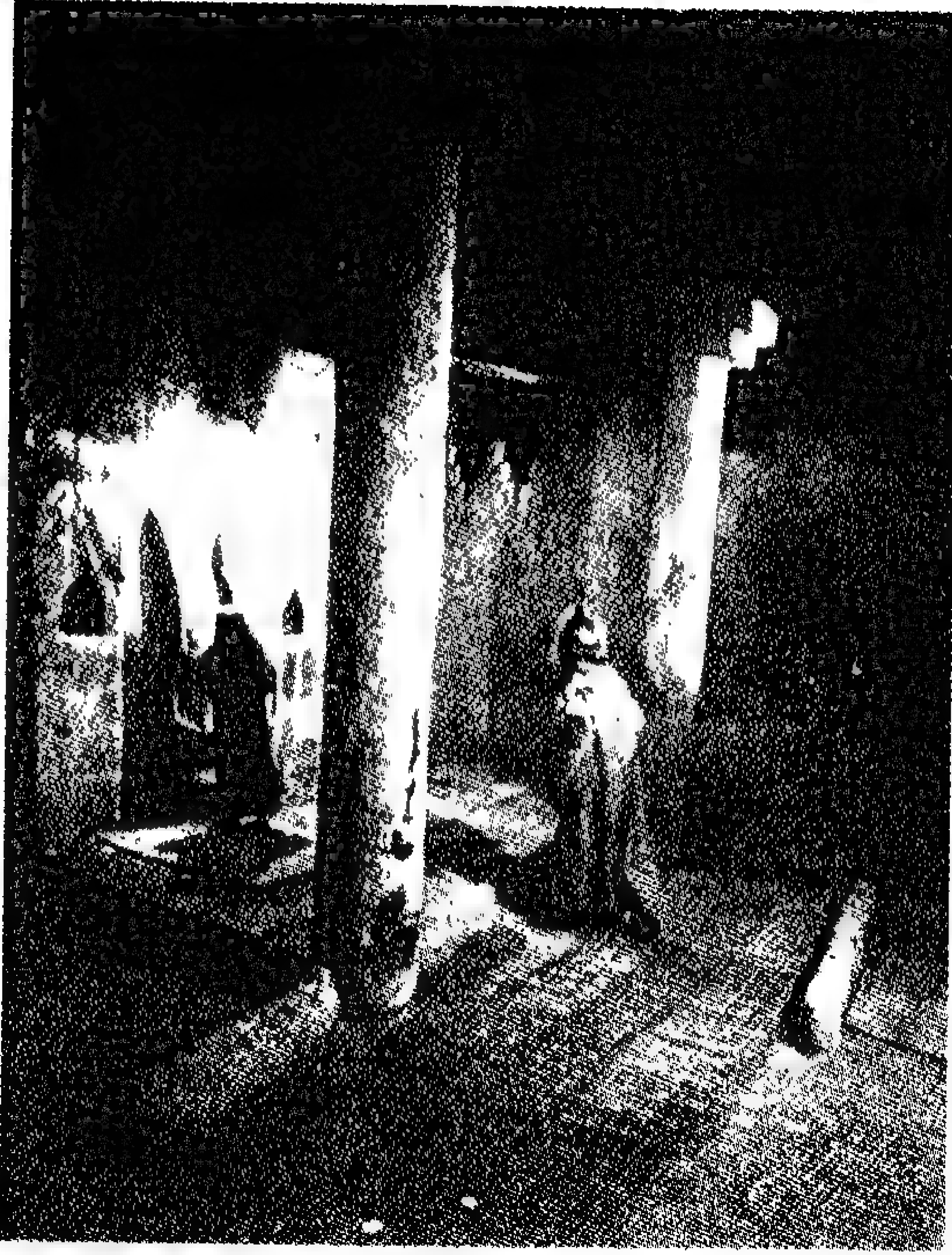
وقد أقام دواس إبان هذه الفترة (حوالي عام ١١١٦ هـ / ١٧٠٤ م) سوراً عظيماً حول تلك المحلات المتناثرة لا تزال آثاره باقية في بعض جهات المدينة، وبنى القصر الذي أصبح فيما بعد قصراً للإمارة والحكم حتى هدمه ابن الرشيد.

ويقول مؤلف معجم مدينة الرياض ـ خالد السليمان ـ يعرف باسم حامي دهام ابن دواس، والحامي من لفظة الحماية وهو سور منيع قوي سميك البناء والترابط. وعند استيلاء الملك عبد العزيز على الرياض مطلع هذا القرن الميلادي كان على السور بوابات (دراويز) من أشهرها بوابة الثميري ودخنة والمريقب والظهيرة.

وقد ظل هذا السور قائماً إلى أن أمر بهدمه الملك عبد العزيز آل سعود لكي تفتح المدينة بعد توسعها وتطورها خارج السور وذلك عام ١٣٦٩ هـ، وسوف يتم إقامة السور والبوابات في مواقعها السابقة الأصلية وبنمطها المعماري التقليدي فيما سيتم تحديد مسار السور على الأرض في المواقع التي يتعذر إعادة بنائه فيها.

توفي الإمام فيصل بن تركي سنة ١٢٨٢ هـ فخلفه ابنه البكر الإمام عبد الله. وأمر ببناء قصر له فخم، عرف فيما بعد باسم «المصمك» أو «المسمك». ولا يزال قائماً حتى اليوم، وهو يعدّ من المباني الأثرية الجليلة، لأن المغفور له الملك عبد العزيز إنما تمّ له الاستيلاء على الرياض بعد أن قتل هو ورجاله، أمير الرياض عجلان، وكان يقيم في ذلك القصر!.

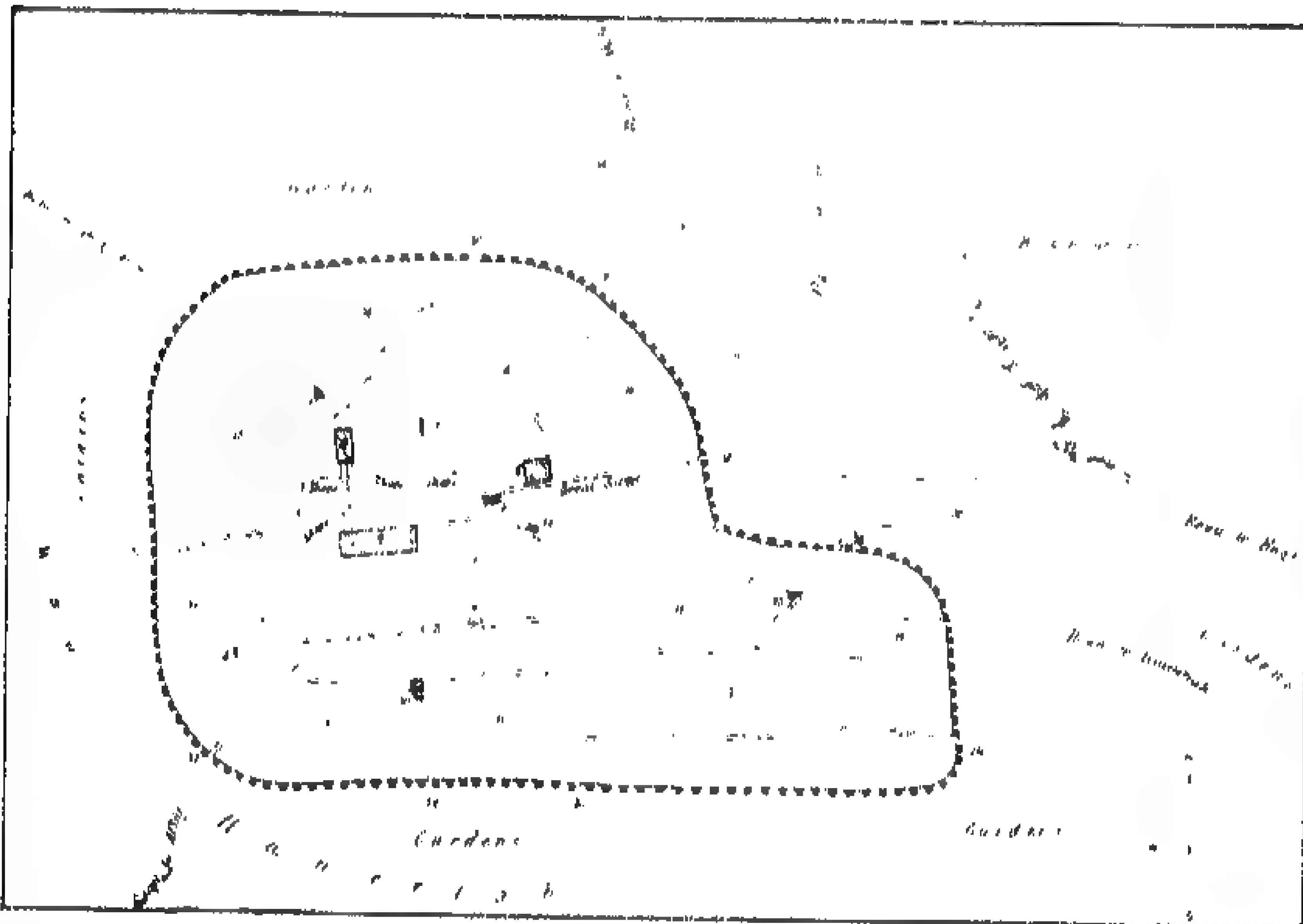
ثم كانت بين الإمام عبد الله وأخيه سعود خلافات انتهت إلى استيلاء ابن رشيد، أمير حائل، على الرياض. واستمرار الفوضى والفتن مما أضر بالرياض كثيراً. معنى ومادة..



مسجد في داخل قلعة المصمك



أحد أبواب المصمك



خريطة الرياض في عهد الإمام فيصل، كما رسمها بلغريف.



نافذة أرضية يطلُّ منها الحارس

«المصمك»

القصر الكبير المشهور في قلب مدينة الرياض قال كثير من المؤرخين إن الذي بناه هو الإمام عبد الله بن فيصل. قال بذلك إبراهيم بن عيسى في «عقد الدرر وكذلك الدكتور منير العجلاني وإبراهيم بن خميس والشيخ حمد الجاسر والشيخ عبد الله بن خميس. ويقول «معجم مدينة الرياض» لمؤلفه خالد السليمان: لكن الصحيح الذي لا جدال فيه أن الذي بنى المصمك هو ابن نعام لأوامر محمد بن عبد الله بن رشيد. وقد شهد المصمك أروع ملحمة قتالية بارعة نفذها البطل المغوار الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن فاتحاً الرياض. وقد وصف الشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن آل خميس المصمك قائلاً: هذه الدار الحصينة المحكمة الإغلاق من جميع جوانبها فلم يكن بجدرانها العالية لا نوافذ ولا شبابيك ولا فتحات اللهم إلا منافذ صغيرة تنفذ منها فوهات البنادق ومدخل واحد في جانبها الغربي وقد بقي المصمك بهيكله الطبيعي دون تغير أو تبدل[1].

وفي المشروع الجديد لقصر الحكم سيربط المصمك بساحة أمامه مرتبطة بساحة العدل وساحة الإمام محمد بن سعود، وترتبط هذه الساحات ببعضها ارتباطاً بصرياً وعضوياً بممرات مشجرة صممت بحيث تبرز السمات المميزة لكل ساحة.

وتمثل ساحة العدل الميدان الرئيسي للمدينة حيث يطل عليها المسجد الجامع وقصر الحكم وبعض المباني الحكومية والتجارية. وتتوسط هذه الساحة نافورة ضخمة مستطيلة الشكل، فيما ستقام ساحة الإمام محمد بن سعود في موقع سوق السدرة سابقاً، وستحتوي على ١٠٠ شجرة من أشجار السدر الكبيرة بالإضافة إلى

(١) لا نعرف سبباً مقبولاً للإصرار على الادعاء بأن باني المصمك هو ابن نعام.. وما الذي يمنع أن يكون ابن نعام قد جدد بناءه أو عدل فيه، ولماذا تكون روايته هي الصحيحة؟.

الأشجار والزهور والنوافير والمقاعدة المظللة وساحة المصمك مصممة بحيث تبرز مكانته التاريخية بها أشجار وأماكن للجلوس وستكون مكاناً لإقامة المناسبات الثقافية والاحتفالات والعروض الشعبية .

أسـواق لها تاريـخ :

كان بالرياض القديمة أسواق بلغت شهرتها الآفاق وكانت بالفعل مراكز تجارية مهمة . فهناك أسواق الديرة التي نفذت بالفعل وتحتوي على ٤٠٠ دكان على هيئة الأسواق الشعبية وبها قسم لسوق الخضار لإبقاء سوق المقيبرة للخضار كعنصر تتميز به المنطقة وجزء آخر للعطور التقليدية والنعال ، وقسم آخر يحتوي على دكاكين للصيارفة .

وهناك أسواق المعيقلية المطورة والثميري وستكون كل تصاميمها متمشية مع الطابع المعماري الذي ستكون عليه المنطقة والذي يحمل ملامح الرياض القديمة كما سيقام سوق أوشيقر ويقع غرب الجامع . وسمي السوق بهذا الاسم نسبة لأصحاب هذه المحلات وجميعهم من بلدة أوشيقر . وهناك أيضاً سوق الحاوية ويعود في تسميته لأهالي الأحساء الذين برعوا في خياطة وبيع الثياب . وسوق الجفرة وقيصرية البلدية وقد بنته البلدية (الأمانة) عام ١٣٧٧ هـ لتكون مقراً لسوق الصرافة .

إن كل مباني الرياض القديمة ستعود بنفس لونها وطرازها المعماري في عصره الذهبي على أسس تقنية معمارية حديثة مما يعطي زخماً تاريخياً سيظل عبيره قائماً ما زالت هذه الصروح الحضارية قائمة بإذن الله تعالى .

إحصاء البلدان والقرى والبدو وعدد النفوس

المنطقة	عدد البلدان والقرى	عدد النفوس	عدد المجندين
العارض	١٥	١١٠٠٠٠	٦٠٠٠
اليمامة	٣٢	١٤٠٠٠٠	٤٥٠٠
الحريق	١٦	٤٥٠٠٠	٣٠٠٠
الأفلاج	١٢	١٠٠٠٠	١٢٠٠
وادي الدواسر	٥٠	١٠٠٠٠٠	٤٠٠٠
سليل		٣٠٠٠٠	١٤٠٠
الوشم	٢٠	٨٠٠٠٠	٤٠٠٠
سدير	٢٥	١٤٠٠٠	٥٢٠٠
القصيم	٦٠	٣٠٠٠٠٠	١١٠٠٠
الحساء	٥٠	١٦٠٠٠٠	٧٠٠٠
القطيف	٢٢	١٠٠٠٠٠٠	لا تعطي جنوداً

البـدو

القبيلة	العدد
العجمان	٦٠٠٠
بنو هاجر	٤٥٠٠
بنو خالد	٣٠٠٠
مطير	٦٠٠٠
عتيبة	١٢٠٠٠
دواسر	٥٠٠٠
سبيع	٣٠٠٠
قحطان	٦٠٠٠
حرب	١٤٠٠٠
عنزة	٣٠٠٠
آل مره	٤٠٠٠
جماعات متبعثرة	١٠٠٠٠
المجموع	٧٦٥٠٠

ملحوظـة: يقدر عدد الجنود بعُشْر السكان، ويقدر عدد سكان كل خيمة بخمسة أشخاص.

وفي كتاب تاريخ العرب الحديث لغرايبه كلمات عن ديرة كل من حرب وعتيبة وقحطان وهذا ما جاء فيه:

«حرب هي مجموعة قبلية أكثرها عدناني، تمتد ديرتهم من جنوبي ينبع إلى القنفذة، على محاذاة الساحل، وتمتد شرقاً داخل نجد حتى تقترب من القصيم، لذا فإن بعض حرب يعتبر نجدياً.

أما عتيبة فأكثرها نجدي، وهي أكبر قبيلة عربية، بعد عنزة.

وتمتد ديرة عتيبة من سفوح جبال الحجاز الشرقية إلى الحرار، بين درب الحج إلى نجد وإلى ديرة قحطان وسبيع.

وتعتبر (قحطان) أقدم القبائل العربية وأكثرها محافظة على عاداتها.

وتمتد ديرتها ما بين نجران وعسير وجنوبي نجد، ولا يسكن أطراف الحجاز منها إلا القليل، إلا أنها لعبت دوراً رئيسياً في العلاقات الحجازية السعودية!

الرياض في عهد عبد العزيز



صاحب الجلالة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود، مؤسس المملكة العربية السعودية

فتح الرياض في زمن الملك عبد العزيز

كان الانطلاقة المباركة إلى التحرير والتوحيد
وإنشاء المملكة العربية السعودية . .

الرياض في عهد الملك عبد العزيز:

في سنة ١٣١٩ هـ ١٩٠٢ م استولى المغفور له الملك عبد العزيز على مدينة الرياض، عاصمة آبائه وأجداده، في مغامرة بطولية خارقة، ما زال الناس يتحدثون عنها بإعجاب وإكبار.

وقد بقيت الرياض على حالها، في أوائل عهد الملك البطل، لأنه كان منصرفاً إلى تحرير البلاد، في نجد وما وراء نجد.

وكان أول عمل قام به: إعادة بناء سور المدينة، الذي هدمه ابن رشيد.

ويقول فيلبي: إن سور الرياض كانت له تسعة أبواب، تؤدي إلى البساتين المجاورة وإلى الخارج، وأهمها: بوابات الثميري، والظهيري، ودخنة، والمريقيب، والشميسي، والبديعة.

وكان السور مصنوعاً من الطين، وكان حجمه سميكاً، ويبلغ ارتفاعه قرابة خمسين قدماً، وعلى السور أبراج أعدَّت لحماية البلدة من الغزوات والغارات.

ويقول حافظ وهبه، في كتابه «جزيرة العرب»:

عمرت الرياض وكثرت مبانيها وسكانها في أيام الإمام فيصل، جد الملك عبد العزيز، ثم أهمل أمرها، بعد جلاء سعود عنها.

وقد استردت الرياض مكانتها واشتهر أمرها وأصبحت كعبة العرب ومقصد الوافدين من جميع أنحاء العربية، بعد أن ساد الملك عبد العزيز نجداً كلها وقضى على منافسيه فيها.

. . . وكانت أكثر مباني الرياض من الطين أو «اللبن» وهي قليلة النوافذ على

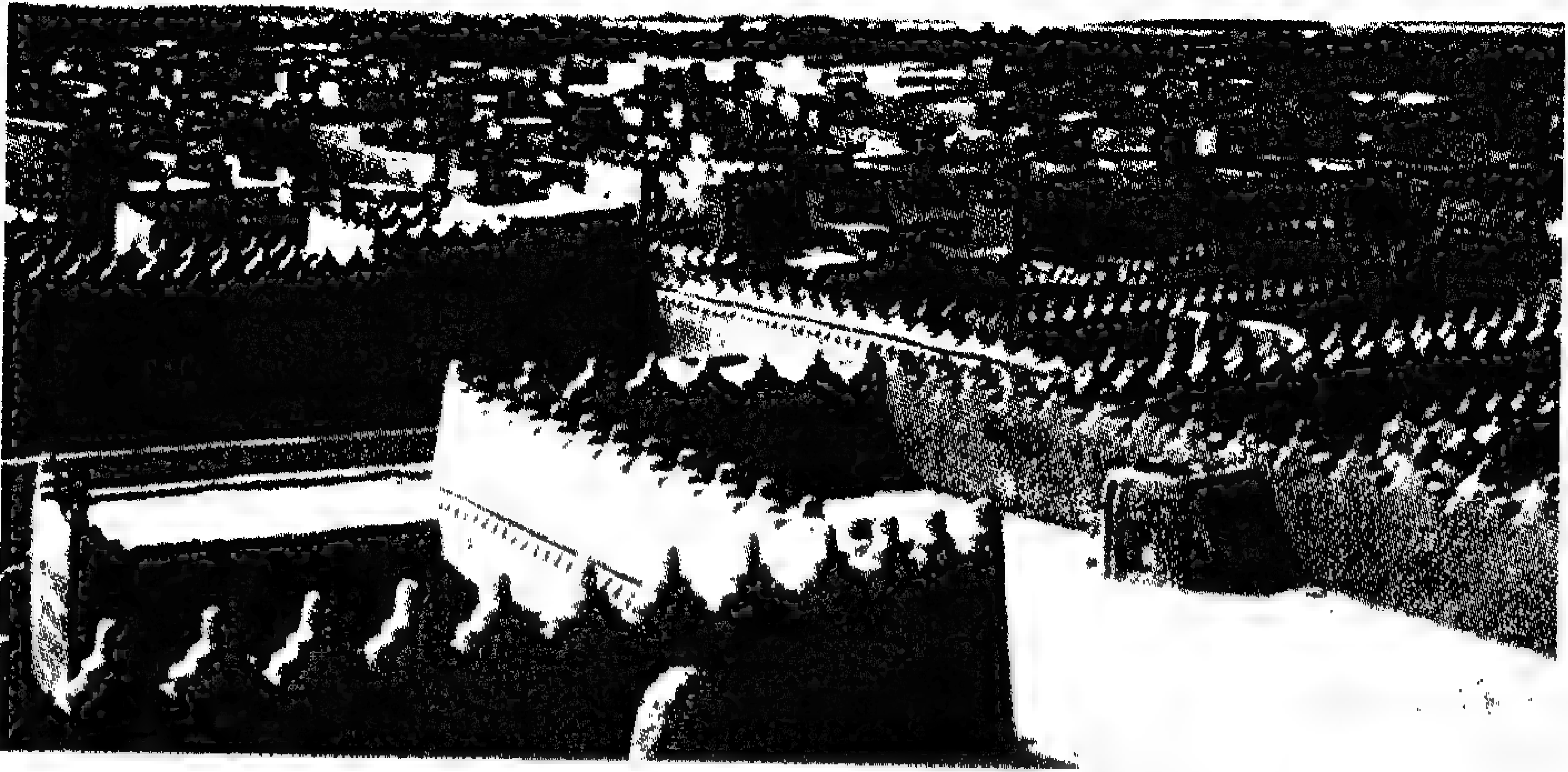
الطريق العام، فإن ذلك معدود من العيوب في البلاد العربية.

وكان قصر الملك ومنازل العائلة الحاكمة يشغل قسماً عظيماً من المساحة، وهي تشبه في بنائها قصور القرون الوسطى من جهة السعة وإقامة الأبراج عليها.

وبعد ضم الحجاز وإعلان إنشاء «المملكة العربية السعودية»، بدأ البناء خارج السور القديم، وكان قصر «المربع»، الذي بناه الملك عبد العزيز وانتقل إليه، انطلاقة العمران والتوسع.

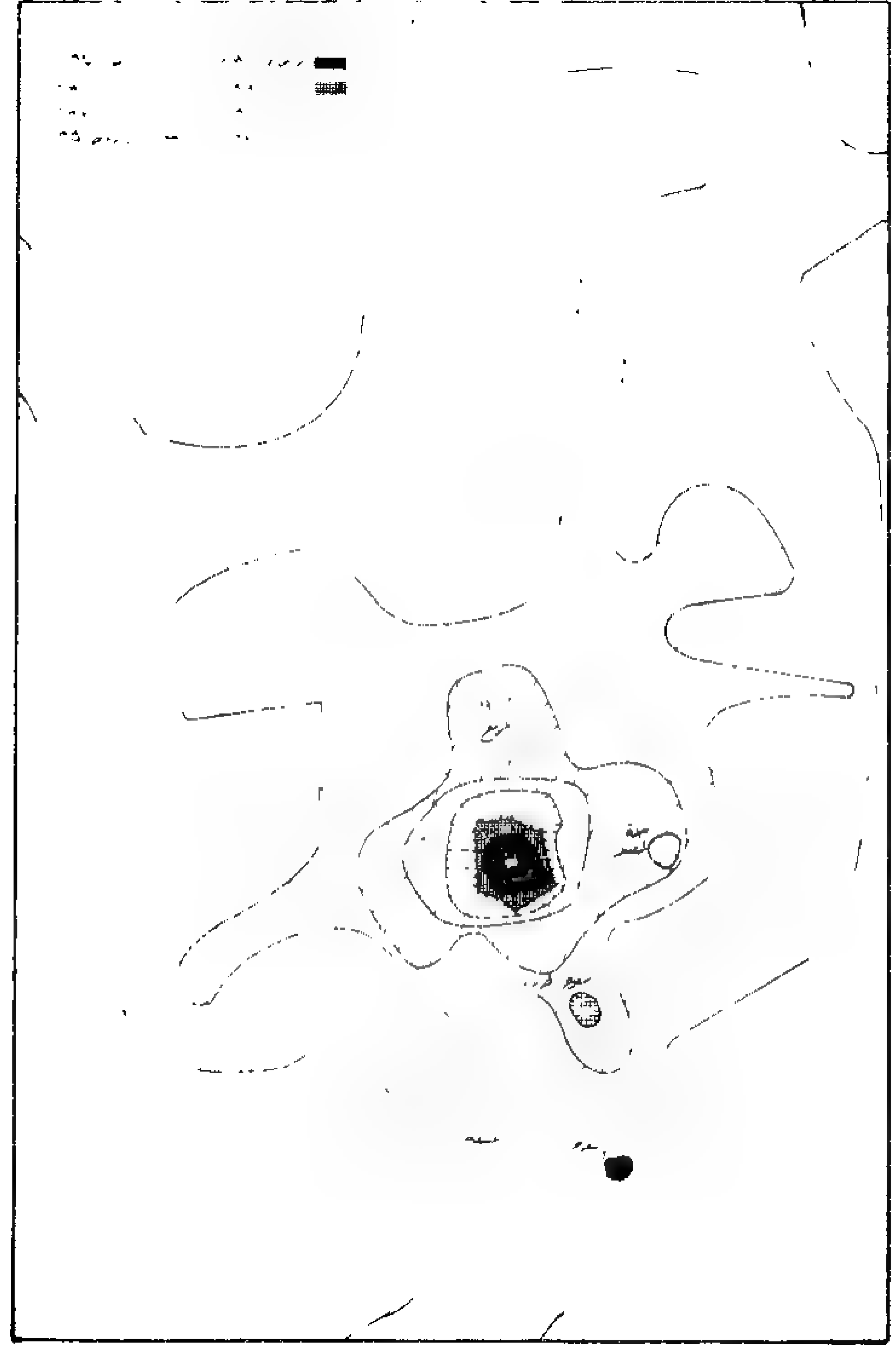
ويقول المرحوم خير الدين الزركلي:

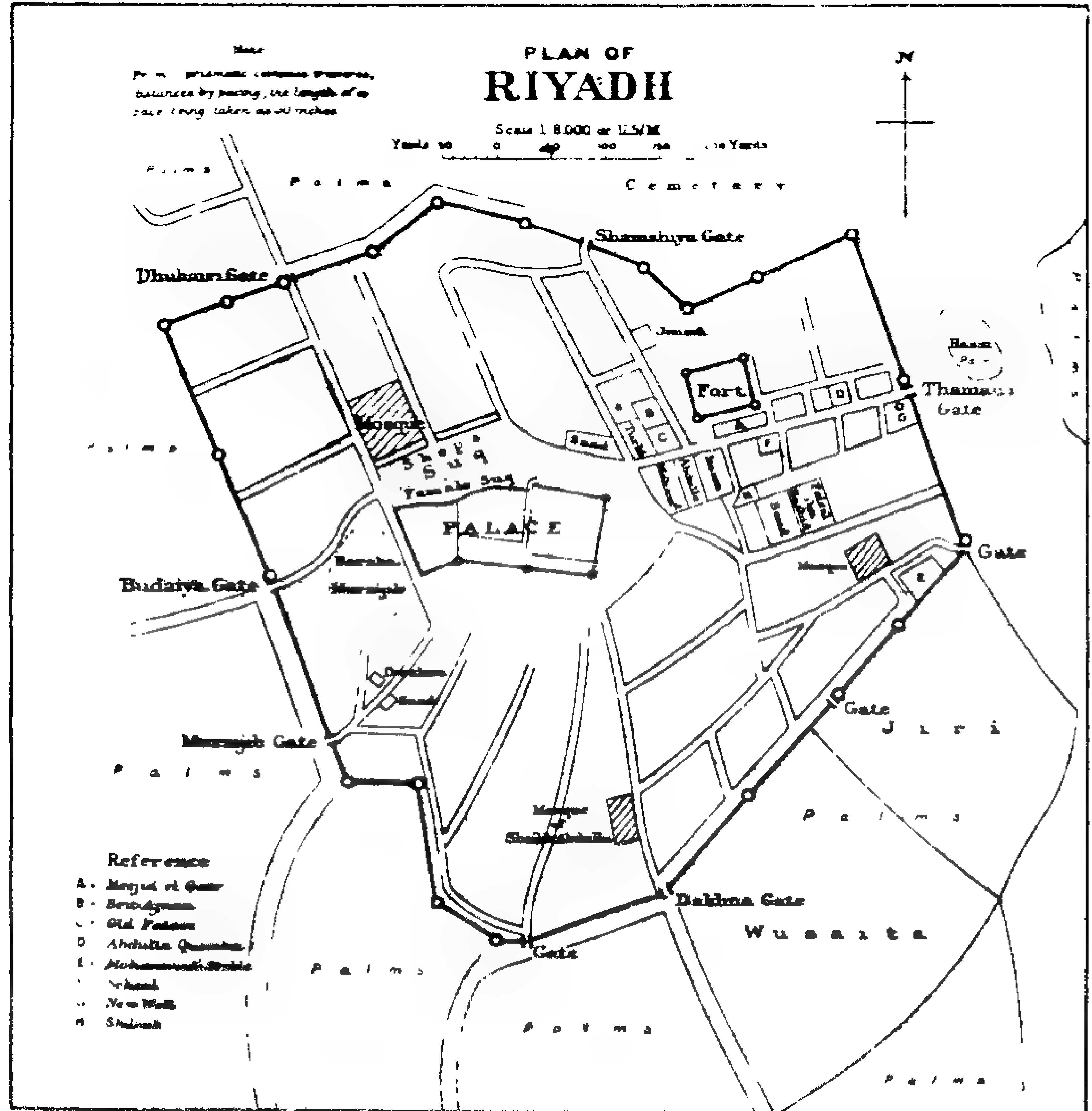
كانت الرياض.. مبنية بالآجر النيء والطين، وذهب عصر اللبن والطين، وقام العمران الحديث على دعائم الحديد والصخر والإسمنت، فبدأت تظهر في الرياض، بأواخر عهد عبد العزيز، تباشير القصور والدور، وأخذت الرياض الجديدة، في مباعدة ما بينها وبين طرازها المعماري السالف، إلا ما هو مألوف في أكثر البلاد الإسلامية من إقامة الجدران حول المنازل.. وتزين مبانيها حدائق أحسن تنسيقها وفي بعضها أحواض للسباحة وملاعب للرياضة.



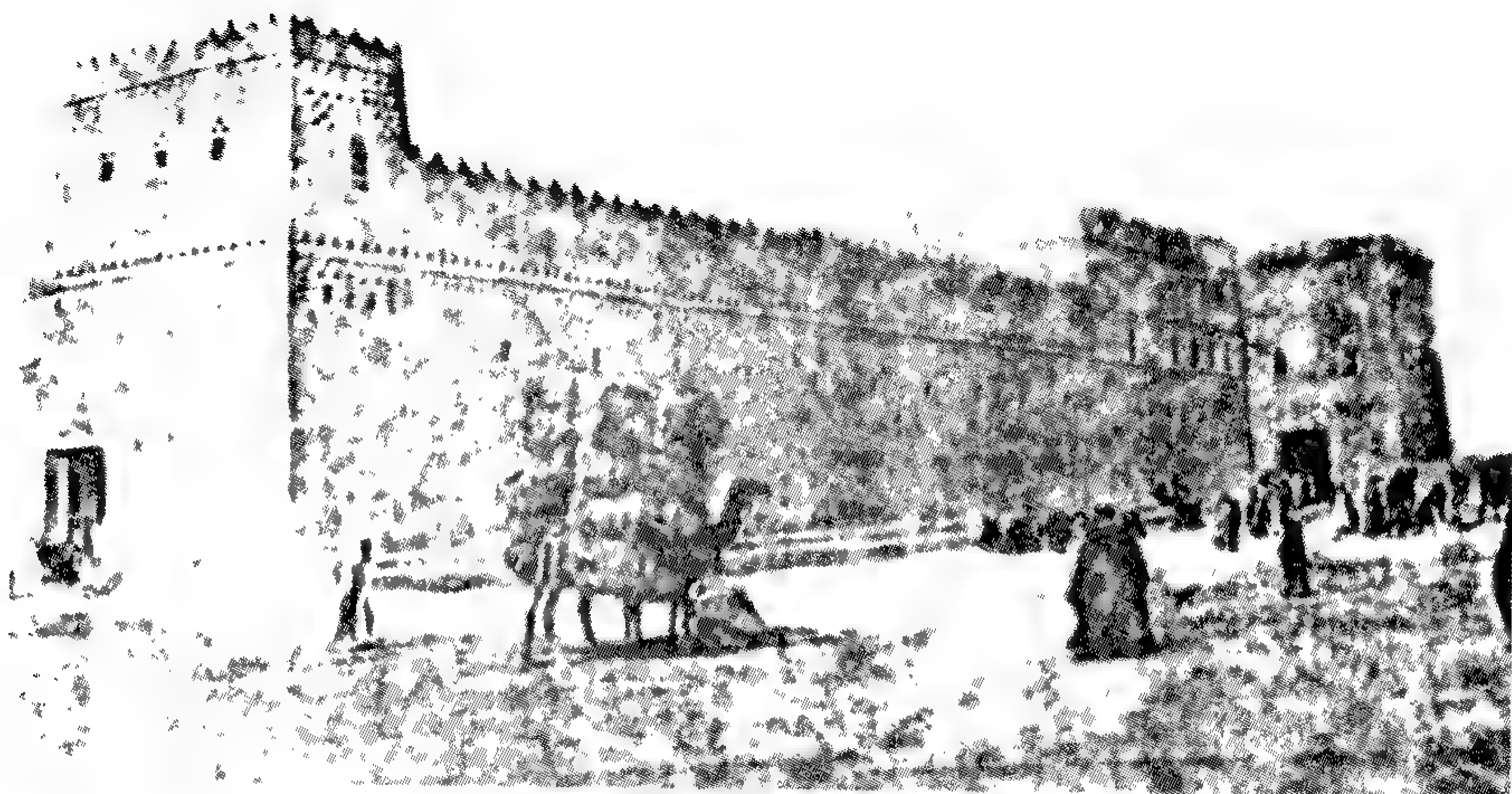
منظر الرياض عام ١٩٥٠ م

خريطة مأخوذة من كتاب «جغرافية مدينة الرياض» ترينا: في البقعة السوداء الدائرية حجم مدينة الرياض سنة ١٨٦٢ م في أواخر عهد الإمام فيصل بن تركي، وكم كنت صغيرة... وكيف توسعت، ابتداء من عهد الملك عبد العزيز، بعد اختراقها السور، ليصبح شكلها «عرضنياً» «طولياً».. بعد أن كان أقرب إلى التربيع.. وكم كبرت؟ ومن يدري أين تقف؟

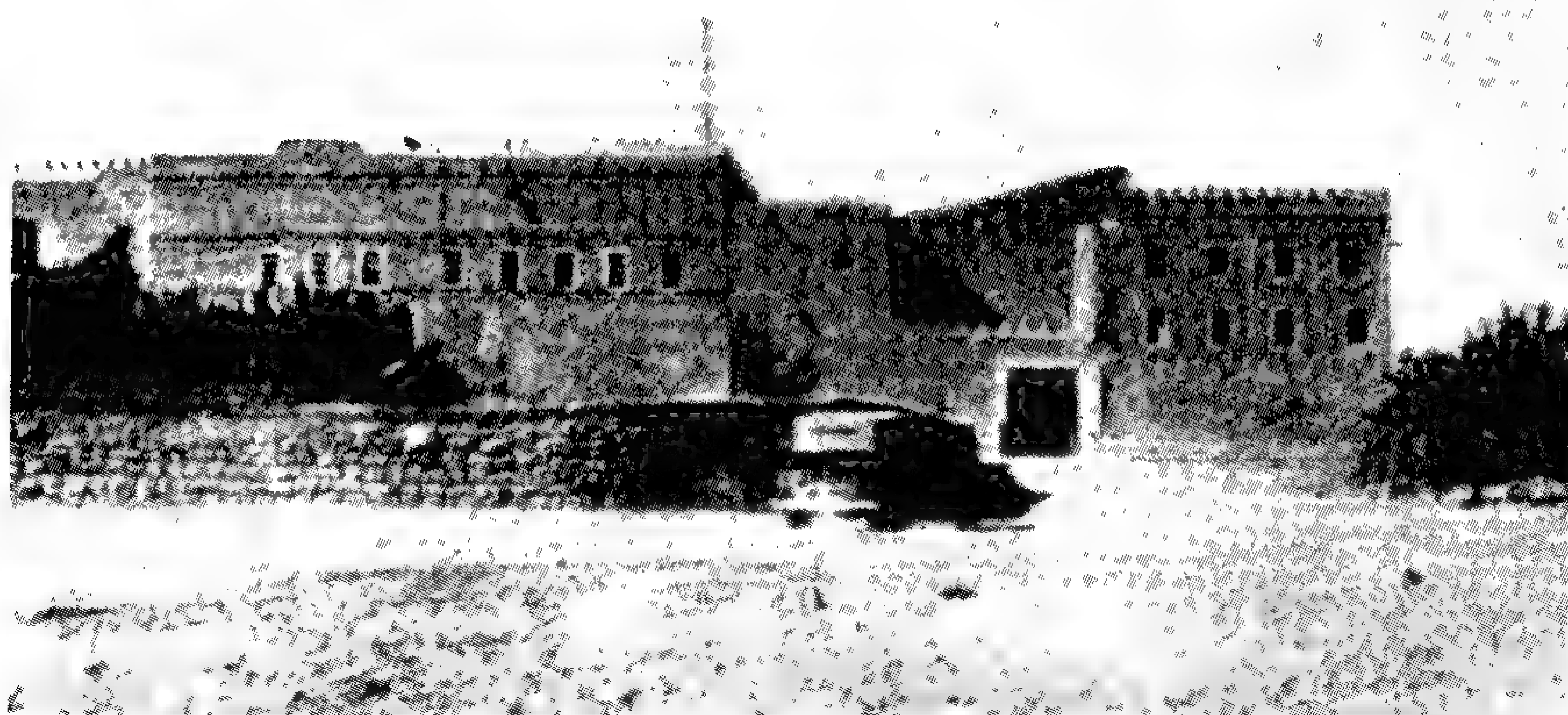


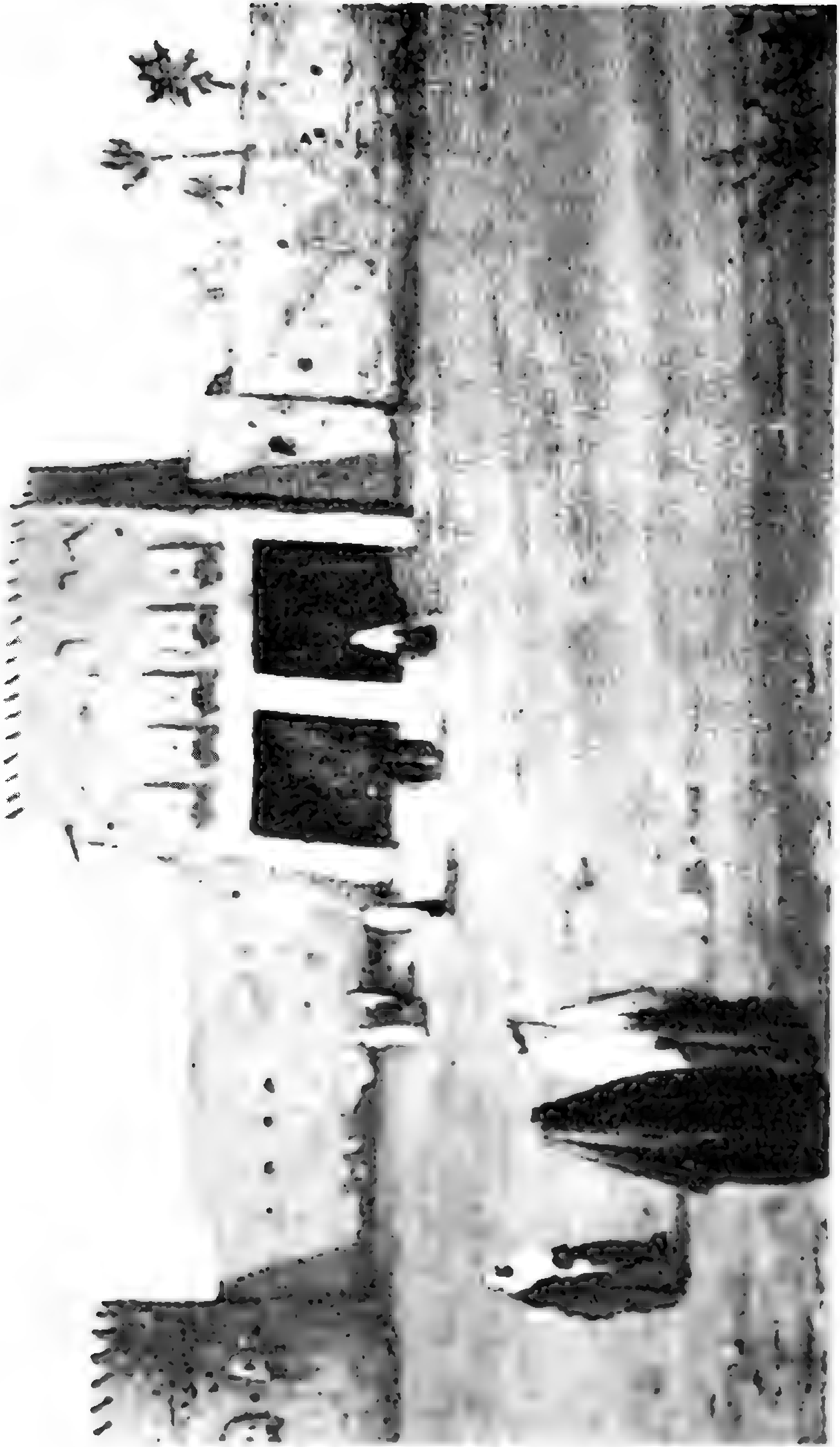


خريطة الرياض في أوائل عهد الملك عبد العزيز كما رسمها فيلبي سنة ١٩٢٢ هـ


قصر المربع في الرياض


جانب من قصر المربع في الداخل


قصر البديعة، صورة أخذت سنة ١٩٣٥ م



أحد أبواب مدينة الرياض في أوائل عهد الملك عبد العزيز

قصر الحكم

يقول الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض: قصر الحكم كان المقر الذي سكنه الملك عبد العزيز رحمه الله، وسيظل محتفظاً بدوره السياسي الأساسي كمقر للحكم حيث بدأت منه الدولة السعودية الثانية بقيادة الإمام تركي بن عبد الله.

وسيتم إعادة بناء هذا القصر في نفس موقعه وبجسوره التي كانت تربطه بالجامع الكبير على مساحة ١١٣٥٠ متراً مربعاً وسيتكون من ثلاثة أدوار.. الأرضي يشتمل على مكاتب وقاعات وصالات للطعام للاستعمال في المناسبات الرسمية. والدور الأول سيكون به مكتب للملك لاستقبال المواطنين في المناسبات ومكتب لأمير منطقة الرياض ومجلس الأمير وجناح خاص ومختصر وقاعة اجتماعات ومكتب لنائب أمير منطقة الرياض وصالات اجتماعات ومحاضرات.

ويعود تأسيس قصر الحكم للإمام تركي بن عبد الله مؤسس الدولة السعودية الثانية والجد الثاني للملك عبد العزيز آل سعود. وقد سكن الإمام تركي القصر طيلة فترة حكمه إلى أن توفي عام ١٢٤٩ هـ، وسكنه بعده الإمام فيصل بن تركي حتى وفاته عام ١٢٨٢ هـ، ثم حدثت أحداث يحفظها التاريخ إلى أن قيض الله النجاح لمؤسس الدولة السعودية الثالثة الملك عبد العزيز استرجاع الرياض وملك آبائه في ٥ شوال عام ١٣١٩ هـ/١٩٠٢ م. وبعد أن استقر الوضع سكن قصر الحكم بعد أن أصلح فيه ـ رحمه الله ـ ما يجب إصلاحه. ثم بدأ في زيادة بنائه على فترات حتى صار قصراً كبيراً وواسعاً، وبنى حوله قصوراً كثيرة لعائلته، وبنى قصراً كبيراً أمام قصر الحكم في الشمال بالإضافة إلى قربه من القصر الذي كان الإمام يحكم فيه.

وقد أصبح هذا الجامع من أكبر وأهم المساجد بالرياض. وكان يغص بحلقات الذكر والعلم ليل نهار، وكان يمتلىء بالمصلين في أيام الجمع والمناسبات. وقد عين الإمام عبد الله بن فيصل الشيخ محمد بن إبراهيم بن محمود ـ وهو من مشاهير

علماء نجد - إماماً للناس في الجامع الكبير. وبعد أن تولى الملك عبد العزيز الحكم اهتم بشؤون الجامع.

ويذكر أن الملك عبد العزيز عرض ولاية المسلمين على والده الإمام عبد الرحمن لكنه رفضها بعد أن جمع العلماء والوجهاء وعامة الناس في الجامع الكبير وأعلن رحمه الله أنه بايع ابنه عبد العزيز إماماً على نجد على كتب الله وسنة رسوله. ومن هنا أصبح للجامع أهمية كبرى فكان ملتقى جميع أفراد الأمة لأداء صلاة الجمعة والالتقاء بالإمام والتشاور معه. ومن أشهر المؤذنين بالجامع الشيخ سلطان بن فهد ابن سلطان والشيخ ابن ماجد. وتولى الإمامة فيه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف والشيخ عمر بن عبد اللطيف، ثم الشيخ سعد بن عتيق والشيخ إبراهيم بن سليمان المبارك، والشيخ محمد بن إبراهيم.

ولما تولى الملك سعود الحكم أمر - رحمه الله - بتوسعته، وكذلك تمت التوسعة الثانية للمسجد في عهد الملك خالد رحمه الله. ويؤم الناس في هذا المسجد حتى قبل هدمه أخيراً الشيخ عبد العزيز بن باز.

حركة العمران.. مستمرة

يقول الدكتور عبد الرحمن الشريف في كتابه: «جغرافية مدينة الرياض»:

استمرت حركة امتداد العمران بقوة. . وامتازت هذه الفترة بالتوسع خارج الأسوار. .

وأول ما بُني خارج الأسوار: قصر المربع، وهو مستطيل الشكل تبلغ أبعاد أسواره (٤٠٠,٣٠٠ م) وقد أحيط القصر بأبراج مربعة الشكل، اتخذه الملك في البداية مقراً لسكناه سنة ١٩٣٨ م، ثم أصبح فيما بعد مقراً للحكم.

. . وفي هذه الفترة بنى مماليك عبد العزيز محلة خاصة بهم على ضفاف وادي البطحاء عرفت باسم «حلة العبيد».

وظهرت منطقة سكنية منعزلة إلى الغرب من طريق الحجاز سميت باسم «العتيقة».

. . وتمت إزالة الأسوار في عام ١٩٥٠ م، وبدأت المرحلة الثالثة والأخيرة من تطور مدينة الرياض.

ولم يقتصر التطور. . على التوسع والامتداد، بل شمل تغيير طراز البناء ومواده. . وحلت مشكلة الماء، ونقلت الوزارات ورئاسة الدوائر الحكومية من مدينة جدة إلى الرياض، وأنشئت طرق مواصلات حديثة.

. . وقد رافق ذلك، أو مهد له، إصدار الملك عبد العزيز أمره بشراء مولدات كهرباء ضخمة من أمريكا، فهو، رحمه الله وطيب ثراه، أول من أدخل الكهرباء إلى مدينة الرياض وكان ذلك في سنة ١٩٤٨ م.

سكة الحديد:

وفي عام ١٩٥٠ م، افتتح جلالته مشروع السكة الحديدية التي تسير بين الرياض والدمام، مجتازة في طريقها الطويل الذي يزيد على خمسمائة كيلومتر بقرى وبلدان كثيرة، منها: الخرج والهفوف.

ولم يقدر لهذه السكة كبير نجاح، ولا عمَّ استعمالها في المملكة وإنما أصبحت وسائل النقل والانتقال الأثير: الطائرات والسيارات.

موقع الرياض ومناخها

تقع الرياض على خط عرض ٢٤,٣٨ وخط طول ٤٦,٤٣.

فهي متوسطة بين مناطق المملكة وبين بلاد الجزيرة العربية .

مناخ الرياض:

الرياض بعيدة عن البحار ولا توجد فيها بحيرات ولا أنهار . .

وتحيط بها مساحات رملية واسعة ، وارتفاعها قليل ما بين ٥٠٠ م و ٩٠٠ م يؤدي إلى ظهور فوارق محلية في صفات الطقس (بين حي وحي) ولكنها في النتيجة لا يؤبه لها .

شهر يناير أقل أشهر السنة حراً ، معدل حرارته (١٤) درجة ، وأدناها درجتان

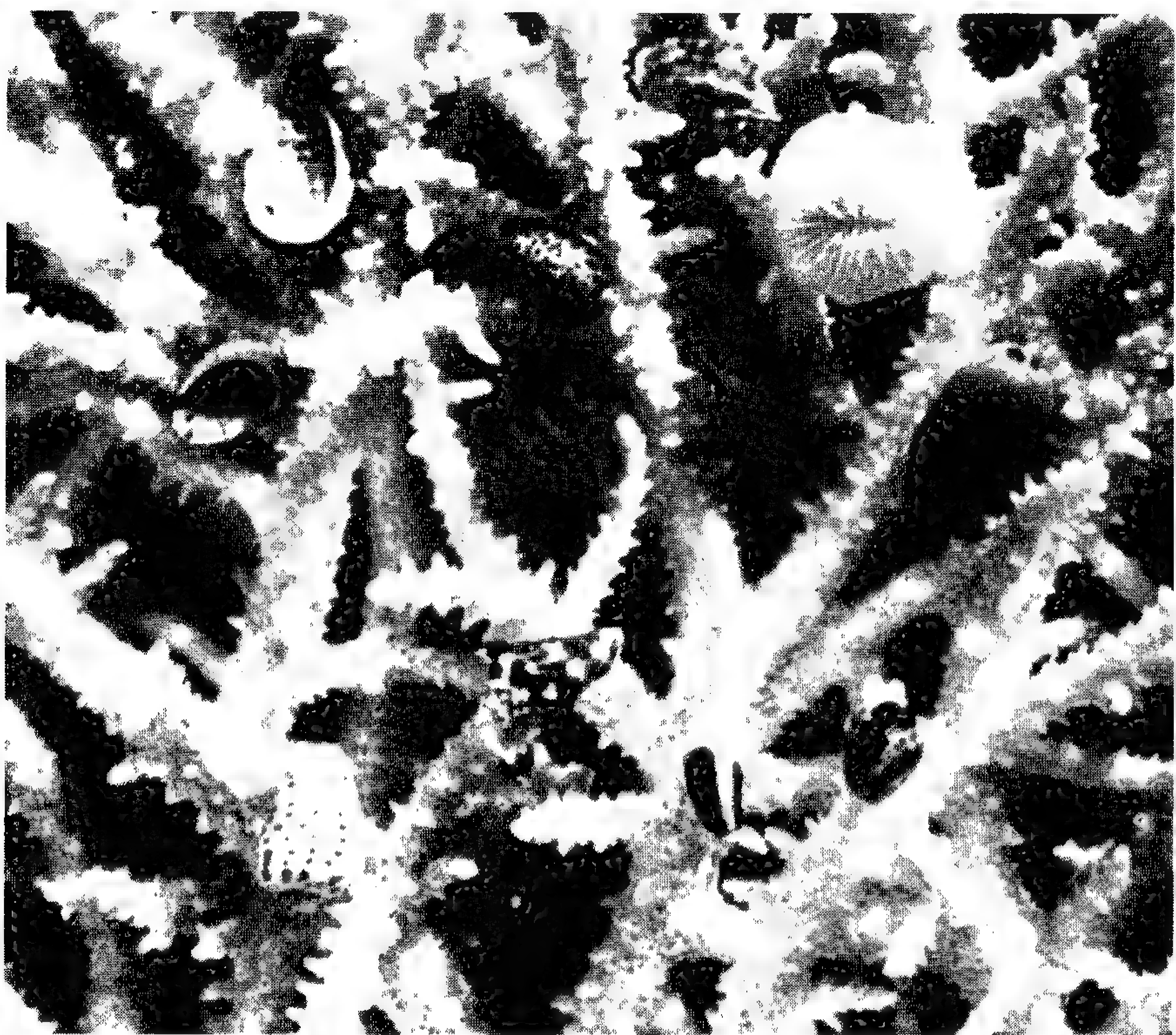
الفصل الذي يحتمل فيه سقوط المطر يبدأ بنوفمبر وينتهي بمايو ، ونيسان أكثر الأشهر مطراً .

والأمطار تنزل بما مجموعه (٣٥) يوماً في الحد الأقصى خلال السنة وأكثرها يسقط في المساء .

النفط والعمران:

يمكن القول إن تسع الرياض كان مرهوناً ، إلى حد كبير ، بنمو مصادر الثروة وزيادة ميزانية الحكومة ومواردها من الثروة البترولية ، وكان ابتداء ذلك في آخر عهد الملك عبد العزيز .





لمّا انحسر البحر . . غاصت حيتانه وأسماكه وأصدافه وكل ما فيه من مخلوقات وعجائب في أعماق الصحارى . . وتحولت خلال أزمان طويلة إلى هذه «المواد» التي تصنع النفط! . .

عدد سكـان الريـاض:

يقدّر عدد سكان الرياض (المدينة) بأكثر من مليون نسمة، وهي اليوم أكبر مدن المملكة وأكثرها سكاناً، وكانت مكة وجدة تأتيان قبلها، فتجاوزتهما..

كان عدد سكان الرياض سنة ١٨٦٢ م، كما قدّرهم الرحالة بلغريف، ثمانية آلاف فقط..

وفي عام ١٩١٩ قدرهم جون فيلبي بتسعة عشر ألف ساكن.

وفي عام ١٩٤٥ قدرهم توتشل بستين ألفاً.

وفي عام ١٩٦٢ جرى إحصاء لسكان الرياض أظهر أن عددهم بلغ (٧٠) ألفاً.

وفي عام ١٩٦٨ قدرتهم مؤسسة دوكسيادس بـ (٣٠٠) ألف.

وفي عام ١٩٧٦ قدرهم الأستاذ بندقجي، في كتابه: (جغرافية المملكة العربية السعودية) بما يقرب من ٧٠٠ ألف نسمة، وقدر سكان جدة بأكثر من نصف مليون، وسكان مكة بما لا يقل عن ٤٠٠ ألف.

.. والإحصاء الجديد المستمر لعدد السكان في المملكة سيعطينا التقدير الصحيح، متى أعلنت نتائجه.





الرياض القديمة والرياض الحديثة

الرياض عبر أطوار التاريخ

وبقيتها اليوم تدعى: شارع الملك فيصل!

يقول الأديب والمؤرخ المحقق الأستاذ حمد الجاسر في كتابه: (مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ):

إن اسم الرياض أطلق في القرن الثاني عشر على «باقي المحلات القديمة من مدينة حجر: معكال ومقرن والعود وغيرها وما حولها من الأرض الواسعة التي كانت في القديم بساتين وحدائق تتخلل مدينة حجر وتطيف بها فغمرت ثم صارت مجمع للسيول أبان نزول الأمطار، تجود بمختلف النباتات زمن الربيع، ولذا صارت تدعى الرياض.

.. وقد أدار دهام بن دواس على تلك المحلات المتناثرة سوراً لا تزال آثاره باقية في بعض جهات المدينة.. وكان بناء الحصون وتشييد القصور والسور حوالي سنة ١١٦٠ هـ».

ويرى الجاسر أن مدينة حجر ضعف أمرها ابتداءً من القرن الثالث الهجري وأنها أصبحت في القرن العاشر الهجري قرى متفرقة منها قرن، معكال، العود، البنية، الصليعا، جبرة، الخراب، وكلها كانت قديماً من محلات مدينة حجر، يتصل بعضها ببعض، ثم اختفى اسم حجر، وظهرت أسماء تلك المحلات مكانه.

ولم يذكر الجاسر مصادره.

ومما قاله أيضاً: «بقي اسم حجر معروفاً إلى منتصف قرننا الحالي، حيث كان يطلق على قصر شفير البطحا، فيه نخل، ثم انحصر الاسم في بئر ذلك النخل فصارت تعرف بـ (بئر حجر)، ثم ردمت هذه البئر، وبنى وزير المالية في أرضها دكاكين أصبحت تعرف بشارع الوزير، وهو الآن شارع الملك فيصل».

هل كانت الرياض بحراً؟

يقول فؤ د حمزة في كتابه: «قلب جزيرة العرب»: إن البحر الأبيض المتوسط كان يمتد، في الأزمنة الجيوارسية، من شمالي شبه جزيرة سيناء حتى منطقة جبل طويق من العارض، وإن أراضي منطقة الرياض الواطئة كانت تغمرها مياه البحر، وأما هضابها المرتفعة فكانت تؤلف جزيرة في وسط البحر.

وقد سبقه إلى هذا الرأي المستشرق الإنجليزي المسلم: فيلبي.

وأثبتت الدراسات الجيولوجية، والكشوف الأثرية، التي ظهرت حتى الآن أن الجزيرة العربية كانت في الأزمان العريقة في القدم، قطعة من الفردوس منثورة على وجه الأرض، تغمرها الأشجار والأزهار، وتتدفق فيها العيون والأنهار، ويتكاثر فيها الحيوان والطير، ويجد فيها الإنسان رزقه بأهون سبب، بينما كانت أوروبا في تلك العصور، بلاداً ميتة، ترقد تحت طبقات كثيفة من الجليد الدائم، كالذي يشاهد اليوم في أقاصي القطب الشمالي.

ثم أخذت الطبيعة تتحول، بمشيئة القادر على كل شيء، فأصبحت الجزيرة بلاداً جافة، وغاضت ينابيعها، ولعلها عائدة بإذن الله إلى سيرتها الأولى، قطعة من الفردوس.

تـاريـخ اليمـامـة

من الأزمنة الجيوراسية والمستوطنات الثمودية إلى ظهور دولة نبطية ودولة كندة ثم تحريرها بظهور الإسلام

إذا انتقلنا من الأزمنة الجيوراسية إلى العصر الذي ظهرت فيه الرياض على وجه البسيطة وهو زمن موغل في القدم، نجدها موطناً للإنسان في العصر الحجري ثم نجدها منازل لأقوام بادوا.

لماذا بقي تاريخ المنطقة الوسطى مجهولاً؟:

التاريخ القديم لليمن والسواحل الجنوبية من جزيرة العرب كشفت عنه النقوش والآثار القديمة التي درسها وحل ألغازها علماء الآثار والمستشرقون.

أما تاريخ الجزيرة العربية الوسطى، قبل الإسلام، ونجد خاصة، فما زال مجهولاً، لأنها لم تعن مثل عناية عرب الجنوب بتخليد وقائعه وأيامها بنقشها على الحجر أو بكتابتها على الرق، هذا إلى غلبة الطين ومشتقاته في أبنيتها وكثرة استعمالها للخيام بدلاً من الدور والقصور، وربما كان عبث السكان بالبقايا الأثرية وكراهيتهم للأجانب الذين يأتون للتنقيب عنها من جملة الأسباب في بقاء تاريخ هذه المنطقة القديم مجهولاً حتى اليوم.

ولكن عناية المملكة، في العهود الحديثة بالآثار تبشر بالوصول إلى كشوف جديدة مفيدة إن شاء الله.

اليمامة والمستوطنات الثمودية:

يقول الدكتور عبدالله حسن مصري، مدير الآثار:

«يستشف من المعالم الأثرية القريبة من موقع الرياض الحالي، خصوصاً (كهف برمة)، على مسافة ٦٦ كم شمال شرقي الرياض، ومن النقوش الثمودية التي

عثر عليها شرقي طريق خريص، أن هذا الموضع كان في الماضي القديم عامراً بالخضرة والمستوطنات الكثيرة، وأن الثموديين كانوا يقطنون المنطقة وما حولها.

.. وما زلنا في الأشواق إلى مزيد من الكشوف لنزداد معرفة بتاريخ الرياض واليمامة العريق في القدم.

من هم خلفاء الثموديين؟:

.. وبعد الإلمامة القصيرة بالثموديين، نتساءل من هم خلفاؤهم الذين عاشوا بعدهم في اليمامة، قبل الإسلام، وبعده...

الأخبـار الثابتـة:

إن الأخبار الثابتة بالكشوف الأثرية أو الروايات المتواترة، التي يرجح فيها جانب الصحة، تدلنا على الأمور الآتية:

دولـة نبطيـة:

إن الآثار التي اكتشفت بالقرب من حصن النمرة، في الشام، تدلنا على أن ملكاً عربياً، من الأنباط، هو «امرؤ القيس بن عمرو» ـ الذي مات عام ٢٢٣ في السابع من كسلول ـ أي في أوائل القرن الرابع للميلاد ـ ألف دولة كبيرة تضم تحت رايتها عرب الشام ونجد وتمتد إلى حدود اليمن، وقد رضي عنه الفرس وكللوه بالتاج!.

وهذه الدولة نشأت قبل كندة!.

دولـة كِنْـدة:

وبعد هذه الدولة العربية النبطية، قامت الدولة الكِنْدِيَّة في نجد واليمامة، وما وراءهما أحياناً، وكان ولاؤها لحمير، ويبدو أن قبائل ربيعة ومضر، وبخاصة بكر بن وائل لكثرة حروبها وخلافاتها، أرسلت إلى ملك اليمن تطلب منه أن يولي عليها أميراً من قبله، فولى عليها أخاه «حجراً»، الملقب بآكل المرار، وهو أول ملوك كندة.

الفـرس والعـرب:

بعد زوال مملكة كندة، اضطرت القبائل العربية المنتشرة في اليمامة ونجد، إلى موالاة جيرانهم الفرس، وكان بنو حنيفة، من ربيعة، وبنو تميم، من مضر، أقوى العشائر وأكثرها هناك.

وكان ملوك لخم، وخصوصاً النعمن بن المنذر، واسطة بين عرب نجد واليمامة، وبين ملوك فارس، وكانت عنده كتيبة من رجال بكر بن وائل، وغيرهم من العرب، يقال لها: **الصنائع**.

ولما قتل كسرى، لسبب من الأسباب، النعمن بن المنذر.. طلب حلقة النعمان التي كانت عند بكر بن وائل، فرفضوا تسليمها إليه، فغزاهم بجيش جرار، وكان اللقاء الكبير في «ذي قار».

النبي ﷺ يدعو لربيعة!:

كانت «معركة ذي قار» معركة رهيبة، تخوضها قبيلة عربية، بدوية، ضد دولة الفرس الأكاسرة، التي كانت من دول العالم المعدودة..

روي أن النبي ﷺ، مثلت له وقعة ذي قار، وهو بالمدينة، فقال:

(اليوم انتصفت العرب من العجم)، وفي رواية: (وبي نُصروا)!.

وقيل: إنه ﷺ، رفع يديه إلى السماء، وقال: (ليهنِ بني ربيعة! اللهم انصر بني ربيعة)!.

اليمامة عند ظهور الإسلام:

تذكر لنا كتب التاريخ اسمي زعيمين بارزين من زعماء اليمامة، كانت لهم كلمة مسموعة، وهما:

هوذة بن علي، الذي توجَّه كسرى ملكاً.. وكان مقره في الخرج.

وثمامة بن أثال، وكان مقره في بلدة حجر، أي الرياض اليوم.

عرض النبي ﷺ الإسلام على هوذة.. فاشترط.. ورفض الرسول الكريم شروطه فبقي على كفره.

وأما ثمامة بن أثال، فقد أسلم، وبقي على إسلامه، هو وعشيرته.

وهناك رجل آخر، من بني حنيفة، مسلمة بن حبيب، ولقب بمسيلمة الكذاب، ادعى النبوة، وجمع حوله فئة من بني حنيفة..

ومن الخطأ الظن بأن بني حنيفة تابعوا كلهم مسيلمة.. فقد ذكر الطبري: أن العلاء ابن الحضرمي، لما ذهب إلى البحرين، لقتال أهل الردة، انضم إليه ثمامة بن أثال، فيمن معه من مسلمي بني حنيفة، الذين ثبتوا على إسلامهم.

أول والٍ مسلم على اليمامة:

القتال بين جيش خالد بن الوليد وبين رجال مسيلمة الكذاب، في عهد أبي بكر، رضي الله عنه، انتهى، كما هو معروف، إلى هزيمة مسيلمة وقتله في حديقة الموت، بموقع «عقرباء»، وقد صالح خالد أهل اليمامة واشترط عليهم الإسلام فأسلموا، وولى خالد عليهم: سمرة بن عمرو العنبري، وكان ذلك في السنة الثانية عشرة للهجرة.

اليمامة في زمن الأمويين والعباسيين:

كانت اليمامة، في زمن الخلفاء الراشدين الأربعة، مرتبطة بهم، يولون عليها من أرادوا.

ولما جاء الأمويون، فالعباسيون، صاروا يرسلون الولاة إلى اليمامة والبحرين، من قبل أمرائهم في مكة أو المدينة أو العراق، وربما جمعوا اليمامة والبحرين لوالٍ واحد.

اليمامة في ظل الأخيضريين:

وفي أوسط القرن الثالث الهجري، ظهر بنو الأخيضر في الحجاز، وأعلنوا استقلالهم عن الخلافة العباسية.. ثم هرب زعيمهم محمد بن يوسف من الحجاز، وسار إلى اليمامة، فملكها وملكها أولاده من بعده.

ظهور الخضرمة، وكسوف حجر:

استطاعت حجر الحفاظ على شهرتها أو بعض شهرتها حتى استيلاء الأخيضريين على السلطة في اليمامة، وذلك أنهم جعلوا قاعدة ملكهم في اليمامة: «الخضرمة».

حجر عند إنشاء الدرعية:

ولا نعرف على التحقيق متى اختفى اسم اليمامة، واسم قصبتها حجر، ولكننا رأينا ابن بشر يذكرهما عند كلامه عن تأسيس (الدرعية) سنة ٨٥٠ هـ. وهي، البلدة التي أسسها أجداد آل سعود، الذين كان يجمعهم فرع من عشائر ربيعة يعرف باسم «آل درع» أو «الدروع».

الرياض كانت مقراً لآل درع

أجداد الأسرة السعودية

هناك أمر . . لم ينبه عليه أحدٌ من المؤرخين الذين كتبوا عن الرياض . . مع ورود إشارة إليه عابرة في تاريخ ابن بشر؛ وهو أن «الرياض» التي ورثت مدينة «حجر»، أي أنها حجر الجديدة . . أو المتجددة ـ كانت، في فترة من الزمن، ملكاً لآل سعود .

إن آل سعود، فرع من عشيرة (الدروع)، من «ربيعة» وهذا الفرع كان قد هاجر إلى الأحساء، ثم عاد إلى اليمامة، واستقر في مكان أطلق عليه اسم العشيرة: (الدرعية)، مشتقة من آل درع، وكان نزوله في ذلك المكان بدعوة من زعيم من زعماء الدروع، كان رئيساً على حجر اليمامة، كما ورد ذلك في تاريخ ابن بشر .

فإذا اختار الإمام تركي الرياض (أو حجر سابقاً) . . قاعدة لملكه، فإنما يختار بلدة كانت قاعدة لعشيرته الكبرى، التي تفرقت بعد ذلك، وتعددت أسماء أسرها، تنتمي كل أسرة إلى رجل مشهور فيها، سنة الله في خلقه!

ويقول فيلبي: إن المغفور له الملك عبد العزيز، طيب الله ثراه، كان يزور مقبرة الأسرة السعودية في حي البطحاء حيث دفن جده الإمام فيصل وأبوه الإمام عبد الرحمن، وغيرهما، ويدعو لهم، ثم يذكر بأسى أن جده الإمام تركي لم يدفن مع أبنائه وأحفاده .

بين تأسيس الدرعية وظهور الدعوة:

وخلال الفترة التي مرت بين تأسيس الدرعية وظهور الدعوة الإصلاحية . . يبدأ اسم حجر، وحتى اليمامة، بالاختفاء، وتظهر أسماء بلدان مختلفة . . في مكانها أو في أمكنة قريبة .

لا يعرفون السلطان العثماني:

ولما جاءت الدولة العثمانية وتغلغل عسكرها في الحجاز، بقيت نجد واليمامة بعيدتين عن «نفوذ» الترك، ولم يدخلها جنودهم، حتى إن الرحالة التركي المعروف «حاجي خليفة» مؤلف الكتاب المشهور «جهان نامه»، لما زار بلاد اليمامة، تعجب من أمرائها وشيوخها «لأنهم لا يدينون بالولاء للسلطان العثماني، ولا يعرفونه» .

نجد واليمامة وأشراف مكة والمدينة:

تفرقت بلاد نجد واليمامة، بعد القرن التسع، بين عدد كبير من الأمراء والشيوخ.. وكان أمراء مكة أو المدينة يبسطون نفوذهم على مناطق نجد واليمامة. ولا همَّ لهم إلا جباية أموالها..

إمـارات ومشيخـات:

وفي هذه الفترة، تظهر في أماكن مختلفة من الأحساء والبحرين ونجد. إمارات أو مشيخات قوية يمتد نفوذها إلى مناطق مجاورة لها، مدة تقصر أو تطول.. ثم تعود الأمور إلى التفرقة والفوضى وحكم البداوة.. إلا من عصم ربك!.

الدولة السعودية الأولى:

.. ويبقى الأمر كذلك، حتى تظهر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب. ويقوم الإمام محمد بن سعود أمير بلدة «الدرعية» بنصرتها. ويتحقق على أيديهم تأسيس «الدولة السعودية الأولى»، التي بدأت صغيرة ببلدة صغيرة، ولكنها ما زالت تتسع حتى ضمت في أواخر عهدها ما يعدل تقريباً المملكة العربية السعودية.

.. ثم جاءت جيوش محمد علي وهدمت الدرعية واستولت على الرياض. وقضت على الدولة السعودية الأولى!.

مشهد الرياض الفاتن

أجمل من دمشق ومن إيطاليا

خلبت مناظر مدينة الرياض عقل الرحالة (بلغريف)، فقال: إنها أجمل من غوطة دمشق ومن بساتين إيطاليا، وقدر عدد مساجدها بثلاثين، عدا الجامع الكبير الذي يقوم قريباً من قصر الإمام فيصل بن تركي، ويصل إليه خلال دهليز ممتد من القصر إلى الجامع، فلا يمر خلال الأسواق، التي تقوم في ظلال القصر أو قريبة منه، أما عدد السكان فقدَّرهم بثمانية آلاف.

وهذا بعض ما قاله، في كتابه الذي نشره عن زيارته لمدينة الرياض، في عهد الإمام فيصل بن تركي، سنة (١٨٦٢ م):

«كان ينبسط أمامنا وادٍ فسيح، وفي المنحدر الصخري الذي كنا واقفين على قمته، تقع مدينة الرياض، في رقعة مربعة واسعة تتوجها بروج عالية وأسوار دفاع قوية، وتتعالى بين أشجارها شرفات البيوت، التي يبرعها كلها، بعلوه وضخامته قصر الإمام فيصل بن تركي، وبالقرب منه قصر ابنه البكر (عبد الله) ولم يكن قد سكنه بعد..

وحوالي البلدة، وإلى مسافة ثلاثة أميال في السهل المحيط بها، وبخاصة إلى الغرب والشمال، يتموج بحر من أشجار النخيل، وسط حقول خضر وبساتين حسنة الري، بينما نسمع أصوات (السواقي) التي تخرج المياه من أعماق الأرض، على بعد ربع ميل من أسوار البلد.

ويتفتح الوادي، إلى الجنوب، على سهول اليمامة الخصبة، الملأى بالمزارع والقرى، ومن أبرزها بلدة (منفوحة)، وهي أقل من الرياض سعة، ثم أبعد من ذلك، نلمح تلالاً، وقمم جبال اليمامة، التي كان عمرو بن كلثوم يشبهها بالسيوف المصلتة في معركة!

وأبعد من ذلك أيضاً إلى الغرب، تبدو لنا الدرعية . .

وإلى الجنوب الغربي نرى آكام «الأفلاج»، التي تفصل اليمامة عن وادي الدواسر، ولكنها تتصل من جهة الشرق، بوادي (السلي)، الذي يجري إلى ما وراء سلسلة جبال طويق .

أوسع وأروع :

ولكن وادي الرياض أوسع من غوطة دمشق وأكثر تنوعاً . . ومدى الرؤية هنا يشمل سهولاً أفسح وجبالاً أرهف وأدق مدارج، وهذا المزيج من الخضرة المترفة والجفاف «الاستوائي» . . ومن ازدحام السكان في أمكنة والخلاء الموحش في أمكنة أخرى مجاورة، يعطينا منظراً تنفرد الجزيرة العربية بعطائه، ومتى أردن المقارنة، بدت لنا دمشق أبهت ألواناً، وإيطاليا أدنى ألحاناً .

أجمل منطقة في الدنيا

بين كل البلدان التي زرتها - وهي كثيرة - لم أر منظراً يعدل منظر الرياض بالجمال والذكريات التاريخية، فهي ملء العين وملء الفكر!

فإن كان بعض قرائي شاهدوا دمشق، وهم ينحدرون إليها من جبال لبنان، أو (الغوطة) من فوق روابي (المزة)، فإنهم يستطيعون أن يكوّنوا لأنفسهم فكرة مقاربة عن وادي الرياض، كما يشاهد من جهة الغرب[1] .

---

(١) انظر كتابه Personal Narrative of a year's Journey through Central and Eastern Arabia . وقد ترجم إلى الفرنسية، ونشرت مجلة العالمين La Revue des Deux Mondes في عدد كانون الثاني ١٨٦٧ م مقالاً عن ويليام ج . بلغريف، قالت فيه: إنه يهودي الأصل، عمل ضابطاً في جيش الهند، ثم اعتنق الكاثوليكية اليسوعية، وأقام في الشام، وكان هنك يعرف باسم «كوهين» . . وتعلم العربية، وعرف عادات البدو، وقد أرسله أمبراطور فرنسا إلى نجد، وبعد عودته نبذ اليسوعية، وصار بروتستانتيًّا، وتقول المجلة المذكورة في عدد مايو:
وبلغريف إنجليزي، وهو أول أجنبي زار الجزيرة العربية من أدناها إلى أقصاها زيارة كاملة، وأما نيبور فقد اجتازها اجتيازاً، وترجم كتابه عن رحلته إلى الفرنسية فأثار اهتماماً كبيراً، ومن المؤسف أن تعصبه الديني الشديد أعماه عن رؤية حقيقة الإسلام فلم يتحدث عنه بنزاهة وموضوعية .

مـزايـا اليمامـة

ينقل ابن الفقيه عن أهل اليمامة أنهم يقولون:

«غلبنا أهل الأرض شرقها وغربها بخمس خصال:

١ ـ ليس في الدنيا أحسن ألواناً من نسائنا.

٢ ـ ولا أطيب طعاماً من حنطتنا.

٣ ـ ولا أشد حلاوة من تمرنا.

٤ ـ ولا أطيب مضغة من لحمنا.

٥ ـ ولا أعذب من مائنا».

فأما قولهم في نسائهم فإنهن دريّات الألوان، كما قال ذو الرمة:

«كـأنـهـا فـضـة قـد مـسّـهـا ذهـب!»

وذلك أحسن الألوان. ويقال لا تبلغ مولدة ألف درهم إلا اليمامية!

وأما حنطتهم فتسمى بيضاء اليمامة، تحمل إلى الخلفاء.

ويقول القزويني: «اليمامة ناحية بين الحجاز واليمن، أحسن بلاد الله، وأكثرها خيراً ونخلاً وشجراً». ويقول الطبري: إن اليمامة من «أخصب البلاد وأعمرها وأكثرها خيراً، فيها صنوف الثمار ومعجبات الحدائق والقصور الشامخة».

أشخاص اشتهروا باسم اليمامة:

زرقاء اليمامة: صاحبة القصة، المشهورة بحدة بصرها.

عرّاف اليمامة: رباح بن كحلة، ومن الشعر الذي قيل فيه:

«جـعـلـت لـعـرّاف الـيـمـامـة حـكـمـه وعـرّاف نـجـد إن هـمـا شـفـيـانـي»

محكم اليمامة: محكم بن الطفيل بن سبيع، صاحب مسيلمة الكذاب، والقائم بأمره، قُتِل في حروب الرّدة.

منبر حجر وسوقها:

في «بلاد العرب» للأصفهاني:

«حجر سرة اليمامة وهي منزل السلطان والجماعة.

ومنبرها أحد المنابر الأولية: مكة والمدينة واليمن ودمشق واليمامة والبحرين والكوفة.

وجلّ أهلها بنو عبيد، وبها من كل القبائل..».

وفي كتاب «أسواق العرب» للأستاذ الأفغاني:

حجر.. من الأسواق المتوسطة، يقصدها العرب لما يقصدون إليه بقية الأسواق من بيع وشراء وتناشد، ثم صار لها في الإسلام ذكر مكرر في أحاديث الأدباء والأخبار لأنها دار جرير.. وكثيراً ما كان ينزلها أيضاً ذو الرمة.. وكانت في مأمن من السلطان لبعدها، وبقيت سوقها حتى آخر العصر الأموي.

طول الأعمار:

ذكر الجاحظ وغيره أن أهل اليمامة من أطول الناس أعماراً...

جود السهام:

.. والسهام التي كانت تصنع في حجر اليمامة من أجود السهام.

وفي لسان العرب: حدائد حجر، مقدمة في الجودة. قال رؤبة:

«حتى إذا توقَّدت من الزرَق حجريةٌ، كالجمر من سنّ الدَلَق»

النصرانية في اليمامة...:

في «المفصل» لجواد علي: «كان معظم أهل اليمامة على النصرانية عند ظهور الإسلام».. وأن النصرانية كانت واسعة الانتشار في ربيعة وتميم وطيء.. وأن المبشرين النصارى كانوا يرتحلون مع القبائل وعرفوا باسم «رهبان الخيام»!.

وأكبر الظن أن الدكتور جواد علي قد بالغ كثيراً.. وربما كان متأثراً بما كتبه لويس شيخو.

اسم الرياض

متى ظهر اسم الرياض علماً على المدينة!

الريـاض فـي اللغـة:

«الرياض» جمع «روضة».

وجاء في «لسان العرب»:

«الروضة: الأرض ذات الخضرة.. والبستان الحسن.. والموضع يجتمع إليه الماء، يكثر نبته.

.. وقيل: الروضة قاع فيه جراثيم ورواب سهلة صغار في سرار الأرض يستنقع فيها الماء، وأصغر الرياض مائة ذراع!

.. قال أبو منصور: رياض الصمّان والحزن في البادية أماكن مطمئنة مستوية تستريض فيها ماء السماء، فتنبت ضروباً من العشب ولا يسرع إليها الهيج والذبول.. فإذا كانت الرياض في أعالي البراق والقفاف فهي «السلقان» واحدها سلق، وإذا كانت في الوطاءات فهي «رياض». ورب روضة فيها حَرَجاتٌ من السدر البرّي..».

الرياض في «معجم البلدان»:

لم يرد اسم «الرياض» في كتب التاريخ والجغرافية القديمة. ولكن «معجم البلدان» لياقوت يذكر لنا أسماء أكثر من مائة روضة، بصيغة المفرد، مضافةً إلى أسماء أو صفات تخصصها وتنقلها إلى العَلَمية..

وسمّى ياقوت منها، في إقليم اليمامة: «روضة الأشاءة، روضة البلاليق، روضة بلبلول، روضة الجوالقية، روضة السخال، روضة الشقوق، روضة ابن صعفوق، روضة ضاحك، روضة غسل، روضة الفقي، روضة الفورة.. روضة السلي، وروضة القميعة»...

وقد أشار العالم الأديب ابن بليهد في كتابه «صحيح الأخبار» إلى أن روضة القميعة في الرياض، وبقربها روضة السلي، ولكنه لم يذكر لنا صراحةً أن اسم الرياض مأخوذ من اجتماع هذه الروضات فيها.

متى ظهر اسم الرياض؟:

أما العلامة المحقق الأستاذ حمد الجاسر في كتابه: (مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ) فقال ما يأتي:

في القرن الثاني عشر، أطلق اسم الرياض على ما بقي من المحلات القديمة من مدينة حجر: معكال ومقرن والعود وغيرها، وما حولها من الأرض الواسعة التي كانت في القديم بساتين وحدائق، تتخلل مدينة حجر، وتطيف بها، فغمرت ثم صارت مجمعاً للسيول إبان نزول الأمطار، تجود بمختلف النباتات زمن الربيع. ولذا صارت تدعى «الرياض».

.. وقد جرى لهذه المدينة في عهد دهام ابن دواس أحداث عظيمة منها:

١ ـ أنه أدار على تلك المحلات المتناثرة سوراً لا تزال آثاره باقية في بعض جهات المدينة، وبنى القصر الذي أصبح فيما بعد مقراً للإمارة والحكم حتى هدمه ابن رشيد سنة ١٣٠٩ هـ.

وكان بناء الحصون وتشييد القصور والسور حوالي سنة ١١٦٠ هـ، عندما استعرت نار الحرب بينه وبين الدولة السعودية إبان قيامها بنصرة الدعوة الإصلاحية الدينية التي كان دهام من أشد المعارضين لها.

٢ ـ توالت الحروب على هذه المدينة قرابة ٢٨ سنة من عام ١١٥٩ إلى عام ١١٨٧ هـ.

دعاء الشيخ عند فتح الرياض:

فُتحت الرياض سنة ١١٨٧ هـ بعد فرار أميرها دهام بن دواس ورجاله منها مشياً على الأقدام، إلى الدلم، ولما أبلغت بشرى فتحها إلى الإمام محمد بن عبد الوهاب، كتب هذه الرسالة، التي تشبه الدعاء، إلى الإمام عبد العزيز بن محمد، الذي غزا الرياض هو وأبوه من قبله أكثر من ثلاثين غزوة:

«أحب لك ما أحب لنفسي، وقد أراك الله في عدوك ما لم تؤمِّل.

فالذي أراه لك أن تكثر من قول الحسن البصري . كان إذا ابتدأ حديثه يقول :

«اللهم لك الحمد بما خلقتنا ورزقتنا وهديتنا وفرَّجت عنا ، لك الحمد بالإسلام والقرآن ، ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة ، كبتَ عدونا ، وبسطتَ رزقنا ، وأظهرت أمننا ، وأحسنت معافاتنا ، ومن كل ما سألناك ربنا أعطيتنا ، فلك الحمد على ذلك ، حمداً كثيراً طيباً حتى ترضى ، ولك الحمد إذا رضيت» .

الرياض إمارة ملحقة بالدرعية :

كانت الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى ، فلما فتحت الرياض ، أصبحت إمارة تابعة لها .



مدخل «الدرعية» كما تخيله رسام فرنسي .

الرياض في وثيقة فرنسية قديمة :

جاء في (نشرة الجمعية الجغرافية) ، التي تصدر عن وزارة الخارجية الفرنسية . بتاريخ (١٨٧٥ م) هذه الكلمات عن مدينة الرياض :

الرياض ـ جمع روضة ـ والترك يلفظونها : (رياظ) .

الرياض ـ عاصمة مملكة نجد ، في الواحة التي تحمل نفس الاسم ، تمتد على

الضفة الشمالية بوادي حنيفة باتجاه الشمال، وتؤلف واحة طولها خمسة كيلومترات وعرضها كيلومتر ونصف تقريباً، وهي محوطة بالنخيل الكثيف من خلا القسم الشمالي الشرقي، ويحيط بها سور غليظ بارتفاع ٧ أمتار ونصف مصنوع من الطين المجفف في الشمس ولها بروج على ارتفاع ٩ إلى ١٢ متراً، وبعضها مربع، وقد أعيد بناؤه بعد أن هدمه ابن رشيد باستثناء جزأين في الغرب والجنوب.

من أبوابها: باب الثميري، دخنة، البديعة، الشميسي، الجهيري.

السوق مقسم إلى قسمين: واحد للأثاث.. والآخر حوانيت.

استهوت الرياض الإمام تركي فاختارها عاصمة له، وكان يحيط بها ثلاثون ألف شجرة من النخيل، وهي تستند إلى سفح (العارض) وتعتبر مفتاح العربية الوسطى لأن الطرق كلها تمر منها، وفيها ستة آلاف دار، أي نحو (٣٥) ألف ساكن.

وأهلها كلهم، تقريباً، من المحاربين الذين يسمون «الفداوية».

البيوت مبنية من الطين، فوق أسس من حجرة العارض، والطرقات ضيقة، وفيها آبار كثيرة تستخرج مياهها بدلاء من الجلد، تدور بها الجمال.. وفي جوارها بعض الينابيع التي تمد الأهالي بالمياه الصالحة للشرب، ولكن المياه ليست غزيرة بحيث تكفي لزراعة الأرز الذي يحبونه كثيراً، وهو يأتيهم من الهند.

الرياض في عهد الإمام تركي:

محرر نجد وموحدها
ومؤسس الدولة السعودية الثانية

انتهت الدولة السعودية الأولى سنة ١٢٣٣ هـ ـ ١٨١٨ م بسقوط عاصمتها الدرعية واستسلام الإمام عبد الله بن سعود لقائد الحملة التركية المصرية (إبراهيم باشا) نجل خديوي مصر محمد علي باشا، ثم قتل الإمام.

لقد غادر إبراهيم باشا البلاد النجدية وهي في نهاية الضعف والفوضى والضياع.. وأعلن في مجلسه بزهو وكبرياء: أن الدولة السعودية انتهت ولن تُذكر، وراية التوحيد طُويت ولن تنشر!

ولكن الله سبحانه كذَّب أماني إبراهيم باشا ووعيده المشؤوم، وظهر البطل الشجاع الإمام تركي بن عبد الله، ومعه عصبة من شجعان نجد، وحارب العساكر الغازية، وهزمهم وطردهم، وحرَّر البلاد منهم، وأعاد إلى نجد وحدتها، وإلى كلمة التوحيد رايتها، وإلى الجماهير عزتها وكرامتها، وبذلك كان مؤسس الدولة السعودية الثانية، وباني أمجادها.

.. مَن الذي اتخذ الرياض قاعدة لملك واسع، وأعدَّه لهذا المجد الذي يتعاظم يوماً بعد يوم؟

إن الإمام تركي، جد الأسرة السعودية المالكة، هو الذي اختار الرياض، من بين البلدان، قاعدة لملكه، وكان موفقاً كل التوفيق في اختياره!

قد يقال: إنه اضطر إلى ذلك اضطراراً، لأن جنود محمد علي دمروا (الدرعية) عاصمة الدولة السعودية الأولى، تدميراً كاملاً، وكانت الرياض يومئذ أعمر مدن العارض وأقربها إلى الدرعية المتهدمة، فكان انتقاله إليها أمراً تفرضه طبيعة الأشياء!.

نص كلام بلغريف بالإنكليزية

Before us stretehed a wild open valley and in its foreground, immediately below the pebbly slope on whose summit we stood, lay the capital, large and square, erowned by high towers and strong walls of defence, a mass of roofs and terraces, where overtopping all frowned the huge but irregular pile of Feysul's royal castle, and hard by it rose the scarce less conspicuous palace, built and inhabited by his eldest son, 'Abd-Aalllah. Other edifices too of remarkable appearance broke here and there through the maze of grey roof-tops, but their object and indwellers were yet to learn. All around for full three miles over the surrounding plain, but more especially to the west and south, waved a sea of palm-trees above green fields and well-watered gardens; while the singing droning sound of the water-wheels reached us even where we had halted, at a quarter of a mile or more from the nearest town walls. On the opposite side southwards, the valley opened out into the great and even more fertile plains of Yemamah, thickly dotted with groves and villages, among which the large town of Manfoohah, hardly inferior in size to Riad itself, might be clearly distinguished. Farther in the background ranged the blue hills, the ragged sierra of Yemamah, compared some thirteen hundred years since by Amroo-ebn-Kelthoom the Shomerite, to drawn swords in battle array; and behind them was concealed the immeasurable Desert of the South, or Dahna. On the west the valley closes in and narrows in its upward windings towards Derey'eeyah, while to the south-west the low mounds of Aflaj are the division between it and Wadi Dowasir. But eastward it communicates through undulating and broken ground with the long valley of Soley..

In all the countries which I have visisted, and they are many, seldom has it been mine to survey a landscape equal to this in beauty and in historieal meaning, rich and full alike to eye and mind. But

should any of my readers have ever approached Damascus from the side of the Anti-Lebanon, and surveyed the Ghootah from the heights above Mazzeh, they may thence form an approximate idea of the valley of Riad when viewed from the north. Only this is wider and more varied, and the circle of vision here embraces vaster plains and bolder mountains' while the mixture of tropical aridity and luxuriant verdure, of crowded population and desert tracts, is one that Arabia alone can present, and in comparison with Syria seems tame, and Italy monotonous.



أهم الأحداث في سيرة الإمام فيصل من كتاب

الأطلس التاريخي للدولة السعودية

وضع مادّته التاريخيّة وخطّط رسومه وأشكاله وخرائطه

الدكتور إبراهيم جمعة

فيصل بن تُركي

١٢٥٠ ـ ١٢٥٤ هـ / ١٨٣٤ ـ ١٨٣٨ م

١٢٥٩ ـ ١٢٨٢ هـ / ١٨٤٣ ـ ١٨٦٥ م

هو فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمَّد بن سعود، بويع بالإمامة في أوائل المحرَّم سنة ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م على أثَر وفاة أبيه وكان يغزو في الأحساء، بايعه جنده وقادة جيشه وهو في الهفوف، ثم بايعه الناس في الرياض غداة مصرع مشاري ابن عبد الرحمن بن مشاري بن سعود يوم الخميس الحادي عشر من صفر سنة ١٢٥٠ هـ، وكان مشاري قد استولى على الحكم فترةً قصيرة على أثر غدره بالإمام تركي يوم الجمعة آخِر ذي الحجة سنة ١٢٤٩ هـ.

وكانت البلاد قد تنفَّست نسيم الحريَّة، وسادها هدوء نسبي فيما بين سنتي ١٢٣٩، ١٢٤٣ هـ أيام الإمام تركي على الرّغم من وجود حاميات لمحمد عليّ في جهات متفرِّقة من أنحائها ـ أمَّا ما تمتَّعت به البلاد من هدوء فمرجِعُه إلى قوَّة الإمام تركي من ناحية وإلى انشغال محمد علي في حرب اليونان من ناحية أخرى، وكانت الدولة العثمانية قد لجأت إليه لإخماد ثورة قامت في بلاد اليونان تطالب بالانفصال عن جسم الدَّولة وتنادي بالحريَّة والاستقلال، فلبَّى وأرسل جيشه وأسطوله وخاضَ معاركَ شديدة برِّيةً وبحريَّة ضدَّ اليونانيّين كلَّفته الكثيرَ من الخسائر، وعوَّضته الدّولة عن خسائره وكافأته على خدماته فمنحَته جزيرة كِريت وشبه جزيرة الموزة.

وبسبب من انشغال محمد علي في الحرب اليونانية ضعفَت قبضَتُه العسكرية على نجد، ولزمت حامياته أماكنها واقتصرت مهمَّتها على جباية الأموال وإرسالها إلى مصر، لا تكاد تتدخَّل في الشؤون الداخليّة للبلاد.

وتبدَّلت الأحوال ابتداءً من سنة ١٢٤٦ هـ / ١٨٣١ م حين شرع محمد علي يتَّخذ خطَّة العداء مع الدولة العثمانيَّة، تَحدُوه الأطماعُ الشَّخصية إلى تكوين أمبراطورية عربيَّة تنتظم البلدان التي تحكمها الدَّولة، ومن ثَمَّ نراه يُسيِّر الجيوش إلى

الشام لانتزاعها من يد الدَّولة تمهيداً للاستيلاء على الأناضول والعبور إلى الآستانة عاصمة الخلافة .

أغرتْه انتصاراتُه الأولى في حروب الشام على تشديد القَبضة على الجزيرة العربيَّة فعاد إلى التدخُّل في شؤونها .

أرسل سنة ١٢٥٢ هـ / ١٨٣٦ م حملةً بقيادة «إسماعيل آغا» نزلت ينبع ومعها «خالد بن سعود»[١] ، يريد محمد علي أن يفرضه أميراً على البلاد .

وسارت الحملة من ينبع إلى المدينة المنوَّرة ، فالحناكية متجهةً إلى نَجد عن طريق القصيم .

كان فيصل على عِلم بما يجري عبر البحر الأحمر ووادي الصَّفراء ، يتتبَّع أخبار الحملة ويرقبُ سيرها ويستشير قادة البلاد وأمراءَها ، أشار عبد الله بن علي بن رشيد ، أمير شمَّر والجبل ، باستنفار الناس والتجمُّع في القصيم والمرابطة فيها استعداداً لملاقاة الحملة ، وأُعجب الإمام فيصل بالرأي ، وأرسل يستنفِر أهل البلاد فنَفروا لملاقاتها . وغادر الإمام الرياض آخر شوال سنة ١٢٥٢ هـ ورابط عند «ماء الصَّريف» قرب التنُّومة ، وكانت الحملة قد بلغت «الرَّسَّ» يرافقها خالد بن سعود . وتقدَّم فيصل نحو عُنيزة وبُرَيدة يستحث أبناءَهما . ثم إلى الخَبْرا حيث صار على مقربة من الحملة ، وكان الإمام على أهبَّة تامَّة لخوض معركة فاصلة ولكنَّه فضَّل أن يستشير خاصَّة رجاله ، فأشاروا عليه بالتَّريُّث حتى تُصبح الظروف أكثَر ملاءَمة ، ونصحوا بالانتقال إلى «عُنيزة» ، فرحل الجمعُ إليها يوم الخامس والعشرين من ذي الحجَّة ، وهناك عاد فاستشار خلَصاءَه في الرَّحيل عن عنيزة أو البقاء فيها فأشاروا بالرَّحيل ، واستجاب الإمام وقرَّر العودة إلى الرياض .

وكان الإمام فيصل يهدف من وراء استشاراته وانتقالاته ألاَّ يُعرِّض البلاد إلى محنة قد تكون أشدَّ وأقسى من سابقتها ، سيَّما وقد تبيَّن له ، بعد عودته إلى الرياض ، أن بعضاً من أهلها يجنحون للسِّلم دون الحرب ، وسمع أن بعضاً من بدو مُطير وسبيع وقحطان قد مالأ الحملةَ ومشى في ركب خالد بن سعود ـ وهنا بدت كياسة الإمام وتَجلَّى سدادُ رأيه . . أراد أن يجنِّب البلاد ويلات حرب جديدة يعرف

---

(١) هو خالد بن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود ، أحد أولاد سعود الكبير ، وكان ممن حُملوا إلى مصر بعد حرب الدرعية ، شبَّ في مصر وفقد فيها مشاربَه العربية البدويَّة .

بثاقب فِكره قساوتها وضراوتها، وعندما دخل إسماعيل وخالد عُنيزة في المحرَّم سنة ١٢٥٣ هـ، وفي الموقف الدقيق وحتى لا تَقَع الواقعة، آثر الإمام أن ينأى بنجد عن الأخطار، فقرَّر بعد التفكُّر والتدبُّر أن يترك الرياض ليعودَ إليها موفورَ الكرامة، محتفظاً بشرف بلاده في يوم كان بواسع إدراكه، ونافذِ بصيرته يَراه قريباً.

رأى الإمام أن يخرُج إلى الأحساء فأصدر أوامره سرّاً إلى أنصاره أن يَجلوا عن الرياض، وغادر القصر يصحبه فرسانه إلى الخرج في طريقه إلى الأحساء، وهناك في الأحساء تلقَّاه أميرها وقادتها وعلماؤها وعربان من مُطير والعُجمان والسُّهول وسُبَيع بالترحيب والتبجيل وعاهدوه على النَّصر، ونزل قَصر الكوت.

وفي يوم السَّبت السابع من صفر سنة ١٢٥٣ هـ دخلت حملة إسماعيل الرياض، ونزل إسماعيل قائد الحملة ومعه خالد بن سعود القصر، أما العسكر فقد جعلهم إسماعيل خارج المدينة، وكان إنزال إسماعيل لخالد قصر الرياض في ذلك اليوم بمثابة تنصيبه أميراً على البلاد، تَبعه أناس من أهل العارض وسُدير والوَشم والقصيم، وعصَته من بادىء الأمر بلدان الحوطة والحلوة والحريق، وكانت قد قرَّرت منازلة الحملة إن هي زَحفَت إلى الجنوب.

يقول ابن بشر في حوادث سنة ١٢٥٣ هـ[1]، أن خالداً ركب هو وإسماعيل وعسكره من التُّرك، ومعهم عدد من البوادي، وساروا أوَّل أيام ربيع الثاني لقتال أهل الحوطة والحلوة والحريق، فلما وصلوا خفس دغرة جنوبيَّ الدَّلم جاءهم «فهد ابن عفيصان» بغزو أهل الخرج فأخذوا يتشاورون، أشار من أشار بمداهمة الحلوة واحتلالها ـ قال: فإذا ملكتموها، كاتَبكم من كان في الحوطة والحريق فأتى إليكم، واستقرَّ الرأي لديهم على مداهمة الحلوة، وساروا من الخفس، وهم نحو سبعة آلاف مقاتل من «الترك» والبدو، فقصدوا الحلوة وكان أهلها قد أخرجوا نساءَهم وأبناءَهم إلى الحوطة، ضَلُّوا الطريق إليها فنزلوا حَرَّةً قريبةً منها وبقوا فوقها حتى وقعت المعركة.

كان الشيخ عبد الرحمن بن حسن، والشيخ علي بن حسين، والشيخ عبد الملك بن حسين، والشيخ حسين بن حمد بن حسين من أحفاد الإمام الشيخ محمد ابن عبد الوهاب قد خرجوا إلى الحُلوة والحريق عندما أقبلت حملة إسماعيل إلى

(١) ابن بشر: عنوان المجد، طبعة وزارة المعارف السّعودية، ص ٣١٧، ٣١٨.

الرياض، فلما خرج إسماعيل يقصد هذه الأنحاء قام أحفاد الشيخ يحثون أهل الحلوة والحريق على الثَّبات والوقوف في وجه المغيرين. وكانوا رحمهم الله يُستشارون في عظائم الأمور فيُشيرون بالرأي السَّديد.

قرَّر أهل الحلوة والحوطة والحريق ونعام الوقوف في وجه العدوِّ. وتوافدت إلى أرض المعركة جموعهم: أهلُ الحلوة يقودهم رئيسهم محمَّد بن خُريِّف، وأهل الحوطة يقودهم الفارس الشجاع إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم رئيس آل سعود. وفوزان بن محمد رئيس آل مرشد. وأهلُ الحريق يقودهم أميرُهم تركي الهزَّاني. وأهل نَعام يقودهم رئيسهم زيد بن هلال، وبدأت المعركة فوق الحرَّة القريبة من الحلوة.

صعد أهل الحلوة إلى الجبل لقتال الغُزاة، ودار القتال من ارتفاع الشمس إلى ما بعد الظهر، وأتاهم المدَد من أهل الحريق وأهل الحوطة. وبدَت تباشير النصر وكان جنود الناحية ورؤساؤهم عند الخندق الذي حفروه حول البلدة. واستمر أهل الحلوة وأتباعُهم في قتال عنيف مع جنود العدوِّ، وأقبل تركي الهزَّاني بجمع عظيم من رجاله وقصد ميمنة العدوِّ وفيها الخيَّالة والفرسان. وأتى إبراهيم بن عبد الله بمجموعة من أهل الحوطة فقَصد الميسرةَ، ووقع القتال الرَّهيب ـ استولى إبراهيم بن عبد الله على المدافع ورماها من رأس الجبل، وما لبثت الهزيمة أن حلَّت بالعدوِّ. وكان الأعراب أول من انهزَم. ثم لحِقت الهزيمة بقيَّة الجنود، بادَ معظمهم قتلاً وظمأً، وهرب الأعراب على رواحل الجند، وتفرَّقت الخيَّالة وهلَكت بدورها بين الشِّعاب، ونجا خالدٌ بنفسه وعاد مسرعاً إلى الرياض، وتبعه إسماعيل وشِرذمة قليلة من الخيالة، وغَنِم أهل الحوطة جميع ما تركت الحملة وراءها من مال وسلاح وخيام ـ كان ذلك في منتصف ربيع الثاني سنة ١٢٥٣ هـ / ١٨٣٧ م.

انهزمت حملة إسماعيل آغا في غزوة الحلوة وانهزم معها خالد بن سعود وانتصرت الإرادة الوطنية. . وبلغت أخبار الانتصار مسامعَ الإمام فيصل في الأحساء فخفَّ ومعه كثير من أتباعه وأقاربه ونفر من أهل البادية وأهل الأحساء قاصداً الحوطة حيث التقى بأهلها من بني تميم وبأهل الحريق من بني هزَّان وأهل الخَرج ورئيسهم فهد بن عفيصان، وزحَف بهؤلاء وهؤلاء نحوَ الرياض لقتال خالد، وإسماعيل وفلول الحملة المنهزمة، وعندما بلغ «المصانع» خرج إليه خالد وعسكر ممَّن كانوا في الرياض ودار بينهما قتال شديد كانت الغَلبة فيه لقوات فيصل، وارتد المقاتلون

من قوات خالد نحو الرياض فاعترضتهم قوات فيصل، فانحازوا إلى منفوحة يطلبون الأمان، فأمَّنهم فيصل وأمَّن معهم أهل منفوحة، فصالحه الأخيرون، وبايعوه، وعاد فيصل إلى الرياض يحاصرها، ونزل بجنوده بيوت النَّخيل قُبالتها أول يوم من جمادى الآخرة ١٢٥٣ هـ، واستمرَّ الحصار مدَّةً جاوزت الشهرين استطاع فيصل خلالها أن يَستولي على قسم من المدينة، وكاد المحاصرون أن يستسلموا لولا أن وافتهم النَّجدات من بعض عُربان سُبَيع وقحطان ممَّن جاءوا لمساعدة خالد، وتبدَّل الموقِف، واستشار الإمام خُلصاءه فأشاروا بفكِّ الحصار عن الرياض، وفي أواخر الليل يوم الثاني عشر من شعبان سنة ١٢٥٣ هـ فكَّ فيصل حِصار الرياض ونزل عند منفوحة، وتراسل خالد وفيصل في طلب الصلح، ولما كان يوم السابع عشر من الشهر المذكور تواعدا، فخرج فيصل من مكانه ذلك، وخرج إليه خالد من الرياض، وجلسا بين البلدين من صلاة الظهر إلى ما بعد صلاة العصر، فلم ينعقد بينهما صلح لأنّ أهل نجد لا يرضون ولاية التّرك ولا أتباعهم، وثارت ثائرة الحرب بين فيصل وخالد من جديد.

وحفلت الفترة الباقية من سنة ١٢٥٣ هـ بالمناوشت بين طرفي القتال حتى كانت أواخر العام حين وصلت إلى ينبع حملة أخرى أرسلها محمد علي بقيادة خورشيد باشا. بدأ خورشيد منذ نزل المدينة المنوَّرة يُصانع الإمام، أرسل إليه الرسل والهدايا مع دعوة إلى الاستسلام، وفي أول ذي الحجَّة ندَب الإمام أخاه جلوي بن تركي لمقابلة خورشيد في المدينة المنوَّرة ومعه هدايا من الركائب العمانيات والخيل والقيلان، فتقبَّلها وطلب من جلوي البقاء عنده ليُصاحبَه في ذهابه إلى القصيم، وفي صفر سنة ١٢٥٤ هـ رحل خورشيد من القصيم فنزل عُنيزة وأمضى بها فترة تفقَّد فيها المنطقة وخطَّط للوثبة التالية، وكان خورشيد، وهو في القصيم، على صلة تامة بإسماعيل وخالد بن سعود في الرياض يمدُّهما بالنجدات من الجنود والمؤن والعتاد في وقت كانت تُعاني فيه الرياض من شدَّة القحط والغلاء، وأحسَّ جلوي بما يُضمِر خورشيد من نوايا الغدر فاستأذن في الذّهاب إلى بُريدة لبعض شأنه فأذِن له خورشيد، وما كاد يخرج من عُنيزة حتَّى اتجه مسرعاً إلى أخيه الإمام، وكان ينزل الخَرج، ليخبرَه أن خورشيد يُعدُّ لقتاله. . فلما كانت الأيام الأولى من رجب سنة ١٢٥٤ هـ، رحل خورشيد بعسكره إلى الوشم ولم يلبث أن سار إلى الرياض، فدخلها وفيها خالد بن سعود.

مكث خورشيد في الرياض بضعة أيام وخرج منها هو وخالد بن سعود «بالعساكر العظيمة» يقصدون «الدَّلم» وفيها فيصل بن تركي، وثبت فيصل للقتال، ودارت بين قوّاته وقوات خورشيد وخالد معركة حامية عند الخَراب على مقربة من نعجان (شعبان سنة ١٢٥٤ هـ) لم يكن النَّصر فيها حليفَ الإمام لتباين القُوى واختلاف العُدَّة والعتاد، وعاد فيصل والذين معه إلى منازله قُوَى العدوّ عند سمحة وقصر هينة والسَّلَمية والحائر.

ولكنَّ الإمام فيصل رأى بحكمته ألاَّ فائدة من بذل الأرواح وتعريض البلاد للدَّمار والخراب في حرب ضروس تدور بين قوَّتين غير مُتكافئتين الويل فيها للغالب والمغلوب، وقد رأى السَّلام أفضل، وأرسل إلى خورشيد يعرض المصالَحة. فرحَّب خورشيد بذلك وأبدَى استعداده لقبول شروط الإمام على أن يُسافر الإمام إلى مصر حتّى لا تثور ثائرةُ الحرب من جديد.

وتمّ الصُّلح في الثالث عشر من رمضان ١٢٥٤ هـ، وتوجَّه الإمام فيصل إلى المدينة المنوَّرة، ورحل منها إلى مصر لثمان بقين من رمضان، وبرفقته أخوه «جلوي» وابن أخيه عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله[١] وولداه محمَّد وعبد الله، وأُنزل في مصر منزلةً كريمة تحت حراسة مشدَّدة، يقضي ليلَه في التَّهجُّد والصَّلاة ونهاره في الصَّلاة وتِلاوة القرآن. وهكذا افتدَى فيصل بلادَه بما عُرف عنه من رَويَّة وسداد رأي، جنَّبها ويلاتِ حرب طويلة الأمد مجهولة النتائج حين عرضَ الصُّلح وحين أتمَّه، وانتهى بهذا الصُّلح الطورُ الأولُ من حكمه، ولم تطُل غَيبته في مصر، فسرعان ما خرجت القوات الأجنبية من البلاد، وسرعان ما عاد فيصل إلى نجد يستأنف حُكمه لها، عزيزةَ الجانب، محرَّرةً من كلِّ آثار العدوان.

ودارت عجلة التاريخ دوراناً آخر.

خدم محمد علي أغراض السلطان العثماني خدمات جُلَّى في أوقات عصيبة مرَّت بالدولة، كان أكثر الوُلاة طاعةً وأسرعهم تجاوُباً، لبَّى نداء السلطان حين أهاب به أن يحمل على جزيرة العرب لإخماد الحركة الإصلاحية التي دعا إليها الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب خشية أن تكون خروجاً على السلطنة والخلافة ونزوعاً

---

(١) هو عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن سعود الملقب بصنيتان، غلب عليه وعلى ذريته هذا اللقب (ابن بشر: عنوان المجد، هامش ص ٣٢٧).

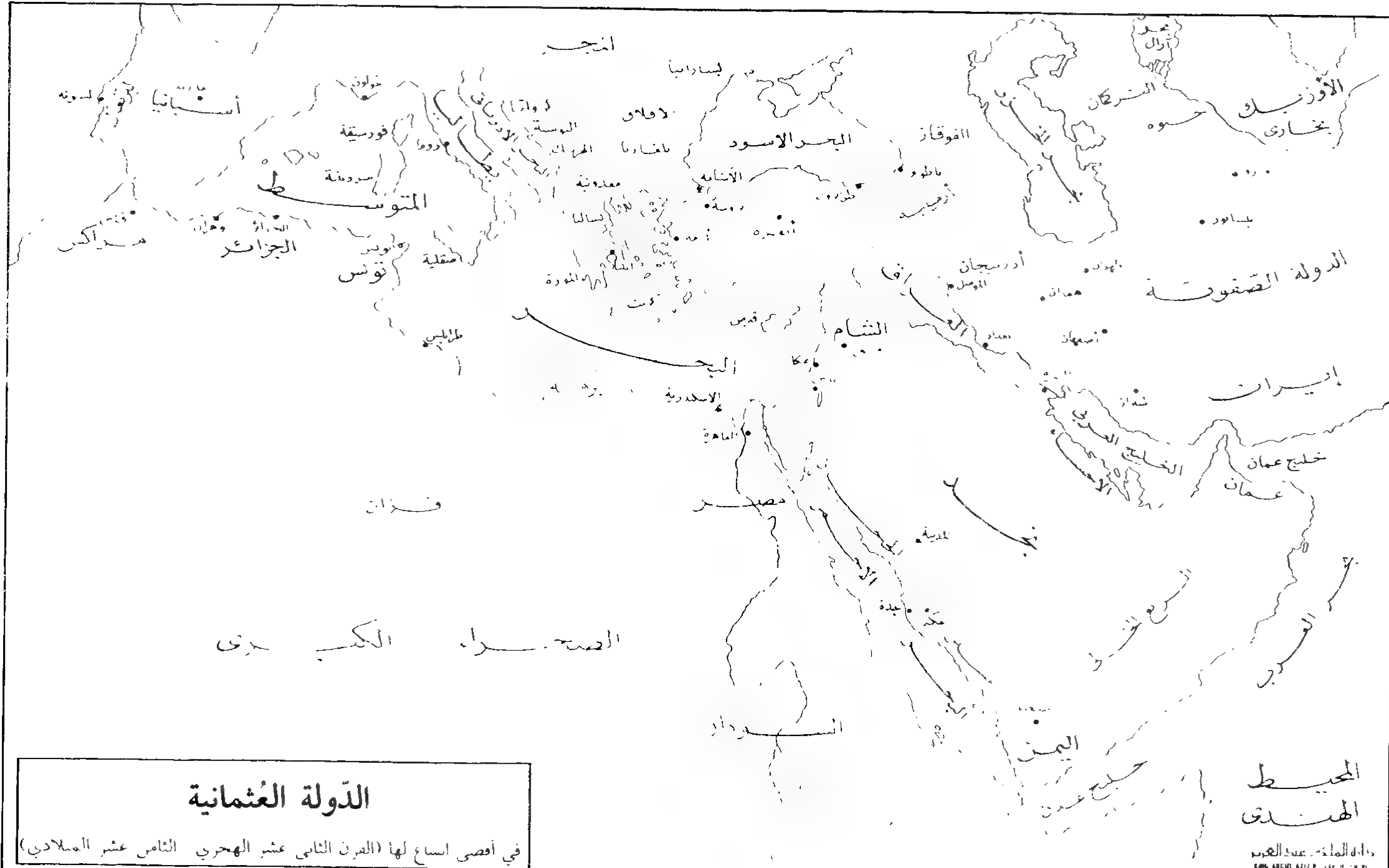
إلى الاستقلال. وكانت نجد في زعم الدَّولة العثمانية تابعةً لحكم آل عثمان، وما زال محمد علي بالجزيرة العربيَّة حتى استولى على الحجاز وعسير وتِهامة وتغلغل في نجد حتى الدَّرعية، وأجرى بها ابنه إبراهيم ما أجرى من دمار وتخريب وقتل وحرق مما تسودُّ من جرائمه الوجوه وتقشعرُّ من هوله الأبدان.

كما لبَّى نداء السلطان وهو يدعوه إلى الوقوف بجانبه في حرب المُورة سنة ١٢٣٧ هـ/ ١٨٢١ م، ولقد أسهم محمَّد عليّ إسهاماً واضحاً في إخماد ثورة المُورة، وكان هذا الجزء من بلاد اليونان قد أعلن استقلاله عن الدَّولة، وأدَّت قوات محمَّد عليّ البريَّة والبحرية دوراً كبيراً في إرهاب الثوَّار وكادت تُخفِقُ الثورةُ لولا أن تدخلت الدُّول الأوروبية[١]، ذلك أن هذه الدول وقفت إلى جانب اليونانيين وأيدت حقَّهم في الاستقلال، وتفطَّنت إبَّان ذلك إلى خطر بدأ يهدِّد أمْنَ هذا المنطقة هو ظهور قوة جديدة يُخشى منها على الدَّولة العثمانية ذاتها هي قوة محمد علي، ومن ثمَّ أخذت بريطانيا وحُلفاؤها يعملون على تحطيم الأسطولين المصري والعثماني في معركة «نڤارين» سنة ١٢٤٣ هـ/ ١٨٢٧ م وانكسرت بذلك شوكة محمد علي إلى حدّ، وآثر الانسحاب محتفظاً بقواته يستعين بها على ما كان يدور بخلده من أطماع. استجابَ لمفاوضات الدُّول الأوروبيّة وسحب قُوَّاتِه من المُورة متخلياً عن الباب العالي في أحرج ظروفه وأعصبِها، وبدأت الوحشةَ بينه وبين الدَّولة.

وبدأت تنكشف النوايا الحقيقية لمحمَّد علي. انتهز فرصة خلاف تافه وقع بينه وبين والي عكَّا سنة ١٢٤٦ هـ/ ١٨٣٠ م فأرسل حملةً بقيادة ابنه إبراهيم اكتَسحت الشام دون مقاومة، رحَّب بها الشاميُّون رغبةً في الخلاص من الحكم العثماني وتأثُّراً بالشعارات العربيَّة التي رفعها إبراهيم، ولم يقف زحفُ الجيش الغازي عند حدود الشام الشمالية، بل اقتحمها موغِلاً في الأناضول حتَّى بلغ «كوتاهية» وصار قاب قوسين أو أدنى من الآستانة عاصمة الخلافة.

---

(١) إنجلترا وروسيا والنمسا وبروسيا في ذلك الوقت.


الدّولة العُثمانية
في أقصى اتساع لها (القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي)
المحيط
الهندي
إيران
الدولة الصفوية
الأوزبك
بخارى
التركمان
القوقاز
البحر الأسود
الأناضول
الشام
مصر
اليمن
عمان
خليج عمان
الخليج العربي
البحر المتوسط
الجزائر
تونس
صقلية
سردينة
فورسيقة
أسبانيا
مراكش
طرابلس
فزان
الصحراء الكبرى
السودان
الإسكندرية
القاهرة
المدينة
مكة
جدة
اصفهان
همدان
تبريز
أذربيجان
الموصل
شيراز
لشبونة
فرنسا
جنوة
البندقية
المجر
الأفلاق
بسارابيا
بلغاريا
مقدونية
البوسنة
بلغراد
الصرب
أرضروم
طرابزون
أنقرة
قبرص
عكا
نجد
دارة الملك عبد العزيز

أفاقت دول أوروبا إلى خطورة الموقف وما قد ينجم عن استيلاء محمد علي على عاصمة الدولة العثمانية وضمّ أملاك الدولة إلى أملاكه، مما يزيد من قوَّته ويحول بين الدُول الكبرى وبين تحقيق أطماعها الاستعمارية في الشرق. ودارت المراسلات بين إنجلترا وروسيا والنَّمسا وبروسيا حول الخطورة التي يُشكِّلها تقدم محمَّد علي في الأناضول وتهديده للعاصمة التركية، وكانت الدولة العثمانية. في ذلك الوقت. غايةً في الضَّعف تكاد تلفظ أنفاسَها الأخيرة.

وأجمعت الدُولُ الكبرى سالِفة الذِّكر على ضرورة عقد مؤتمر يعالج المشكلة. وعُقد في لندن في شهر يونيو ١٨٤٠ م/ ١٢٥٦ هـ مؤتمر دُعيت إلى حضوره الدَّول العثمانيَّة تستهدف مداولاته الإبقاءَ على الدَّولة العثمانية وحرمان محمَّد عليّ من الأراضي التي اغتصبَها وردها إلى الدَّولة، بل وحرمانه من مصر ذاتها بإعادتها إلى السِّيادة العثمانية.

وانتهت مداولات المؤتمر المنعقد في لندن باتفاق السُّلطان العثماني مع ملكة بريطانيا وأمبراطور النمسا والمجر وبُوهيميا وقيصر روسيا وملك بروسيا على تسوية المشكلة على الوجه الآتي:

١) يمنح السلطان محمّداً عليّاً وسُلالته المباشرة من بعده باشويَّة مصر[١] ويمنح باشويّة عكا[٢] مدّة حياته، مع إدارة قطاع من سورية، يحدَّد فيما بعد ـ شرط أن يقبل هذه المِنَح بعد تبليغه إياها في الإسكندرية على يد مندوب مُوكَّل من السُّلطان.

٢) وفي مقابل ذلك يتعهَّد محمَّد علي بتسليم مندوب السُّلطان «الأوامر التي يُصدرها لقوَّاد البرِّ والبحر بالانسحاب من جزيرة العرب والمدن المقدَّسة وجزيرة كريت ومن الأجزاء الأخرى المملوكة للسُّلطان مما هو خارجٌ عن حدود مصر وحدود ولاية عكا». فإذا لم يقبل محمَّد عليّ هذه التَّسوية خلال عشرة أيام، يعدِل السُّلطان عن مَنْحِه باشويَّة عكا، ويقتصر الأمرُ على منحِه باشويَّة مصر وحدَه يحكمُها هو وسلالته المباشرة من بعده بالتَّوارث ـ شرط أن يقبل هذا خلال عشرة أيام أخرى تالية للعشرة الأولى، وأن يُسلِّم لمندوب السلطان الأوامر اللازمة لقوّاد البرِّ والبحر بالانسحاب على الفور.

---

(١) ولاية مصر.

(٢) ولاية فلسطين.

وجاء إلى الإسكندرية يوم ١٤ من أغسطس ١٨٤٠ م «رفعت بك» مندوب السُّلطان، وزار، وبرفقته قناصل الدُّول الأربع، محمّداً عليًا وأنهى إليه ما استقرَّ عليه الرأي بين الأطراف المعنيَّة بالمسألة، وأبلغه شروط «معاهدة لندن»، فأبى محمَّد عليّ واستكبر وقال إنَّ ما يؤخذ بالسَّيف لا يُردُّ إلا بالسَّيف، فأُمهل عشرة أيام عاد بعدها مندوب السُّلطان يطلب الجواب فكان أن رفض محمَّد عليّ، فأُبْلِغَ ألاَّ حقَّ له إلَّا في ولاية مصر وحدها، ثم أُمهل عشرة أيام أخرى - وعندئذ رغب محمَّد عليّ أن يكون المندوب وسيطاً بينه وبين السُّلطان بغير تدخل الدُّول، عرضَ محمَّد عليّ على السّلطان أن تكون مصر له ولورثته من بعده وأن يكون له حكم سورية مدّة حياته، فرفضَ السُّلطان ورفضت الدُّول الأربع ما عرض محمد عليّ، واستقرَّ الرأي عند الأطراف المتشاورة على حرمانه من ولاية مصر ذاتها.

وفي يوم ٢٢ من نوفمبر ١٨٤٠ م/ ١٢٥٦ هـ وصل إلى مياه الإسكندرية أسطول بريطاني مكوَّن من ثمان بوارج، وجَّه قائده الجنرال «نابيير» إنذاراً إلى محمد علي بضرورة التسليم. وبعد أخذٍ وردٍّ استدام خمسة أيام أذعَن محمد علي وقرَّر الجلاء عن جميع أراضي السُّلطان العثماني ما عدا مصر التي تبقى في حوزته، على أن تكفل الدُّول المتحالفة حقَّه فيها.

وفي الثالث عشر من فبراير ١٨٤١ م أصدر السُّلطان العثماني فرماناً بإسناد ولاية مصر إلى محمَّد علي يحكُمها هو وسلالته المباشرة بالتَّوارث، وتمَّ جلاء قواته عن جميع البلاد التي استولى عليها باسم السُّلطان تارة واغتصاباً من السُّلطان تارةً أخرى.

وعلى هذا النَّحو من الانحدار والاستسلام انتهى حكمُ محمد علي للجزيرة العربيَّة. تلقَّت قوَّاته الأمرَ بالخروج منها صاغرةً، وزال بالقهر والقسر حكم قسري من العدوان والبغي، وأخذت البلادُ تتنفَّس الصُّعداء لولا تلك الآثار الأسيفة التي خلَّفها حكما خالد بن سعود وعبد الله بن ثنيّان فيما بين عامي ١٢٥٤، ١٢٥٩ هـ، من فوضى وإضعاف وانحلال، مما جعل مهمَّة استصلاح الأحوال شاقةً وعسيرة بالنسبة لمن يَلي الحكم من الأئمَّة الشرعيِّين.

وعاد الإمام فيصل إلى نجد منطلقاً من عِقاله في مصر أوائل سنة ١٢٥٩ هـ / ١٨٤٣ م ومعه أخوه جلوي وابن عمِّه عبد الله وولده إبراهيم، نزل مدينة «حائل» وهناك استقبله أميرها عبد الله بن علي بن الرشيد بالحفاوة، وقدَّم له الرجالَ والمال،

وأرسل الرُّسلَ إلى رؤساء البلاد وأمرائها مبشِّراً بوصول الإمام وصَحْبه، وكان أهلُ عنيزة أوَّل من تلقَّى الخبر ورحبوا بالإمام، بعث رئيسُها عبد الله بن سليمان بن زامل رسولاً يدعو الإمام إلى زيارة عُنيزة، فلبَّى الإمام، وانتقل مع أصحابه وأنصاره إليها، وكان ذلك بداية تحرُّكه لاستلام الرياض.

سمع عبد الله بن ثنيَّان بوصول الإمام فجمع بعض أنصاره وقصد بُريدة يبغي قتاله، وسرعان ما تبيَّن عجزه فعاد إلى الرياض.

وسَرت أخبار وصول فيصل مسرى الرِّيح، فأقبل عليه رؤساء البلاد يجدِّدون له البيعة، فغادر الإمام عُنيزة إلى «الوشم» وتلقَّى بيعة أهلها، وسار إلى «حريملا» وبقي فيها أياماً تتوالى عليه الوفود من كل صوب تبايعه على السَّمع والطاعة. ومن حريملا أرسل إلى ابن ثنيَّان يدعوه للمصالحة حقناً للدِّماء، على أن يغادر الرياض بأتباعه وجنوده إلى حيث يشاء، وأن يكون له من الخراج ما يكفيه، فرفض ابن ثنيَّان وأصرَّ على المقاومة، عندئذ تقدم فيصل إلى «سدوس» ثم إلى «منفوحة» وصار على مقربة من أنصاره في الرِّياض وأخذ يراسلهم في السِّر للاتفاق على الطريقة التي يقتحم بها المدينة ـ واقتحم «جلوي» الرِّياض تحت جُنح الظلام طبقاً لخطَّة مرسومة، واستولى عليها ولاذَ ابن ثنيَّان بالقصر فتحصَّن فيه، ودخل الإمام الرياض دون مقاومة؛ وبعد حصار حول القصر دام عشرين يوماً أرسل ابن ثنيَّان إلى فيصل يطلب الصُّلح فأرسل إليه «عبيد الرشيد» يفاوضه، ولم تُسفِر المفاوضة عن نتيجة، وخاف ابن ثنيَّان مغبَّة المراوغة، فغادر القصر ليل ثاني عشر من جمادى الأولى متخفياً، إلاّ أن رجلاً من أنصار الإمام قبض عليه وجاء به إليه فجرَّده الإمام من سلاحه وزجَّ به في السِّجن، وبقي ابن ثنيَّان في سجنه في منتصف جمادى الأخرة، أمَّا الَّذين كانوا معه فقد عفا عنهم «فيصل»، وخلُصَت البلاد لإمامها الشرعي، فاستأنف حكمه لها لمدى ثلاثة وعشرين عاماً لا يقوى على منازعته مُنازع.

استقرت الأمور في نِصابها، وهدأت الأحوال في نجد، وراح فيصل يستعيد سلطان آل سعود في نواحي الخليج. غزا آل مُرَّة وأعادهم إلى الطاعة، وسار إلى القطيف فأمَّن سيادته عليها، وذهب إلى الدمام وكان قد نزلها رؤساء البحرين (عبد الله ابن خليفة وأبناؤه) فحاربهم حتَّى سلَّموا وجلوا، غنِم أموالهم وقفَل راجعاً إلى الأحساء بعد أن ترك حاميةً ترابط في قصر الدَّمَّام ـ كان ذلك في أواخر سنة ١٢٦٠ هـ.

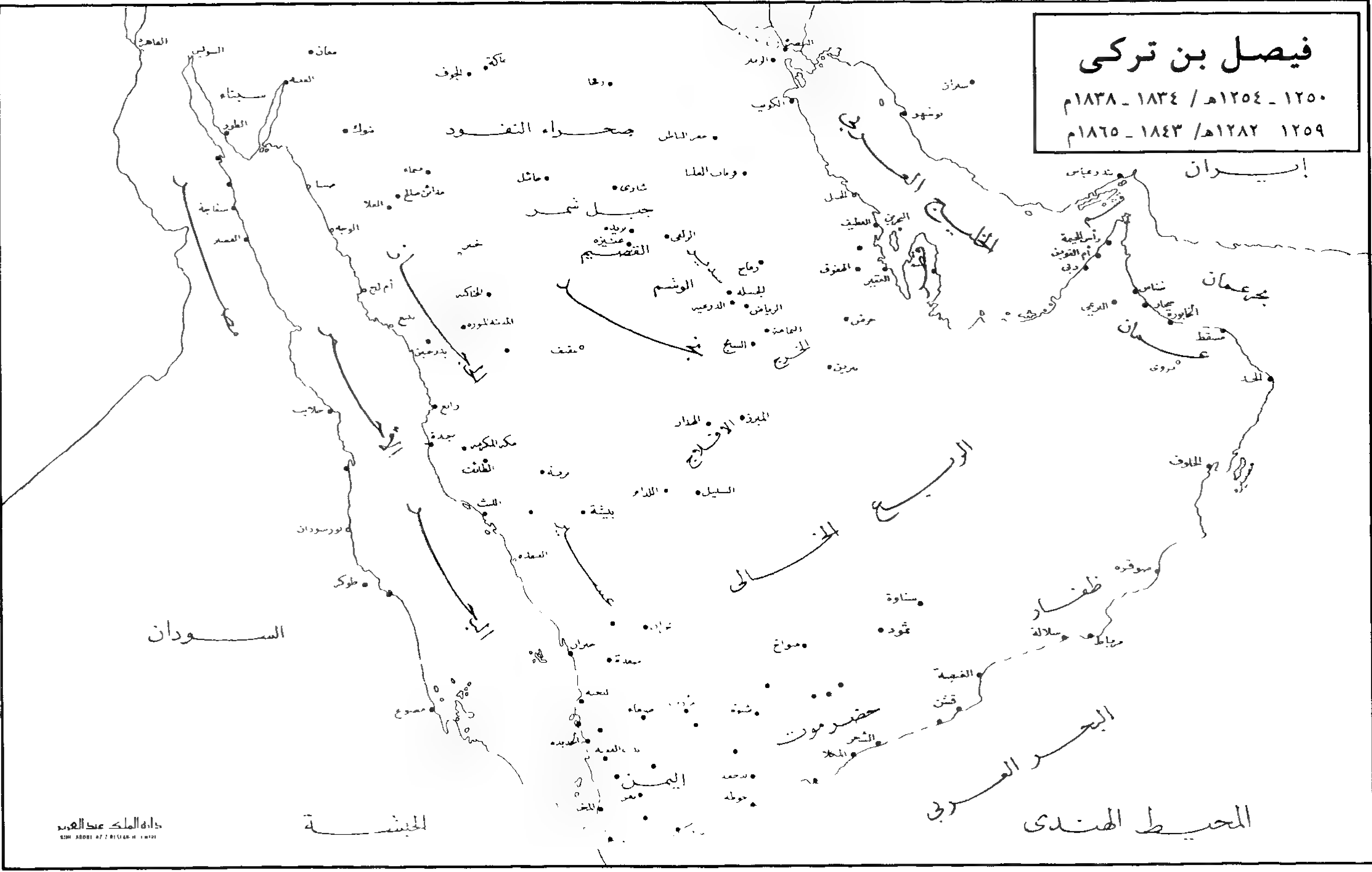
وفي الأحساء أقام نحو أربعين يوماً وفد عليه خلالها رؤساء العربان، ورؤساء عمان وابن سُويط رئيس الظَّفير يقدِّمون الطَّاعة والولاء ثمَّ رحل آيباً إلى الرِّياض.

وفي سنة ١٢٦١ هـ سار الإمام فيصل إلى الأفلاج لاضطراب وقع هناك، فضرب على أيدي المفسدين، وفي نفس العام وقع اضطراب آخر في سيح آل حامد من الدَّواسر، فأرسل الإمام غزواً بقيادة أخيه جلوي أتبعه بغزو آخر يقوده ابن أخيه عبد الله بن إبراهيم، وحقَّق الغزوان نجاحاً كبيراً، وطلب العابثون الصُّلح وبايعوا على دين الله ورسوله والسمع والطاعة.

وفي أواخر سنة ١٢٦١ هـ تصدَّى «فلاح بن حِثلين»[1] رئيس العُجمان ومعه قومه ورجال من سُبيع إلى «حاجٍّ» كثير من الأحساء والقطيف والبحرين والعجم فأمر الإمام فيصل بغزو هؤلاء، وخرج من الرياض آخر ذي القعدة ومعه الشيخ عبد الرحمن بن حسن ونزل قرب حريملا، وتريَّث حتى اجتمع له عدد وفير من الجُند ورحل إلى «القطيمة» حيث وافاه متعب بن عبد الله بن الرشيد أمير الجبل بغزو من شمَّر ومعه هديَّة من الخيل والرِّكاب، وما إن سمع ابن حِثلين بهذا الغزو حتَّى انهزم إلى دِيرة بني خالد، ثم رحل الإمام فنزل «مُجزِّل»، وهناك وافاه علماء سُدير مرحبين مؤيِّدين، ثم انتقل فنزل «رُبَيداء»، الماء المعروف في ديرة بني خالد، وهناك وافاه رؤساء العُجمان وسُبيع يسألونه ألاَّ يأخذهم بجريرة ابن حِثلين، وأبدوا رغبتهم في الانسلاخ عنه، فعفا عنهم وأمرهم بالتَّخلِّي عنه والخروج من دِيرة بني خالد ففعلوا، وهرب ابن حِثلين إلى «محمد بن هادي بن قرملة» وكان نازلاً على «الخفس» الماء المعروف في «العرمة» فلاحقه الإمام هناك ولكنَّه تمكَّن من الفرار. وقَفل الإمام راجعاً إلى الرياض مرجئاً أمر ابن حِثلين ليظفرَ به في وقت آخر.

---

(١) وكان الإمام تركي بن عبد الله قد أصلح بينه وبين قومه العجمان وأحسن إليهم وبذل فيهم العطاء وأنزلهم ديرة بني خالد في الأحساء وصارت لهم بذلك شوكة.


فيصل بن تركي
١٢٥٠ _ ١٢٥٤هـ / ١٨٣٤ _ ١٨٣٨م
١٢٥٩ ١٢٨٢هـ/ ١٨٤٣ _ ١٨٦٥م
إيران
الخليج العربي
صحراء النفود
جبل شمر
القصيم
الوشم
الربع الخالي
حضرموت
اليمن
البحر الأحمر
البحر العربي
المحيط الهندي
السودان
الحبشة
ظفار
عمان
جبل عمان
مصر
نجد
الحجاز
عسير
دارة الملك عبدالعزيز

وكان ابن حثلين قد وقر في نفسه أنه لا يستطيع العودة إلى ديرة بني خالد بغير مصافاة «الدُّويش» زعيم مُطير، فسار بعَدد قليل من العُجمان إلى «ابن غنيمان» رئيس الملاعبة من مطير يطلب منه أن يُخبره وأن يجمع بينه وبين الدُّويش فأبى وأرسل يُخبر الدُّويش، فركب هذا من فوره إلى ابن غنيمان ورحل معه بابن حثلين ورجاله فأدخلهم في عُربان مطير. وركب الدُّويش في نفر من قومه إلى الرِّياض، فلما قدموا على الإمام تحدَّث إليهم بما فعل ابن حثلين بالمسلمين من حاجِّ بيت الله مما يستوجب إمساكه والثأر منه، فلم يخالف الدُّويش رغبة الإمام، وأركب فيصل مع الدُّويش رجالاً يُمسِكون بابن حِثلين، فساروا إليه وأمسكوا به وقصدوا به إلى الأحساء وأميرُها حينذاك أحمد السُّديري وأدخلوه «قصر الكوت» وقتلوه جزاءً وفاقاً على ما فعل من قطع السَّبيل على حجاج البيت الحرام.

وفي سنة ١٢٦٤ هـ سار فيصل إلى عربان الدَّعاجين من عَتيبة ليؤدبهم على ما بدر منهم من عدوان على قافلة للحجَّاج، وفي نفس العام ركب إلى الخرج يرتِّب الحُصون وينظر في العيون[١]، وجعل ابنه «سعود» أميراً على هذه النّاحية وأنزله قصر الدَّلم فعمَّر ما خُرِّب وأشاع الأمن والطمأنينة هناك.

كان فيصل على عادة آل سعود يندب أبناءه لتأديب المارقين، وكثيراً ما ندب عبد الله لإخماد حركات المفسدين في القصيم وأرض العُجمان فيما جاوَر الكويت فأحرز من النصر ما ثبَّت أركان الدَّولة وأراح بالَ الإمام.

كان فيصل شديداً لا يقبل الهوادة فيما يراه من حَقِّ الله وحقِّ الوطن وحقِّ الرعيَّة، لا يُغمِض عينه عن كبيرة أو صغيرة يرى فيها مساساً بالدِّين أو الدَّولة، يُقيم على الأنحاء من يرى فيه الصَّلاح، ويعزل من يرى فيه العِوَج، أدَّب العُصاة وأخمدَ الفِتَن، كَبَح الشرودَ وحدَّ الحدود وكفل للبلاد، بحَزمه وعزمه وحسن سياسته وعدلِه، الأمن والرَّخاء والمكانةَ الرفيعة؛ توفي رحمه الله في الرِّياض لِتسع بقين من رجب سنة ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م.

وكانت لفيصل سياسة خارجيَّة تشبه سياسة سلفِه سعود الكبير من حيث مصافاة الدُّول التي تعترف بحقِّ آل سعود في أرضهم وبما حقَّقوه من سيادة ناحية الشرق والجنوب الشرقي من الجزيرة العربيَّة في الأحساء وعُمان، وكانت بريطانيا حريصةً على صداقة آل سعود، تعترف بحقوقهم التَّقليديَّة في الأحساء والبوريمي، وترى

(١) عيون الماء التي يشتهر بها هذا الإقليم.

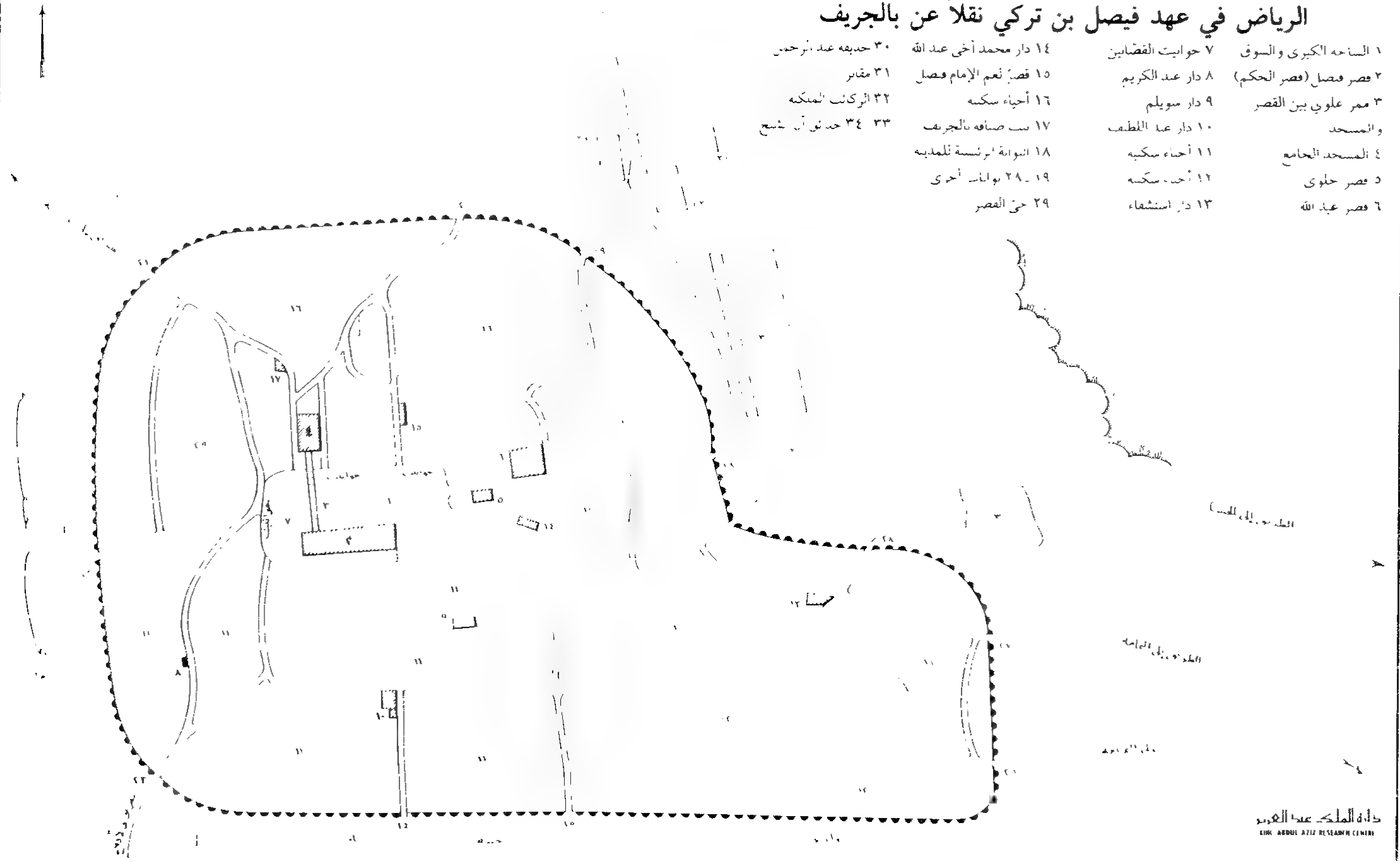
فيهم القوّة النّامية الّتي تحفظ التّوازن في الجزيرة، وبالأخص في منطقة الخليج.

أمّا بالنسبة للدّولة العثمانية فكان آل سعود على غير وفاق معها منذ انتزع سعود ابن عبد العزيز الأحساء من آل حُميد من بني خالد سنة ١٢٠٧ هـ في إمامة أبيه عبد العزيز بن محمّد بن سعود وكانت حينذاك من أملاك الدّولة.

وكان الحجاز ولاية عثمانيّة يحكمها أشرافُ مكة والمدينة، وكثيراً ما ث الخلاف بين آل سعود في نجد وأشراف الحجاز دون ما سبب ظاهر. كان الأشراف بين الحين والحين يتخطّوْن الحدودَ التي رسمتها الطبيعة بين نجد والحجاز فيشنُّون الغارات العاصفة على ربوع نجد ثمّ يعودون بالغنائم. وكان آلُ سعود برغم ذلك يحتفظون لهم بالمودّة ويرعون معهم حقّ الجوار.

لزم فيصل مع الأشراف سياسة مقابلة السّيئة بالحسنة.. ردَّ حملةً قام بها الشريف «محمد بن عون» سنة ١٢٦٢ هـ، ما كاد فيصل يشخَص إلى القصيم لملاقاة الشريف وقبل أن يلتقي به تخاذل ابن عون وأرسل عبد الله بن لُؤي إلى الإمام يطلب الصُّلح، ثم عاد فعدل، أغراه نُصَحاء السُّوء بالتقدُّم إلى شقرا فتصدَّى له فيصل. واستبدَّ الخوف بالشَّريف وتملّكه الرُّعب فأرسل ابن لؤيّ إلى الإمام يُعاودُ طلب الصُّلح، فكتب الإمام إليه يقول: إنَّ لك عندنا الإجلال والسَّماحة والاحتمال. وقولك مقبول وما طلبت فهو مبذول ـ بشرط أنه ليس لك في رعيّتنا نهي ولا أمر. لا في القصيم ولا في العربان ولا في غيرهم، وأن تدفع إلينا بما وصل إليك من مُراسلات أهل نجد، فأعطاه الشريف ما أراد، فأرسل الإمام إليه هديَّة سنيَّة من الخيل والعمانيَّات ودراهم ليست بالكثيرة، فأخذها ورحل عائداً إلى الحجاز في منتصف رجب سنة ١٢٦٣ هـ.

وفي أواخر حكم الإمام فيصل زار الرَّحالة الإنجليزي بالجريف Palgreave الجزيرة العربيّة، اخترقها من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي ماراً بحائل والرّياض، وصف أحوالها الطبيعية والاجتماعية والسياسيّة. وخصَّ نجداً والرِّياض والدَّرعية والعيينة بكثير مما دوَّنه من فصول كتابه، وعرض لدعوة الشيخ وسجل لآل سعود مؤازرتهم للدعوة الإصلاحية، وترى الرياض من خلال ما وصف الرَّحّالة وخطّط مدينةً حصينة ذات أسوار وأبراج وأبواب، تشقُّها الشوارع الطولية والعرضيَّة وتتوسَّطها ساحة كبيرة حيث قصر الحكم والسوق والمسجد الجامع، كثيرة الدُّور والقصور، آهلة بالسكّان، تحيط بها من الجنوب والغرب والشمال الحدائق وأحراشُ النّخيل.


الرياض في عهد فيصل بن تركي نقلاً عن بالجريف
١ الساحة الكبرى والسوق
٢ قصر فيصل (قصر الحكم)
٣ ممر علوي بين القصر والمسجد
٤ المسجد الجامع
٥ قصر جلوي
٦ قصر عبد الله
٧ حوانيت القصابين
٨ دار عبد الكريم
٩ دار سويلم
١٠ دار عبد اللطيف
١١ أحياء سكنية
١٢ أحياء سكنية
١٣ دار الاستشفاء
١٤ دار محمد أخي عبد الله
١٥ قصر نعم الإمام فيصل
١٦ أحياء سكنية
١٧ بيت صافه بالجريف
١٨ البوابة الرئيسية للمدينة
١٩ ـ ٢٨ بوابات أخرى
٢٩ حي القصر
٣٠ حديقة عبد الرحمن
٣١ مقابر
٣٢ الركائب الملكية
٣٣ ـ ٣٤ حدائق آل الشيخ
دارة الملك عبد العزيز
KING ABDUL AZIZ RESEARCH CENTER

أهمّ الأحداث في إمامة فيصل بن تركي

١٢٥٠ ـ ١٢٥٤ هـ / ١٨٣٤ ـ ١٨٣٨ م

١٢٥٩ ـ ١٢٨٢ هـ / ١٨٤٣ ـ ١٨٦٥ م

١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م:

تولى الإمامة سنة ١٢٥٠ هـ، بويع بها على أثر وفاة أبيه الإمام تركي وكان وقتئذ يغزو في الأحساء، بايعه جنده وقاده جيشه وهو في الغزو[١]، ثم بايعه الناس في الرياض غداة مصرع مشاري بن عبد الرحمن بن مشاري بن سعود يوم الخميس حادي عشر من صفر ١٢٥٠ هـ، وكان قد استولى على الحكم فترة قصيرة على أثر غدره بالإمام تركي يوم الجمعة آخر ذي الحجة ١٢٤٩ هـ.

١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م:

رحل من الأحساء لا يكاد يشعر بحركته أحد، عائداً إلى «الريض»، فلما كانت ليلة الثلاثاء تاسع عشر من المحرم نزل قريباً منها وبعث بنفر ممن كان معه من أهلها، «يمسكون البروج والبيوتَ المقابلة»، سكت عنهم من كان من الرجال في البروج فدخلوا البيوت والأبراج، فلما أحاطوا به عن مدارك الفرار، شبُّوا النار بالبنادق وصاحوا بالثأر ـ ولما كان بعد صلاة الصبح ركب فيصل من مكانه ودخل الرياض، وفرَّقَ الرجال في البيوت والبروج وأعلن الحرب على من في القصر. يقول ابن بشر: كان فيه مع مشاري مائة وأربعين رجلاً منهم «سويد بن علي» رئيس

(١) كان معه من رؤساء المسلمين الأمير عبد الله بن علي بن رشيد رئيس جبل شمّر وعبد الله بن حسن رئيس بريدة وتركي الهزاني رئيس الحريق وحمد بن يحيى بن غيهب أمير الوشم ـ وكان أمير الأحساء (من قبل الإمام تركي) محمد بن محمد بن عفيصان (ابن بشر: عنوان المجد ص ٢٩٣).

جلاجل ورجال من سبيع، تابع الحرب عليهم ليل نهار حتى طلبوا الأمان. وصعد من رجال فيصل إلى حيث كان مشاري وأعوانه أربعون. معهم «البطلُ الشجاع والصَّارم القطَّاع» عبد الله بن علي بن رشيد رئيس شمر و «بدَّاح» رئيس آل جيسن من العُجمان «والشجاع المقدام عبد الله بن خميس» رضيع الإمام، وقصدوا مشاري فقتلوه وقتلوا من معه وكانوا ستَّة رجال[1].

وفد على الإمام فيصل أمراء البلدان ورؤساء العربان مهنِّئين.

وفد عليه في الرياض أولاد عبد الله بن خليفة فأكرمهم غاية الإكرام.

وقعت بعض القلاقل في وادي الدواسر، فأمر فيصل بغزوه وهدأت الأحوال، وأغار على نفر من الدّواسر وهم في أرض «العَرمة» وسيَّر بعض الغزو إلى أرض «الودَّاعين» فأقام الغزو بها أكثر من شهر وأقبل رؤساء أهل الوادي على فيصل يبايعونه.

وفي هذه السنة سار فيصل بجنوده نحو «الشُّعرا» فأقام بها نحو أربعين يوماً يجتمع عنده المسلمون بعد صلاة العصر للدرس والمذاكرة، ومن موضعه ذلك بعث العمال لجمع الزكاة من العربان، وممن كانوا يتردَّدون على مجلسه «محمد بن فيصل الدويش» رئيس مطير «ومحمد بن قرملة» رئيس قحطان، وهناك وفد عليه أهل وادي الدواسر يطلبون الصفح فعفا عنهم وبايعوه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة وأرسل معهم أميراً.

١٢٥١ هـ / ١٨٣٥ م:

عزل صالح بن عبد المحسن بن علي عن إمارة الجبل وعيَّن مكانه أميراً «عبد الله بن علي بن رشيد» وبعث معه الشيخ عبد العزيز بن عثمان بن عبد الجبار قاضياً.

سارت العساكر من مكة ومعهم أحمد باشا وشريف مكة «محمد بن عبد المعين بن عون» لمحاربة عسير، فملأوا السهل والجبل، وتمكن أهل عسير بالخدعة أن يهزموا عسكر الشريف وأحلافه، وباءت حملة الشريف بالفشل وغنم أهل عسير كثيراً من خيامهم ومدافعهم وأموالهم.

---

(١) راجع رسالة الشيخ محمد بن إبراهيم بن سيف إلى الشيخ عثمان بن بشر يصف ذلك اليوم (عنوان المجد ص ٢٩٥ ـ ٢٩٨).

يروي ابن بشر (عنوان المجد، ص ٣١١): أن أهل عسير أرسلوا إلى فيصل بشيء غير قليل من سلاحهم وخيلهم.

وأجهز أهل عسير على من كان لديهم من عسكر العدوّ.

وفي هذه السنة بعث الإمام فيصل «زويداً العبد» ومعه مائة مطية إلى ناحية القطيف، فأمر فيه ونهى وعزل رجالاً وثبّت آخرين، ووفد عليه ولد ابن غانم أمير القطيف، وابن عبد الرحيم أمير سيهات فبايعاه على دين الله والسمع والطاعة.

١٢٥٢ هـ / ١٨٣٦ م:

قدم من مصر إلى نجد أمير اللواء إسماعيل باشا ومعه «خالد بن سعود» ونزل ينبع وتقدم إلى المدينة فالحنَّاكية متجهاً إلى الرَّس. استشار الإمام نصحاءه فأشاروا بالتصدِّي للعدوّ في القصيم قبل وصوله إليه، واستنفرَ الإمام رعيته في الأحساء والجنوب والوشم وسدير فنَفرت إليه وسار من الرياض في آخر شوال ونزل «الخفيسة» عند الدهناء[1] وأقام فيها أياماً حتى اجتمعت له المقاتلة من كل مكان، ثم رحل إلى «الصريف»، الماء المعروف قرب التنُّومة في القصيم. فأقام عليه أكثر من شهر، وكان خالد بن سعود وإسماعيل ومن معهما قد نزلوا «الرَّس». عندئذ رحل فيصل إلى «عنيزة» واستنفرَ أهلها فركب معه أميرها «يحيى بن سليمان» ثم إلى بريدة فنفرت معه، وسار الإمام بمن معه فنزل «رياض الخبرا» فأقام بها أكثر من عشرين يوماً وهو محارب لعساكر الترك ولكن لم يحصل بينهم قتال. وبعث بسريَّة إلى أهل الشنانة ولكنها لم تلق نجاحاً، وعاد الإمام فاستشار، فأشير عليه بأن يلزم عنيزة، يخرج منها إلى العربان الذين تابعوا عسكر العدوّ يؤدِّبهم ثم يعود قافلاً إلى عُنيزة أو بُريدة.

وأخيراً وحتى لا يحدث اشتباكٌ لا طائل تحته بينه وبين قوات العدوّ، رأى الإمام العودةَ إلى الرياض ومعه أهل الخرج والفرع[2]، ومحمد بن قرملة رئيس قحطان وقد أذن له في الرجوع إلى موطنه حين وصل بلدة «ثادق».

---

(١) ابن بشر: عنوان المجد ص ٣١٤.

(٢) يطلق «الفرع» على مجموعة قرى واقعة إلى الجنوب الغربي من الرياض هي: حوطة بني تميم والحريق ونعام والحلوة والقويع ومفيجر.

نزل فيصل بخيامه وأثقاله خارج الرياض ومعه أهل الخرج، وتمكن بالدهاء من أن يخرج من قصر الرياض ما أراد إخراجه من مال وسلاح وأمتعة، وجعله عند رحائله وخيامه خارج البلدة، وأمر غزو الخرج بالرحيل بما معهم فرحلوا، أما هو فلم يغادر الرياض حتى كان قد استحوذ على أربعمائة من الجياد وعدد كبير من العمانيات النجائب، ووصل الخرج وأقام به عشرة أيام ولحقه بعض أهله ثم رحل إلى الأحساء فنزل «الرقيقة»، فخرج إليه ابن عفيصان ورؤساء أهل الأحساء يبايعونه على النُّصرة، خرج ابن عفيصان من قصر «الكوت» فنزله الإمام بعيله وأثقاله، وأقام بالأحساء حتى آخر ربيع الأول من سنة ١٢٥٣ هـ.

١٢٥٣ هـ / ١٨٣٧ م:

نزل إسماعيل وخالد بن سعود عنيزة، وأمر إسماعيل وخالد رئيسها يحيى بن سليمان باصطحاب «عيسى بن علي» من رؤساء الجبل في القديم وتنصيبه أميراً على الجبل وانتزاع عبد الله بن علي بن رشيد الذي نصَّبه الإمام فيصل قبل عام، فسبقهم إليه النَّذير فهرب من حائل، ودخل عيسى القصر تحميه قوة مؤلفة من أربعمائة فارس يشرف عليها إبراهيم المعاون.

وما أن أقيم «عيسى بن علي» أميراً على الجبل حتى عاد يحيى بن سليمان وإبراهيم المعاون إلى عنيزة وبقي عند عيسى مائة رجل من الترك.

قيل قدم على خالد أناس من أهل الرياض وأطاعت له نجد إلا أهل الخرج والفرع..

فلما كان آخر عاشوراء من هذه السنة رحل إسماعيل وخالد وعساكر الترك من عنيزة وقصدوا الرياض فوصلوها يوم السبت سابع صفر، ونزل إسماعيل وخالد في القصر ونزل العسكر خارج البلدة، فلما كان ربيع الأول خرج إسماعيل وخالد بالعساكر الكثيرة من الرياض لقتال أهل الجنوب وصارت الهزيمة على إسماعيل وخالد وقتل منهم خلائق كثيرة[1]، فلما علم بذلك فيصل خرج من الأحساء بجنوده وحاصر إسماعيل وخالد في الرياض فأعياه أمرهما فارتحل عنهم ونزل الدّلم.

---

(١) إبراهيم بن صالح بن عيسى: تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ـ طبع دار اليمامة ١٣٨٦ هـ ص ١٦٣.

١٢٥٤ هـ / ١٨٣٨ م:

خرج خورشيد باشا من مصر إلى نجد ومعه العساكر العظيمة، ونزل عنيزة لعشر بقين من صفر ووقعت بينه وبين أهل عُنيزة بعض احتكاكات، وفي رجب ارتحل بعساكره من عنيزة وقصد الرياض وبها خالد بن سعود، فلما وصلها وأقام بها أياماً خرج منها هو وخالد وقصدوا «الدّلم» وبها فيصل بن تركي، ووقعت بين الفريقين معركة حامية عند «نعجان»، وصمد فيصل وأعوانه ووقعت الدلم في يد العدو ورغب الطرفان في الصلح وكان قد حلَّ شهر رمضان، وتم الصلح يوم الثالث عشر منه على أن يرحل فيصل إلى مصر فيبقى بها مع قرابته، ودخل فيصل الدّلم وقضى حوائجه منها، وتم الصلح على دماء أهل الدّلم وأموالهم، ورحل فيصل وأخوه جلوي وابن أخيه عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله إلى مصر قبل انقضاء العام.

١٢٥٩ هـ / ١٨٤٣ م:

وأمضى فيصل في مصر ما قدر له أن يقضي فيها، وفي سنة ١٢٥٩ هـ قدم فيصل إلى الجبل هارباً من مصر، فقام معه رئيس الجبل «عبد الله بن علي بن رشيد» فسار إلى عنيزة ثم إلى الرياض، وحاصر «عبد الله بن ثنيان» في قصر الرياض حتى ظفر به في ثاني عشر من جمادى الأولى ١٢٥٩ هـ فحبسه، وتوفي في الحبس في منتصف جمادى الآخرة واستقل بالملك الإمام فيصل.

١٢٦٠ هـ / ١٨٤٤ م:

سار فيصل بجنوده من البادية والحاضرة وقصد الحسا والقطيف فأمَّن فيهما سلطانه ثم سار إلى العجمان ورئيسهم محمد بن جابر الطويل ومعهم أخلاط من سبيع وعاد إلى القطيف، وعيَّن لحكم القطيف عبد الله بن سعد المداوي وعلى الأحساء أحمد بن محمد السديري وأقام في الأحساء نحو أربعين يوماً وفد عليه خلالها رؤساء العربان ورؤساء عمان وابن سويط رئيس الظفير يقدمون الطاعة والولاء.

١٢٦٤ هـ / ١٨٤٧ م:

ركب الإمام إلى الخرج وأقام فيه ينظر في العيون ويرتِّب الحصون وجعل ابنه سعود أميراً هناك.

١٢٦٥ هـ / ١٨٤٨ م:

عيَّن الإمام فيصل أخاه «جلوي» أميراً في عنيزة.

١٢٦٦ هـ / ١٨٤٩ م:

سار فيصل بجنوده وقصد القصيم، فلما قرب من بريدة هرب أميرُها عبد العزيز آل محمد، وقصد مكة فنزل الإمامُ بريدة وعيَّن عبد المحسن آل محمد أميراً مكان أخيه.

١٢٧٠ هـ / ١٨٥٣ م:

خرج أهل عنيزة عن طاعة جلوي بن تركي وأخرجوه منها، فأرسل الإمام ابنه عبد الله لمحاربة أهل عنيزة وسار عبد الله فقصد القصيم ووقعت بينه وبين أهل عنيزة وقعة قتل فيها «سعد بن محمد» أمير ثادق وستة آخرون.

١٢٧١ هـ / ١٨٥٤ م:

وقع الصلح بين عبد الله آل فيصل وأهل عنيزة. ورحل عبد الله وعمُّه جلوي ابن تركي إلى الرياض، وركب عبد الله آل يحيى السُّلَيْم أمير عنيزة إلى الإمام فيصل واستقرَّ الصلح وهدأت الفتنة.

١٢٧٦ هـ / ١٨٥٩ م:

حارب عبد الله آل فيصل العُجمانَ على أرض الكويت في وقعة «مَلَح».

١٢٧٧ هـ / ١٨٦٠ م:

عاد عبد الله آل فيصل فحارب العجمانَ قرب الجهرا وقتل منهم خلائق كثيرة، ثم أغار على عرب ابن سُقيَّان قرب الزُّلفى، وتابع السَّيرَ إلى بريدة فهرب منها عبد العزيز آل محمد ومعه أولاده ورجال من عشيرته وخُدَّامه يقصدون مكة فلحقهم أخيه محمد بن فيصل وأمسك بعبد العزيز فقتله.

١٢٧٩ هـ / ١٨٦٢ م:

في خامس عشر من جمادى الآخرة التقى محمد بن فيصل بأهل عنيزة في واديهم وصارت الهزيمة على أهل عنيزة ـ وفي هذه السنة عيَّن فيصل «محمداً ابن

أحمد السديري» أميراً في بريدة وعزل عنها عبد الرحمن بن إبراهيم.

١٢٨٠ هـ / ١٨٦٣ م:

عيَّن الإمام فيصل «الصالح آل حسين أبا الخيل» أميراً على بريدة وأمر محمّداً ابن أحمد السديري بالارتحال إلى الحسا ليكون أميراً فيه.

١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م:

زار الرحالة الإنجليزي بالجريف الرياض على عهد فيصل بن تركي في رحلته الطويلة عبر شبه الجزيرة العربية ووصف المدينة وصفاً فريداً، أكرم الإمام وفاته وأنزله داراً خاصة طيلة وجوده في عاصمة البلاد[1].

١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م:

وفي هذه السنة لتسع بقين من رجب توفي الإمام فيصل بن تركي في الرياض رحمه الله، وتولى الإمامة بعده ابنه عبد الله بن فيصل.

---

(١) انظر خريطة الرياض على عهد فيصل بن تركي.

جانب من مدينة الرياض تظهر فيه المباني الحديثة [illegible] يحتفظ بعضها للذكرى والعبرة

نظرات خاطفة على تاريخ

الرياض وجغرافيتها

الرياض بين ماضيها وحاضرها

جذورها عميقة في التاريخ، وفروعها في القرن الحادي والعشرين . .

لا تمشي الهوينا، ولكنها تعدو عدواً، بل تطير طيراناً . . في مجال العمران والرقي، وما غاب أحدٌ عن الرياض عاماً واحداً أو أقل من عام، ثم عاد إليها، إلا أدهشه ما يرى فيها من تغيير مثير، حتى إن العالم البلداني «الجغرافي»، الذي يجب أن يصف أحوال البلدان، و «تطورها» ليعجز عن متابعة مسيرة الرياض في توسعها وعمرانها ونهضتها . . فالطرقات والأرصفة والجسور «الكباري» والساحات والمباني الفخمة، وما يتبع ذلك من وسائل الحضارة وأسباب التنعم و «الترفيه»، كل أولئك ينبت هنا وهناك، في الشرق والغرب والشمال والجنوب، كما ينبت العشب الطيب المنور في الموسم الطيب، بسرعة وبكثرة، فإذا القفار تموج ببحرٍ لا حد له من الخضرة والأنوار والأزهار.

وتتحول «الصحاري» وأشباه الصحاري والقرى الغامرة ـ التي تجاور مدينة الرياض المعمورة، وتؤلف «مداها الحيوي» ـ إلى أحياء سكنية أو تجارية أو صناعية، وتندمج في المدينة، فإذا المدينة تكبر وتكبر، مرتين وثلاثاً وأربعاً . . وعشر مرات . . وأكثر وأكثر . . ولا أحد يعرف أين . . ومتى تقف المسيرة الجبّارة!.

وحُقَّ للرياض، عاصمة المملكة العربية السعودية، التي تحتل بين دول العالم كله مكانة عظيمة مرموقة، أن تكون تعبيراً حيًا و «تجسيداً» ملموساً لتقدم المملكة السريع في كل مجالات النهضة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية.

ولصاحب السمو الملكي، الأمير سلمان بن عبد العزيز، الذي تولى إمارة الرياض وهو في عنفوان الشباب، أن يقول مفاخراً:

إن قاعدة إمارتي قد ضربت الأرقام القياسية العالمية في التوسع والعمران!

والناس، حين يذكرون الرياض، يذكرون أميرها النبيل، فاسمه مقترن باسمها، وبفضل نباهته وكياسته وإخلاصه ـ وفي ظل ممدود من عناية الحكومة السعودية ورعايتها ـ تحققت في الرياض «منجزات» عظيمة جداً، ولولا أن الناس يرونها رؤية العين لظنوها أحلاماً وأماني!.

كلمة سمو الأمير سلمان، حفظه الله

في اجتماع اللجنة العليا
لتطوير مدينة الرياض
واللجنة التنفيذية العليا للمشاريع والتخطيط

نشرت جريدة «الجزيرة» في عددها (٧٧٧٦) الصادر في ١٢ يناير ١٩٩٤ م تصريحاً صحفياً لصاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز، أمير منطقة الرياض ورئيس الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض ورئيس اللجنة التنفيذية العليا للمشاريع والتخطيط، قال فيه: إن تنفيذ المشاريع التطويرية في مدينة الرياض قد بلغ إجمالي تكاليفه حوالي ٥٧٠٠ مليون ريال.



وأضاف سموه في تصريح صحفي عقب ترؤسه مساء أمس الاجتماع الثاني لعام ١٤١٤ هـ للهيئة العليا، والاجتماع التاسع والثمانين للجنة التنفيذية العليا والذي عقد بمقر الهيئة العليا بحي السفارات: «لقد قطعت مسيرة التطوير والتنمية في مدينة الرياض أشواطاً كثيرة في إطار من التوازن والتكامل وذلك بدعم سخي من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله ورعاه.

وأنا أتطلع مع كل مواطن بتفاؤل كبير إلى استمرار مسيرة التنمية بكل زخم وقوة حيث إن هناك الكثير من المشاريع التي تجري دراستها في الوقت الحاضر توطئة لتنفيذها وأفضل الحديث عنها عند توقيع عقودها بإذن الله».

وتطرق سموه إلى الحديث عما بحث في الاجتماعين المذكورين من خطط ومشاريع تطويرية في مدينة الرياض فقال سموه: لقد أقرت الهيئة العليا في هذا الاجتماع الخطة المقترحة لتقسيم المرحلة الثانية من النطاق العمراني لإتاحة أراض داخل هذه المرحلة لاستيعاب النمو العمراني المتوقع في المدينة في الفترة من عام ١٤١٥ هـ، إلى عام ١٤٢٠ هـ، كما أقرت الهيئة السياسات والضوابط المقترحة لمعالجة وضع الأراضي الواقعة خارج النطاق العمراني محصورة بين حدود هذا النطاق وحدود حماية التنمية.

وأضاف سموه: إن الهيئة أقرت ضوابط البناء المعدلة الخاصة بالمنطقة الواقعة بين طريق الملك فهد وشارع العليا من شارع المعذر جنوباً وحتى الضلع الشمالي للطريق الدائري شمالاً، وقد هدفت هذه التعديلات إلى تشجيع مبادرات القطاع الخاص لإقامة مشاريع عمرانية متميزة في المدينة والرفع من المستوى المعماري للمباني والمنشآت..

وبالنسبة للجنة التنفيذية العليا للمشاريع والتخطيط لمدينة الرياض قال سموه: إن اللجنة وافقت على توقيع خمسة عقود لإنشاء وتصميم بعض المشاريع التطويرية في مدينة الرياض مع خمس مؤسسات وطنية منها عقدان لإنشاء شبكات تخفيض منسوب المياه الأرضية في أحياء مختلفة من المدينة تبلغ تكلفتها حوالي مائة وعشرة ملايين ريال ومدة التنفيذ أربعة وعشرون شهراً، وتشكل هذه المشاريع جزءاً من البرنامج العلاجي الشامل الذي تقوم عليه الهيئة العليا للسيطرة على هذه المشكلة.

والعقد الثالث لإنشاء مركز للدفاع المدني بمنطقة قصر الحكم وإدارة الدفاع

المدني بمدينة الرياض بقيمة تبلغ حوالي خمسة عشر مليوناً وستمائة ألف ريال، ومدة التنفيذ خمسة عشر شهراً.

والعقد الرابع لإنشاء مقر مكتب التربية العربي لدول الخليج بحي السفارات وتبلغ قيمة العقد حوالي أربعة عشر مليون ريال، ومدة التنفيذ خمسة عشر شهراً.

والعقد الخامس لتصميم مقر برنامج الأمم المتحدة الإنمائي بحي السفارات وتستغرق مدة تصميمه ستة أشهر، وتبلغ قيمة العقد حوالي مليون ريال وسيبدأ إنشاء مقر هذه المنظمة الدولية حال إنجاز التصاميم الخاصة به حيث تم اعتماد المبالغ اللازمة لذلك.

وأبدى سمو الأمير سلمان في ختام تصريحه شعوره بالرضا والسعادة إزاء ما تحقق لمدينة الرياض من تنمية وتطوير في سياق خطط الدولة وجهودها التطويرية التي شملت سائر أنحاء المملكة.

وقد أوضح المهندس عبد اللطيف بن عبد الملك آل الشيخ عضو الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض ورئيس مركز المشاريع والتخطيط بالهيئة أن الأحياء التي يشملها هذان العقدان هي الخالدية والعزيزية وبدر والعريجا الغربية والسويدي الغربي وطويق والنزهة والواحة والمروج والرائد والمصيف وأم الحمام والربوة.

وهناك حالياً يجري تنفيذ أعمال شبكات تصريف المياه الأرضية وستكتمل قريباً إضافة إلى ما جرى تنفيذه سابقاً.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة: إعجاب الملك عبد العزيز بجده الإمام فيصل بن تركي	٥
بين يدي الكتاب	٧
سيرة بطلين عظيمين	٩
تركي وعبد العزيز	١٣
النفط ونهضة المملكة	١٤
مصرع الإمام تركي	١٥
مشاري بن سعود	١٧
ـ الثأر واستعادة الملك	١٨
ـ رواية ابن سيف لمقتل مشاري	٢٠
عهد الإمام فيصل بن تركي الأول	٢٣
مراحل حياة الإمام فيصل بن تركي	٢٥
ولاية الإمام فيصل الأولى	٢٦
ـ رسالة الإمام فيصل إلى الشعب	٢٧
الإمام فيصل يكرِّم الأمراء والعلماء	٢٩
حوادث سنة ١٢٥٠هـ ـ انتصار على عساكر محمد علي	٣٢
وثائق روسية عن معارك عسير وغضب محمد علي	٣٤
حوادث سنة ١٢٥١هـ ـ قدوم دوسري من مصر	٣٧
عهد خالد سعود وخورشيد المستبد ١٢٥٢ ـ ١٢٥٤هـ	٤١

الموضوع	الصفحة

- من هو خالد بن سعود ٤١
- رواية ابن بشر المفصَّلة عن قدوم خالد بن سعود ٤٣
- نصيحة الشيخ عبد الرحمّن للإمام فيصل ٤٦
حاكم بغداد العثماني يعرض على فيصل مساعدته مالياً وعسكرياً ٤٨
حوادث سنة ١٢٥٣هـ ٥٢
- الإمام فيصل يتجهز لإستعادة الرياض ٥٥
- حصار الرياض ٥٦
حوادث سنة ١٢٥٤هـ ٥٩
الحوادث بين فيصل والعساكر المصرية كما يرويها خورشيد ٦١
تقرير خورشيد باشا المكتوب باللغة الفرنسية ٦٣
- استسلام فيصل ٦٤
أسر فيصل بن تركي وإرساله إلى مصر ٦٥
ابن بشر يصف استسلام فيصل ٦٩
- ثبات فيصل وشجاعته ٧١
تقرير خورشيد المرسل إلى محمد علي عن معاركه مع فيصل ٧٢
من الوثائق الإيتالية: محمد علي يفرض الشرفاء على الحجاز بالقوة وباسم الترك ... ٧٤
رسالة من الإمام فيصل بن تركي يعترف فيها بالسلطان العثماني ٧٦
الوثائق الروسية المكتشفة في مصر (كما وردت في كتاب القطاوي) ٧٧
حكم خورشيد ٨٠
حوادث سنة ١٢٥٥هـ: خورشيد أظلم من محمد أفندي ٨٣
حوادث سنة ١٢٥٦هـ: استدعاء خورشيد إلى مصر ٨٥
انسحاب الجيوش المصرية من نجد وخورشيد يسلم الإمارة إلى خالد قبل رحيله ... ٨٧
حوادث سنة ١٢٥٧هـ ٨٩
- وقعة بقعة ٨٩

الموضوع	الصفحة

- ولاية ابن ثنيان ٨٩
- هروب خالد ٩١
حوادث سنة ١٢٥٨هـ ٩٣
- الاستيلاء على القطيف ٩٣
- من هو عبد الله بن ثنيان ٩٤
عهد الإمام فيصل الجديد المديد ١٢٥٩ ـ ١٢٨٢هـ ٩٧
عودة الإمام فيصل من مصر واستعادة ملكه واستمرار سلطته ٩٩
حوادث سنة ١٢٥٩هـ: كيف هرب الإمام فيصل من سجنه بمصر؟ ١٠٠
- نقض رواية ابن بشر ١٠٠
- موقف ابن ثنيان ١٠١
- محاصرة الرياض واقتحامها ١٠٣
- ابن ثنيان يطلب الصلح ثم أسره ١٠٤
- وفاة ابن ثنيان ١٠٥
كيف استهل الفيصل عهده الجديد المديد ١٠٧
حكم فيصل بعد عودته الثانية من مصر ١٠٧
- ترتيبات فيصل العسكرية ١٠٧
- فيصل والسياسة ١١١
- فيصل في أواخر أيامه ١١١
رسالة فيصل ـ النصيحة ـ إلى المسلمين ١١٢
حوادث سني ١٢٦٠هـ ـ ١٢٦٧هـ ١١٥
- حكم ابن رشيد ١١٧
حوادث سني ١٢٦٨هـ ـ ١٢٨١هـ ١٢٠
مقتطفات مما قيل في وصف فيصل وشجاعته وسياساته ودهائه وحكمته ١٢٧
وصف فيصل ١٢٩

الموضوع **الصفحة**

- السلطان ثبته ملكاً على كل العرب ١٣٣
فيصل يحتل البريمي باسم السلطان ١٣٥
فيصل رفض دفع «الجزية» فقاتلوه ونفوه إلى مصر ١٣٧
- عودة فيصل ١٣٨
من عرض حكومة المملكة العربية السعودية المقدم إلى لجنة التحكيم الدولية
المكلفة بتسوية النزاع الإقليمي (بين مسقط وأبي ظبي وبين المملكة) ١٤٣
- شعر فيصل بن تركي ١٤٥
السياسة الخارجية ١٤٩
زيادة بلغريف للإمام فيصل بن تركي مندوباً من الأمبراطور الفرنسي نابليون الثالث ١٥١
- ماذا يريد نابليون الثالث من الملك فيصل؟ ١٥٢
- وصف الرياض ١٥٤
- مقابلة الإمام فيصل ١٥٦
- موارد فيصل المالية كما وجدها بلغريف ١٥٧
- شهادة البطريرك الجرجيري ١٥٨
رحلة الكولونيل لويس بيللي ١٥٩
تقرير عن رحلة إلى العاصمة السعودية ١٦١
- علاقة الإمام فيصل بفرنسا ١٦٥
الملحق ١ ـ الرياض عبر أطوار التاريخ ١٦٧
اسم الرياض وموقعها ١٧٠
الملحق ٢ ـ إحياء لذكرى الإمام تركي بن عبد الله ١٧٥
المصمك ١٧٩
الرياض في عهد عبد العزيز ١٨٣
فتح الرياض في زمن الملك عبد العزيز ١٨٥
قصر الحكم ١٩٠

الموضوع	الصفحة

حركة العمران مستمرة ١٩٢
موقع الرياض ومناخها ١٩٤
الرياض عبر أطوار التاريخ ١٩٩
تاريخ اليمامة ٢٠١
- اليمامة عند ظهور الإسلام ٢٠٣
مشهد الرياض الفاتن أجمل من دمشق ومن إيطاليا ٢٠٧
مزايا اليمامة ٢٠٩
- أشخاص اشتهروا باسم اليمامة ٢٠٩
متى ظهر اسم الرياض علماً على المدينة ٢١١
محرِّر نجد وموحدها ومؤسس الدولة السعودية الثانية ٢١٥
نص كلام بلغريف بالإنكليزية ٢١٦
أهم الأحداث في سيرة الإمام فيصل بن تركي من كتاب (الأطلس التاريخي للدولة السعودية) ٢١٩
فيصل بن تركي ٢٢١
أهم الأحداث في إمامة فيصل بن تركي ٢٣٧
الرياض أسرع مدينة في العالم نمواً بالسكان واتساعاً في العمران ٢٤٤
نظرات خاطفة على تاريخ الرياض وجغرافيتها ٢٤٥
كلمة سمو الأمير سلمان، حفظه الله في اجتماع اللجنة العليا لتطوير مدينة الرياض ٢٤٧
الفهرس ٢٥١